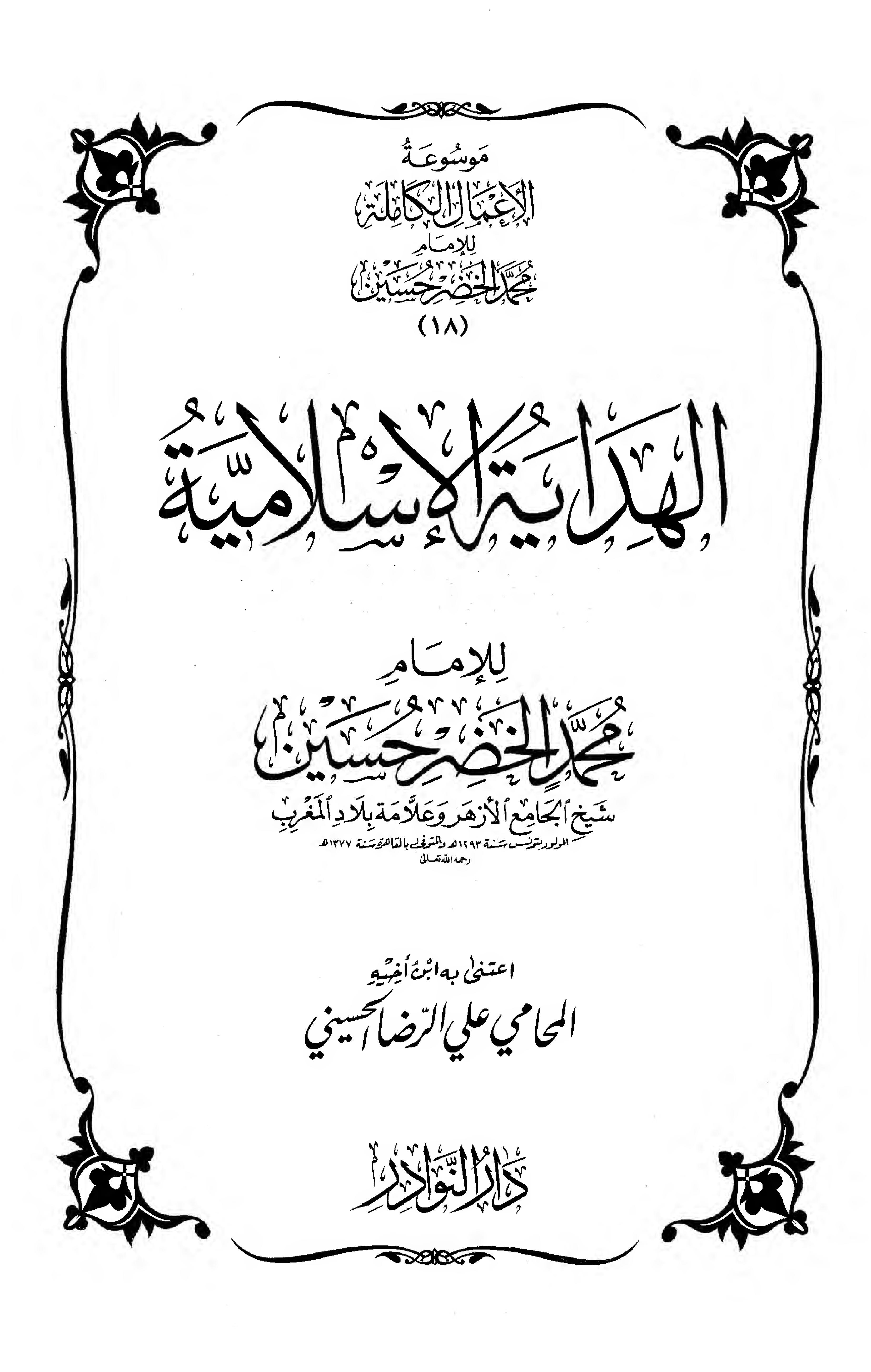


موسوعة

الأعمال الكاملة

للإمام

محمد الخضر حسين

(١٨)

الهداية الإسلامية

للإمام

محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الأزهر وعلامة بلاد المغرب

المولود بتونس سنة ١٢٩٣ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ١٣٧٧ هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى به ابن أخيه

المحامي علي الرضا الحسيني

دار النوادر



ٱلطَّبْعَةُ ٱلأُولَى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ردمك : ٨ - ٧٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN

9789933418768

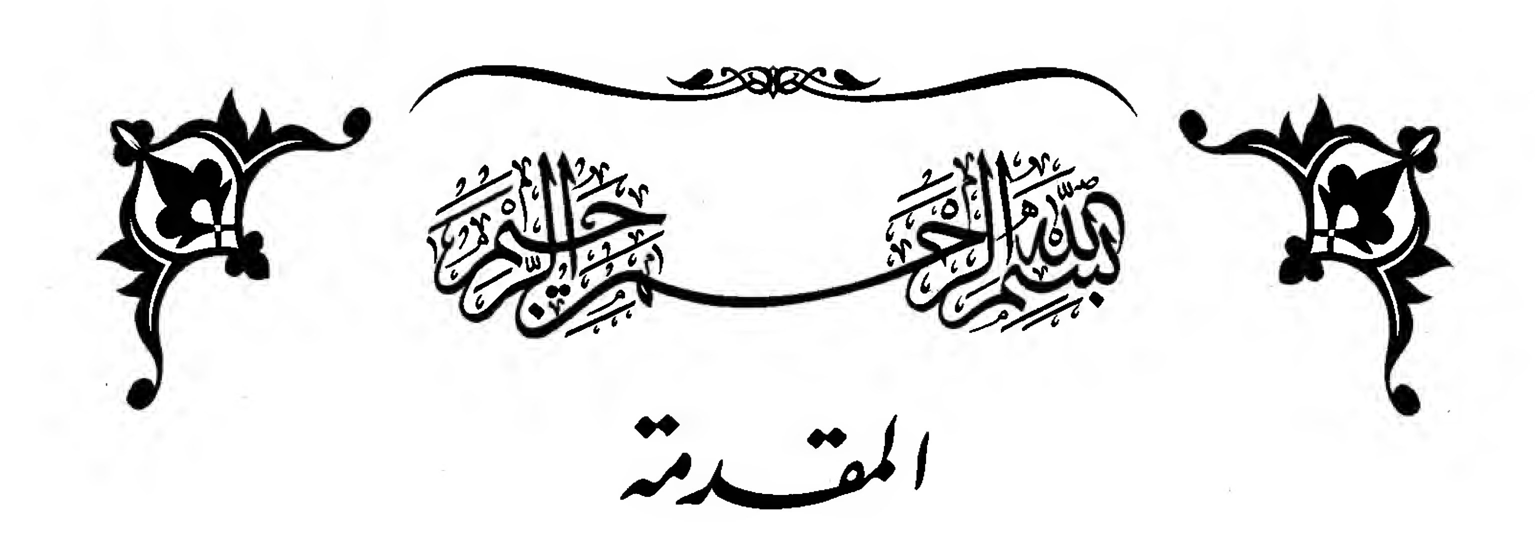
دار النوادر

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَّسَة دارُ النَّوادِر م. ف - سُوريَة * شَرِكَة دارُ النَّوادِر اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دارُ النَّوادِر الكُوَيْتِيَّة - ذ. م. م - الكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسسها سنة : ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المدير العام والرئيس التنفيذي



المقدمة

إن أوسع ميدان من الميادين الإسلامية العديدة التي خاض غمارها فضيلة الإمام الأكبر المصلح المجاهد المرحوم محمد الخضر حسين ـ رضوان الله عليه ـ هو ميدان: مجلة «الهداية الإسلامية»، تلك المجلة الخالدة التي غذاها بعلمه النافع الغزير، وعمله الخالص الجاد طيلة مرحلة من عمره الطاهر امتدت ثلاثة وعشرين عاماً أو يزيد.

لقد أصدر الإمام خلال حياته العلمية الحافلة بجلائل الأعمال مجلتين إسلاميتين عظيمتين هما: «السعادة العظمى» في تونس عام ١٣٢٢هـ، و«الهداية الإسلامية» في القاهرة عام ١٣٤٧هـ. وترأس تحرير مجلتين إسلاميتين كبيرتين هما: «نور الإسلام»، والمعروفة الآن باسم مجلة «الأزهر»، و«لواء الإسلام» في القاهرة. إلى جانب المشاركة بالقلم في العديد من مجلات العالم الإسلامي.

ولما كانت مجلة «الهداية الإسلامية» التي صدر العدد الأول منها في جمادى الثانية من عام ١٣٤٧هـ بالقاهرة، وتابعت صدورها ما يزيد على ثلاث وعشرين سنة برئاسة الإمام، وإشرافه العلمي، وتوجيهه القيم، هي الناطقة باسم «جمعية الهداية الإسلامية» التي أنشاها الإمام الأكبر مع جمهرة من كبار العلماء المسلمين بالقاهرة، وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر

رجب لعام ١٣٤٦هـ الموافق ٦ يناير «كانون الثاني» من عام ١٩٢٨م. فقد أولاها كل جهده ووقته، وانصرف إليها نهاره وليله، حتى كانت الجمعية مع مجلتها طعامه وشرابه ومنامه.

وقد رسم للجمعية سبيلاً لتحقيق أهدافها باتباع الوسائل التالية:

١ ـ السعي لتعارف الشعوب الإسلامية، وتوثيق الرابطة بينها، ورفع التجافي بين الفرق الإسلامية، والتعاون مع كل جمعية تسعى لهذه الغاية.

٢ ـ نشر حقائق الإسلام بأسلوب يلائم روح العصر.

٣ ـ مقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية في الأوطان الإسلامية بالطرق العلمية.

٤ ـ الجهاد في إصلاح شأن اللغة العربية، وإحياء آدابها.

وقد نهجت مجلة الهداية الإسلامية وفق هذه الأسس.

تلقى القارئ المسلم مجلة «الهداية الإسلامية» وهو أشد ما يكون حاجة إلى مجلة إسلامية علمية أدبية اجتماعية تولي وجهها نحو البحث عما يهذب النفوس، ويثقف العقول، ويقوم اللسان، وتسير على الأدب الموصى به في قوله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].

فكانت صوت حق وهدى في العالم الإسلامي. وما زالت مجموعتها مرجعاً إسلامياً للعلماء والباحثين والأدباء.

وقد جعلنا مقدمة هذا الكتاب فاتحة المجلة التي افتتح بها الإمام العدد الأول من مجلة «الهداية الإسلامية»، والتي أوضح فيها النهج والطريق.

وجمعنا في هذا الكتاب الذي أسميناه: «الهداية الإسلامية»، وهو عنوان المجلة تخليداً لذكراها، مقالات لم يسبق لها أن نشرت في أي كتاب صدر للإمام، وأملنا ورجاؤنا أن نعمد في المستقبل ـ إن شاء الله تعالى ـ خدمة لرسالة الإسلام، ونظراً لحاجة المكتبة الإسلامية إلى تلك الموسوعة الإسلامية الكبرى مجلة «الهداية الإسلامية» إلى إعادة طبعها كاملة؛ لتكون خير زاد للإنسان المسلم في رحلة العمر، ولتكون في متناول أيدي طلاب العلم بعد أن أصبحت مجموعاتها نادرة جداً، والحاجة إليها شديدة.

والله نسال السداد والتوفيق.

علي الرّضا الحسيني

□ □ □



مقدمة الإمام محمد الخضر حسين [1]

نحمدك اللهم حمد من ابتغوا الإسلام شرعة ومنهاجاً، ونصلي ونسلم على رسولك الذي أطلعته في غسق الجهالة سراجاً وهاجاً، وعلى آله وصحبه الذين اشتروا العزة بزهرة الحياة الدنيا، وجاهدوا لتكون كلمة الحق هي العليا.

هذا، ومن ينظر إلى ما بلغته الأمم الإسلامية من رفعة وعظمة، ثم يقيس حاضرها بماضيها، يجد الفرق ما بينهما كالفرق بين طلعة الصبح وفحمة الدجى، يجدها كانت تعلم فتعمل، وتسوس فتعدل، وتحارب فتظفر، وتدعى إلى الإصلاح فتسمع، وتشعر بالخلل فتصلح. أما شأنها اليوم، فهو ما ترون بأعينكم، أو تسمعون بآذانكم: بدع فاشية، وأهواء غالبة، وروابط إخاء واهية، وأيد فوق أيديها غليظة قاسية، وشر من هذا ـ إن كان فوق هذا شر ـ حُفر من النار تخطها بين فتياننا وفتياتنا أقلام مكبَّة في الغواية والخلاعة على وجهها.

لا أبسط القول في علل هذا الانقلاب المهين، ولا أكتم القراء أن علة هذه العلل تغير موقف الكثير من رجال العلم، وأخذهم في الحياة طوراً غير

(1) فاتحة مجلة «الهداية الإسلامية» ـ العدد الأول من المجلد الأول الصادر في جمادى الثانية لعام ١٣٤٧هـ.

الطور الذي هيأه الله لهم، وأمرهم بأن يلبسوه في غدوهم ورواحهم، وهو مراقبة سير الأفراد والجماعات، وإرشادهم إلى قصد السبيل، دون أن يأخذهم في الإرشاد ما يأخذ جبان القلب من إحجام أو تردد

ولو أن الكثير من رجال العلم كانوا يعنون بالنظر في الشؤون العامة، ويسيرون في العمل على إصلاحها بحزم ويقظة، لكانت الأمة متينة في أخلاقها، حازمة في أعمالها، بصيرة بمكايد أعدائها، تقصر أيدي الطغاة عن أن تجول في حقوقها، وتنعقد ألسنة الضالين عن أن تطعن في شريعتها، أو تحرف كلمات الله عن مواضعها.

وإذا كانت علل هبوط الأمة من تلك المنزلة الشماء إنما نشأت تحت غفلة من يتقلدون أمر رقابتها، فطريق البرء والنجاة مستبين، وهو أن يبصر علماء الإسلام في كل شعب بهذا البلاء المحدق بالأمة، ويدركوه كما هو، ثم يقوموا بالدعوة إلى الإصلاح، وبما تناله أيديهم من وجوه الإصلاح، هذا هو أساس فلاحنا إن رغبنا في أن نكون من المفلحين، وسبيل خلاصنا من العيشة النكداء إن رغبنا في أن نكون أحراراً آمنين.

ولا يكفي العلماء عذراً عند الله، أو عند الأجيال القابلة: أن يلقوا التبعة على ولاة الأمور إذا استكبروا، أو على ذوي اليسار إذا أمسكوا، أو على رؤوس الإلحاد إذا ائتمروا؛ فقد علمهم الله كيف يدعون إلى سبيله بالحكمة، وعلمهم أن الحكمة المحمولة بيد الإخلاص لابد من أن تحدث في النفوس الغافلة أو القاسية أثراً، وعلمهم أن الباطل لا يقف في وجه الحق، ولو كان أكثر أهل الأرض أشياعاً للباطل وأنصاراً.

ذلك هو الدواء، ولا نكتم القراء أن رجالاً من ذوي العلم قد عرفوا مكانه،

وأخذوا منذ حين يعملون على تلافي الخطب، ومقاومة حركات الذين يعتنقون الإباحية، أو يقضون لخصوم الدين الحنيف مآرب، وقد ظهرت آثارهم القيمة في بعض الصحف والمؤلفات، وفيما يلقى من الخطب والمحاضرات، ولكن الأمر جلل، وطريق النجاح فيه وعرة، والعمل لعبورها ذو شعب، فلا تغني فيه الأيدي القليلة، والأقلام التي تكافح مرة، ثم تغمض عن الكفاح أخرى، وهذا ما نهض بجماعات في مصر وغير مصر، فألفوا جمعيات إسلامية أدبية، وليست جمعية الهداية الإسلامية إلا بنت ثقافة وحماسة التقتا في نفوس طائفة من طلاب العلوم الإسلامية، فتحاوروا، واحتفلوا، وخطبوا، ووضعوا نظاماً أساسياً لهذه الجمعية، وكان من محتوياته: إصدار مجلة إسلامية علمية أدبية، وما برح مجلس إدارة الجمعية ـ منذ تألف ـ يسعى إلى إبراز هذه المجلة كما شرط الأعضاء المؤسسون، حتى هيأ الله له من أمرها يسراً.

وستولي المجلة ـ بتأييد الله ـ وجهها نحو البحث عما يهذب النفوس، ويثقف العقول، ويقوم اللسان، فتبحث في الأخلاق والعادات، والتاريخ والتراجم، واللغة وآدابها، والعلوم النظرية والاجتماعية، والبدع والمحدثات. وترشد إلى حقائق الإسلام وآدابه، وتنقد المقالات والآراء، وتجيب عما تسعها الإجابة عنه من المسائل، وتورد من أنباء العالم الإسلامي ما له صلة بالغاية التي أنشئت من أجلها، وتنشر تحت عنوان: «صحف قيمة» رسائل علمية أو أدبية من مؤلفات القدماء متى كانت ذات صفحات قليلة، ووثقت لجنة التحرير من أن يكون لإذاعتها بين القراء فائدة. وستسير المجلة ـ بتوفيق الله ـ على الأدب الموصى به في قوله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ

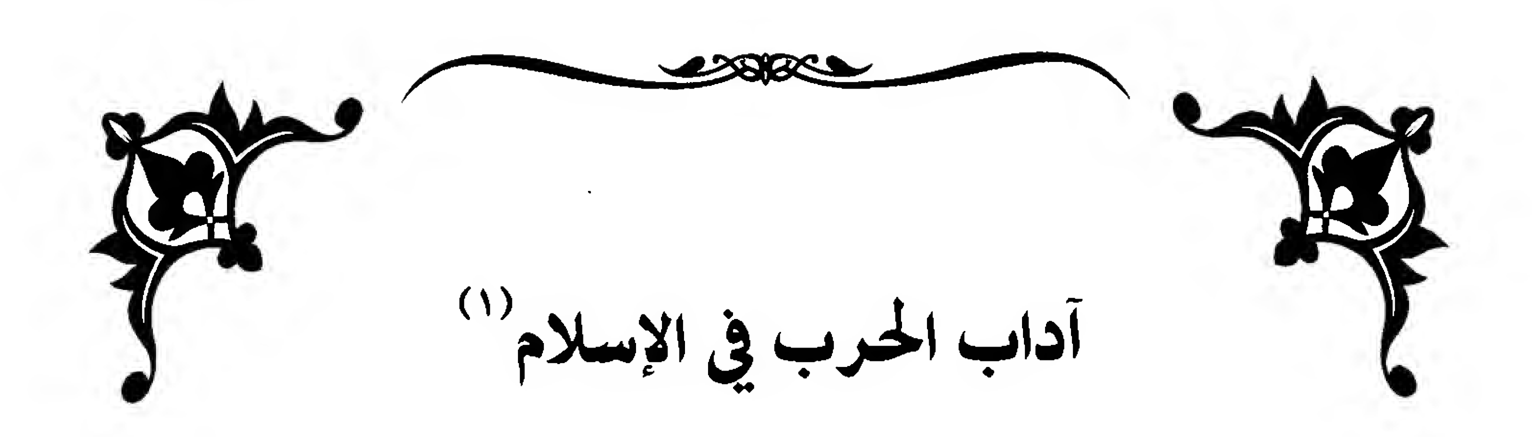
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].

فلا تنشر مقالاً يحتوي كلمة ناشزة عن حدود الآداب الراقية، حتى لا تقدم بين يدي قرائها الكرام ما تأبى لهم طباعهم المهذبة أن يسمعوه بآذانهم، أو يقولوه بألسنتهم.

وستوسع المجلة ـ بإذن الله ـ صدرها لكل من خطر على باله أن يرشدها إلى ما قد يعثر فيه القلم من خطأ، أو تنشره ذاهلة عما انطوى عليه من سوء، وهي أيضاً ترجو ممن وقع نظره فيها على ما يراه خطأً، أو سوءاً من القول أن ينبهها لموضع النقد في مقال تتمثل فيه الأناة والقصد إلى تقرير الحقائق، وعلى أي حال، فإن هذه المجلة لا تعرف ذلك الذي يسمونه عناداً أو مغالطة؛ لأنها متيقنة أن المعاند أو المغالط عدو للحقيقة، وهي حريصة على صداقة الحقائق أشد من حرصها على أن توصف بالعصمة.

محمّد الخضر حسين

❑ ❑ ❑



آداب الحرب في الإسلام[1]

تمهيد ـ أسباب الحروب ـ الاستعداد للحرب ـ التدريب على الحرب ـ محاكاة العدو في وسائل الدفاع ـ كتابة أسماء من يدعون إلى الحرب ـ إعلان الحرب ـ رفع الرايات في الحرب ـ الشعار في الحرب ـ تعهد الجند بالموعظة ـ النشيد الحماسي ـ الزحف في صفوف منظمة ـ الإقدام في الدفاع ـ الثبات في مواقع الدفاع ـ الإخلاص في الحرب ـ أثر الاستقامة في الانتصار ـ الدهاء في الحرب ـ إطلاع ولي الأمر على سير الحرب يوماً فيوماً ـ الشورى في الحرب ـ كيف يكون قائد الجيش ـ استكشاف حال العدو ـ التكتم في الحرب ـ الاحتراس في الحرب ـ حكم الجاسوس في الإسلام ـ الرفق بالجند ومعاملتهم بالعدل ـ تلقيهم أوامر القائد بحسن الطاعة ـ تحامي الاختلاف المؤدي إلى شقاق ـ التخلف عن الدفاع ـ الفرار من صفوف القتال ـ الوفاء بتأمين المحارب ـ مجاملة رسل العدو وعدم التعرض لهم بأذى ـ تجنب قتل من لا يقاتل ـ معاملة الأسرى ـ الدفاع في البحر ـ عقد الصلح ـ تخليص الأسرى من أيدي العدو ـ تقدير البطولة.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزآن التاسع والعاشر من المجلد الثاني عشر. وطبعت في رسالة خاصة.

*** تمهيد:**

نحمدك اللهم على أن أحييت في نفوسنا آمالاً طالما باتت هامدة، ووفقتنا للنهوض من كبوة خمول وذهول، فإذا القلوب باصرة، والغيرة على الحقوق متقدة، والأقلام مجاهدة. ونصلي ونسلم على رسولك الذي أنزلت عليه كتاباً بهرت العقول آياته وسوره، وأيدته بنصرك المؤزر، ولينصرن الله من ينصره.

أما بعد:

فقد ذكرت ما كان للجيوش الإسلامية من قوة، وما كان لها من الوقائع المكللة بالظفر، ولم أرتب في أن لتلك القوة والظفر أسباباً، أقواها: نور الإيمان الذي كان يتلألأ في صدورهم، وآداب الدين الذي كانوا يعتزون به في كل موطن، ونصائحه التي كانوا يرعونها بحق، فبدا لي أن أذكر جيوشنا الإسلامية بجانب من تلك الآداب والنصائح، حتى إذا وجدت فطراً سليمة ونفوساً مشرقة بالإيمان، قوي رجاؤنا في أنا سنخرج من حمأة المهانة، إلى صعيد طاهر من الكرامة، وأن الزمن الذي تخفق فيه رايتنا بالنصر على من يروم السيطرة على أوطاننا غير بعيد.

*** أسباب الحروب:**

طبعت نفوس على حب الاستئثار بالمنافع، وذلك ما يدعوها إلى أن تمد أيديها إلى ما يتمتع به غيرها من خير، وتنتزعه منه بقوة؛ كما أن في النفوس غيرة على ما بيدها من حق، وإباية لأن يؤخذ منها هذا الحق وهي كارهة، وذلك ما يدعوها إلى أن تذود عن ساحتها، وتدافع عن حقوقها، ولو كان خصمها أكثر جنداً، وأتم سلاحاً، بل تقف هذا الموقف من الرجولة

والاحتفاظ بالكرامة، ولو غلب على ظنها أنها ستُغلب على أمرها؛ تفعل هذا إيثاراً لحياة العزة على حياة المهانة، وتحامياً لخزي ينقل من جيل إلى جيل.

وهاتان الطبيعتان: طبيعة حب الاستئثار بالمنافع، وطبيعة إباء الضيم، هما منشأ أكثر الحروب التي تقوم بين الأمم: الحريص على منافع في يد غيره يهاجم، أو يستعد متحفزاً للهجوم، ومن بيده المنافع ينهض في وجه المهاجم، أو يبادر المتحفز للهجوم عليه قبل أن يستوفي وسائل الهجوم، «تغد بالحجَّاج قبل أن يتعشى بك».

وربما كان قوم على حق وسيرة من الرشد، فيحمل لهم الطغاة الفجّار ضغناً، ويرومون القبض على زمامهم؛ ليصرفوهم عن سيرتهم الرشيدة، ولا يرضى المستقيمون على طريقة الرشد إلا أن يعيشوا أحراراً، فاذا الحرب ناشبة: أولئك يبغون فتنة، وهؤلاء يبغون سلاماً.

وقد تنشب الحرب بين طائفتين يعتقد كل منهما في نفسه أنه المظلوم، وخصمه الظالم، وهذا النوع من الحروب هو الذي يمكن تحاميه من طريق المفاوضات، وقرع الحجّة بالحجَّة، ويغني فيه القلم عن النار والحديد.

*** الاستعداد للحرب:**

إذا كانت طبيعة حب الاستئثار بالمنافع غالبة على النفوس، وإذا كان أصحاب الأهواء يحرصون على إطفاء نور الحق، وإذا كان في إقناع أحد الخصمين بأن الحق في جانب غيره صعوبة، فمن الحزم أن تكون الأمة على استعداد كاف لدفاع من يريد الاعتداء على حق من حقوقها، بسوء قصد، أو بسوء فهم.

وكذلك نرى الإسلام قد فرض على الأمة أن تنفق أقصى ما تستطيع في الاستعداد للدفاع، قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[الأنفال: ٦٠].

فاستعداد الأمة للحرب يجعلها في منعة من أن يهتضم ذو قوة حقاً من حقوقها، أو تحدثه نفسه بأن يبسط سلطانه على قيد شبر من أوطانها.

أمر الشارع الحكيم بإعداد وسائل الدفاع، وذكرها بلفظ عام، وهو قوله: ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾؛ لتتناول كل ما يحتاج إليه في الدفاع، ويكون له أثر في الفوز على العدو المحارب، فيدخل فيه آلات الطعن والضرب، وآلات الرماية، وبناء الحصون، وتهيئة ما تحتاج إليه الجنود من نحو الملابس والمطاعم.

وقول النبي ﷺ: «ألا إن القوة هي الرمي» تنبيه على أن الرمي أهم الوسائل التي تكون بها القوة. فالطيارات والبارجات والدبابات والغواصات من أدوات الرمي.

*** التدريب على الحرب:**

لما كان في السباق على الخيل تدريب على خوض غمار الحروب، أذن فيه النبي ﷺ، وفعله، على الطريقة المعروفة في كتب الفقه؛ وأذن النبي ﷺ كذلك في اللعب بالسلاح؛ لما فيه من التمرين على الطعان بجد إذا التقى الجمعان.

ورد في الصحيح: أن الحبشة كانوا يلعبون بالحراب في المسجد على مرأى من رسول الله ﷺ، ولما أنكر عليهم عمر بن خطاب، وأهوى إلى الحصباء ليرميهم بها، قال له النبي ﷺ: «دعهم يا عمر».

*** محاكاة العدو في وسائل الدفاع :**

كان علينا استطلاع ما يهيئه العدو من وسائل الحروب لنصنع ما يصنع، حتى نماثله في القوة، ونفضله بأننا ندافع عن الحق، ونرجو من الله ما لا يرجو.

وفي وصية أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد: «إذا لاقيت القوم، فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به: السهم للسهم، والرمح للرمح، والسيف للسيف».

ولو ظهر في أيام أبي بكر نوع آخر من السلاح، لذكره. ونقول على طراز حكمته: الطيارة للطيارة، والحراقة للحرّاقة، والغواصة للغواصة. وأشار سليمان الفارسي في واقعة الأحزاب على النبي ﷺ بحفر الخندق، فأذن بحفره، وعمل فيه بنفسه، وقال أبو سفيان يومئذ: «هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها».

*** كتابة أسماء من يدعون إلى الحرب :**

من النظم الجارية في القديم والحديث: كتابة أسماء من فيهم كفاية للجندية، حتى يعرف أولو الأمر قوة الجند من جهة عددهم، وكان هذا أمراً متبعاً في عهد النبي ﷺ.

روى ابن عباس: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني كتبت في غزوة كذا، وامرأتي حاجّة، فقال: «ارجع فحج مع امرأتك».

وفي الصحيح عن حذيفة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «اكتبوا إلي من تلفظ بالإسلام من الناس»، فكتبنا له ألفاً وخمس مئة رجل.

وكان هذا عند خروجه إلى غزوة أحد، أو عندما كانوا بالحديبية.

*** إعلان الحرب :**

يوجب الإسلام علينا الوفاء لمن بيننا وبينهم عهد أو هدنة؛ فان قامت

شواهد على أنهم يريدون خيانتنا، ويتهيؤون للهجوم على أوطاننا، لم يجز لنا مهاجمتهم وأخذهم على غرة، ولابد من أن نشعرهم بأن العهد بيننا وبينهم قد انتقض، قال تعالى في كتابه المجيد:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وكان أبو بكر الصديق ﷺ يقول لقائد الجيش: «وقدم النذر بين يديك».

*** رفع الرايات في الحرب:**

ترفع الرايات حيث يكون قائد الجيش؛ ليعلم بها مكانه، حتى يأوى إليها الناس عند الحاجة؛ واتخذ النبي ﷺ رايته مرة بيضاء، ومرة سوداء، ومرة صفراء. ويروى أن بعض ألويته كان مكتوباً عليه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وقد يعطي كل قبيلة لواء يقاتلون تحته، وعقد لوفد سليم لواء أحمر، وعقد لسعد بن مالك راية على قومه سوداء، وفيها هلال أبيض.

*** الشعار في الحرب:**

يتخذ الجنود شعاراً يتعارفون به في ظلمة الليل، أو عندما يشتبك الفريقان، وكان هذا الضرب من الاحتراس متبعاً في غزواته ﷺ، وفي فتوحات الخلفاء الراشدين من بعده.

عن البراء بن عازب: أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم تلقون عدوكم غداً، فليكن شعاركم: حم لا ينصرون»[(١)]، وكان شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق: يا منصور أمت[(٢)]، وغزا أبو بكر في زمن رسول الله ﷺ، وكان

---

(١) «سنن النسائي».
(٢) الإصابة.

شعار الجيش: أمت أمت[1] «أمر من الاماتة».

*** تعهد الجند بالموعظة:**

قد يأخذ الجنود حظهم من الفنون الحربية كاملاً، ولا يستغنون بعد عن أن تُغذَّى نفوسهم بالموعظة الحسنة، فمن المثير لحماسة الجند قبل دخولهم في ملاحم الحروب: إلقاء خطب تذكرهم فضل الإقدام والثبات، وما يأتي به الثبات في مواقف الدفاع من خير، وتنذرهم ما يجره الجبن والحرص على الحياة من خزي وشقاء.

وكان قائدو الجيوش في الإسلام يأخذون بهذه السنة الحسنة، فيلقون على الجيوش قبل انتشاب الحرب خطباً دافعة إلى خوض غمار الحرب بحماسة متقدة، وفي وصية أبي بكر الصديق ﷺ ليزيد بن أبي سفيان التنبيه على إسداء الموعظة للجند، فقال:

«وإذا وعظتهم، فأوجز؛ فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً».

وسنريك أن الجيوش التي تخفق راياتها بالنصر، وتكون هي وقائدها على ثقة منه، إنما هي الجيوش التي استنارت بهدي الله، فلا بد إذن للجيوش الإسلامية من وعاظ حكماء بلغاء يحببون إليهم التمسك بآداب الشريعة السمحة، ويذكرونهم بما جرت به سنة الله من رعايته للنفوس التي تؤثر رضاه على أهوائها، ونصره لها على النفوس التي اتخذت أهواءها آلهة.

*** النشيد الحماسي:**

نريد من النشيد الحماسي: الشعر الذي يشتمل على تذكير الجنود بمجد

---

(١) أبو داود.

قومهم الماضي أو الحاضر، وبما تقتضيه العزة؛ من نحو: إباية الضيم، والاستهانة بالخطوب، وشأن هذا الشعر تقوية القلوب، وإيقاد الغيرة، فيزداد الجند إقداماً وثباتاً في مواقع القتال، وكان الصحابة ﷺ يقولون يوم حفر الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

والدين ينهى الرجل عن الفخر بشيء من خصاله الحميدة، وأباح ذلك في الحرب، كان علي بن أبي طالب ﷺ في فتح خيبر يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره

وكان عامر بن الأكوع في هذه الغزوة يقول:

قد علمت خيبر أني عامر ... شاكي السلاح بطل مغامر

وقال يرتجز:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أبينا

فأنزلنْ سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

والشعر الحماسي، ولا سيما المقرون بتلحين، لا يدع نفساً فيها بارقة من الشجاعة إلا دفع بها في المعترك دون مبالاة بالموت.

وربما تذكر الرجل وهو في صفوف القتال نحو قول عمرو بن الإطنابة:

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تُحمدي أو تستريحي

فيذهب عنه خاطر الفرار أو الاستسلام إلى العدو، ويقف للدفاع وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه.

*** الزحف في صفوف منظمة:**

كان العرب والبربر يحاربون على طريقة الكر والفر، وكان غيرهم من العجم والإفرنج يزحفون إلى الحرب صفوفاً، وقد جاء الإسلام باختيار طريقة الزحف، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

ووجه هذا: أن التقدم للقتال في صفوف منظمة أرهبُ للعدو، وأدعى إلى الثبات والدوام في المعترك، بخلاف قتال الكر والفر؛ فإنه لا يعطي الجيش مهابة، ويسهل فيه على ضعفاء النفوس المسارعة إلى الهزيمة.

ولو بدا لقائد الجيش في بعض المواطن أن يتخذ طائفة من الجند يحاربون على طريقة الكر والفر، ويكون من ورائهم الصفوف المنظمة يلجؤون إليها عند الحاجة، فقد فعل هذا ملوك المغرب؛ إذ كانوا يقدمون جنوداً تحارب على طريقة الكر والفر، ويضربون وراءها صفوفاً من المدربين على الثبات في الزحف.

*** الإقدام في الدفاع:**

لكثرة الجند أثر في الظفر، وقد ينتصر الجيش وهو قليل العدد متى كان أشد بسالة، وأثبت قدماً عند اللقاء:

وما السيف إلا بزُّ غادٍ لزينة ... إذا لم يكن أمضى من السيف حاملُهْ

ومن هنا نجد القرآن الكريم يعنى بتربية الشجاعة في النفوس.

ومن وجوه تربيته للشجاعة: تذكيره الأمة بأن ما ينالهم في سبيل القتال قد ينال عدوهم مثله، قال تعالى:

﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

وقال تعالى:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ومن هذا القبيل تذكيره الأمة بأن العدو إذا استولى على أوطانهم، كانت له العزة، وكانت عليهم الذلة، قال تعالى:

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢].

*** الثبات في مواقع الدفاع:**

قد يكون الرجل مقداماً لا يهاب الموت، ولكنه يبتلى بقلة الصبر على المكاره، فيسأم ما يلاقيه في حومات الحروب من مشاق، فيثني عنانه عن الدفاع، وينقلب على عقبه مبتغياً ـ فيما يزعم ـ راحة الحياة، أو جانحاً إلى صلح يضرب عليه ذلة وصغاراً، فمن متممات الشجاعة: الثبات في الدفاع إلى إدراك الغاية، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال ﷺ: «لا تمنَّوْا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم، فاصبروا؛ فإن الجنة تحت ظلال السيوف».

فكم من ظفر يحرزه أحد الفريقين المتحاربين، وإنما أحرزوه بصبرهم في موقف الطعان لحظة أو لحظات، قال الشاعر الحكيم:

بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا مُطِلاً كإطلال السحاب إذا اكفهرّ

فقلت له لا تبك عينك إنما يكون غداً حسن الثناء لمن صبر

*** الإخلاص في الحرب:**

نجاح كل عمل على قدر ما يقارنه من طيب السريرة، وحسن القصد، وأحقُّ ما يقصد إليه الناهضون إلى الحرب: حماية أوطانهم؛ ليسلم لهم دينهم وأعراضهم وأموالهم، وتكون كلمة الحق هي العليا، وهذا القصد أكبر باعث على الثبات في مواقف الدفاع، فالذي يحارب ليحرز منصباً أو مالاً، أو ليتحدث الناس عن شجاعته، قد يقف في إقدامه عند حد، وما هو من الانهزام والفرار من مواقع الدفاع ببعيد، أما الذي يقاتل دفاعاً عن شيء يرى الحياة بدونه شراً من الموت، وهو العزة والحرية اللتان يرى بهما الحق في إشراق وصعود، فإنه يثبت في مواقع القتال، ولا يلوي عنقه عنه إلا أن يفوز أو يموت.

جاء رجل إلى النبي ﷺ، وقال له سائلاً: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وما أبلغ قول أبي فراس:

يغشون حوماتِ المنون وإنها في الله عند نفوسهم لصِغار

*** أثر الاستقامة في الانتصار:**

جرت سنة الله بأن يكون تأييده في جانب القوم الذين يملأون قلوبهم بالثقة به، ويحافظون على واجبات شريعته ما استطاعوا.

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: «آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون لمعصية عدوكم لله، ولولا ذلك،

لم تكن لنا قوة بهم؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا، وإلا نُنصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا»، ومنه: «ولا تقولوا: إن عدونا شر منا، فلن يُسلط علينا، وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم[1]».

فصلاح حال الجيش ـ ولا سيما من بيدهم قيادته ـ يستدعي تأييد الله تعالى لهم تأييداً مؤزراً، وقد يأتيهم النصر بعد استعدادهم، من حيث لا يحتسبون، فإذا تفشت فيهم المعاصي، لم يأمنوا أن يكون من عقوبة معاصيهم ابتلاؤهم بالوهن والفشل أمام سطوة عدوهم.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: لقد حضرت صفاً في سبيل الله في بعض الحروب مع قوم من أهل المعاصي والذنوب، فلما وازينا العدو، أقبلت سحاب وريح ورذاذ كأنه رؤوس الإبر، يضرب في ظهر العدو، ويأخذ وجوهنا، فما استطاع أحد منا أن يقف مواجهة العدو، ولا قدرنا على فرس أن نستقبله بها وعادت الحال إلى أن كانت الهزيمة علينا».

*** الدهاء في الحرب:**

للشجاعة وكثرة الجند وجودة السلاح أثر في الانتصار، ولكن للدهاء ـ أعني: جودة الرأي ـ الفضل الأكبر في الفوز والغلبة. وجودة الرأي هي التي أرادها النبي ﷺ من قوله: «الحرب خدعة». فالمراد من الخدعة: اتخاذ طرق خفية للوصول إلى الظفر؛ كالكَمين، والعمل لإيجاد شقاق في صفوف الأعداء، وكما فعل نعيم بن مسعود الأشجعي في واقعة الأحزاب؛ إذ سعى بين المشركين

---

(١) أورد محمد بن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز ﷺ عهداً عهد به عمر بن عبد العزيز إلى منصور بن غالب يشبه هذا الخطاب.

وبني قريظة بما فرق بينهم، حتى صرف الله كيدهم.

وقال المهلب لبنيه: «عليكم في الحرب بالمكيدة؛ فإنها أبلغ من النجدة».

يقوم أمر الحرب على الآراء الصائبة، والآراء الصائبة قد تبدو لقائد الجيش من النظر في طبيعة مواقع القتال، ومن تبصره بأحوال العدو التي يطلع عليها يوماً فيوماً، أو ساعة فساعة. لهذا كان من المعروف في سياسة الحروب أن قائد الجيش يفوض إليه أمر تصريف الحرب على ما يبدو له من رأي بعد استشارة ذوي الرأي من رجاله المخلصين.

كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يستشيره في دخول الدُّروب خلف العدو، فكتب إليه عمر: «أنت الشاهد، وأنا الغائب، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب».

وكتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب إليه المهلب: «إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره!».

*** إطلاع ولي الأمر على سير الحرب يوماً فيوماً:**

يفوض ولي الأمر إلى قائد الجيش تدبير شؤون الدفاع، واتخاذ وسائل قهر العدو، على وفق ما تقتضيه الفنون الحربية. وشأن ولي الأمر أن يكون على خبرة من أحوال الجند وسير الحرب، كما يكون على خبرة من أحوال العدو: يواصله بها قائد الجيش يوماً فيوماً، أو ساعة فساعة، حتى يصير كأنه يراها رأي العين.

ومن كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: «اكتب إليّ في كل يوم». وقال في كتاب آخر: «فصف لي منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم

وبين المدائن ـ عاصمة بلاد الفرس ـ صفة كأني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على جلية».

وإطلاع ولي الأمر على حال الجيش وموقف العدو أمامهم في كل ساعة، يدعوه إلى السهر والتفكير في وسائل سلامة الجيش، وإمداده بما يحتاج إليه من قوة.

ولا يمنع ولي الأمر تفويضه لقائد الجيش في أمر الحرب أن يتتبع سيرته، وينظر إليها بعين الناقد البصير، حتى إذا رأى فيها مأخذاً، نبهه له، أو بدا له رأي أصوب من رأي القائد، أبلغه إياه مصحوباً بالحجة.

انصرف أبو عبيدة في فتح الشام عن قلعة حلب إلى النواحي التي قربت من أنطاكية، فكتب إليه عمر بن الخطاب: «وأما ما ذكرت من انصرافك عن قلعة حلب إلى النواحي التي قربت من أنطاكية، فهذا بئس الرأي! أتترك رجلاً ملكت دياره ومدينته، ثم ترحل عنها، وتسمع أهل النواحي والبلاد بأنك ما قدرت عليه؟! فما هذا الرأي؟! فيضعف رأيك، ويعلو ذكره بما صنع، ويطمع من لم يطمع، فترجع إليك الجيوش، وتكاتب ملوكها، فإياك أن تبرح حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين».

*** الشورى في الحرب:**

استطلاع الآراء نافع في كل أمر، وهو في الحرب أحق بأن لا يستهان به؛ فإن رأي الجماعة أبعدُ عن الخطأ من رأي الفرد، لذا عني القرآن المجيد بالشورى، فقال تعالى لرسوله الكريم، وهو المؤيد بالوحي:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩].

والمراد من الأمر في الآية: أمر الحرب ونحوها من أمور الدنيا التي

يدركها الناس من طريق التجارب والممارسة؛ أما الأحكام الشرعية، فإنما تجيء من طريق الوحي.

نزل النبي ﷺ في غزوة بدر في منزل، فقال الحباب بن منذر: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «لا، بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فقال المنذر: ليس هذا بمنزل، انهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، فقال: «أشرت بالرأي»، وأخذ بما قاله الحباب.

*** كيف يكون قائد الجيش؟**

عرفنا قبل أن الدهاء مما يراعى في اختيار قائد الجيش، ويجب أن يكون قائد الجيش ـ مع هذا ـ شجاعاً قوي الجأش؛ فإن لشجاعته أثراً كبيراً في شجاعة الجيش أو جبنه، قال أبو بكر الصديق في وصيته ليزيد بن أبي سفيان، «ولا تجبن فيجبن الناس»، وقال المتنبي يمدح أبا الهيجاء:

الجيش جيشك غير أنك جيشه ... في قلبه ويمينه وشماله

يريد أن الجيش يتشجع بشجاعتك، ويقدم بإقدامك، ويهاب من أجلك.

وقال:

بالجيش تمتنع السادات كلهم ... والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع

وإذا كانت خصلة الثبات واحتمال المكاره مما يجب أن يغرس في نفوس الجند، فنفس القائد أحق بأن تكون مطبوعة على هذه الخصلة المجيدة، قال الشاعر العربي:

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الجيش مضطلعا

لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا

ولا يكفي لقيادة الجيوش عندما تلتهب نار الحرب إلا الرجل الذي كان قد خاض غمار الحرب من قبل، فذاق حرَّها، وثبتت قدمه لملاقاة خطوبها، قال أبو تمام:

من لم يسس ويطير في خيشومه رهج الخميس فلن يقود خميسا

وإنما يختار لقيادة الجيش من عُرف بالغيرة على الحق الذي قامت الأمة للدفاع عنه؛ فإن هذه الغيرة تزيد شجاعته قوة، وتفتح أمامه أبواباً من التدبير الناجح لا يبصرها قائد كان حظه من الغيره ضئيلاً.

فتح مغيث بن الحارث قرطبة، وأسر ملكها، وكانت للملك بنت ذات جمال، فأخذت تتعرض لمغيث بجمالها، فوكل بها من يسلك معها طريق الإرهاب حتى تقر بما تقصده من تعرضها لمغيث، فأقرت بأنها هيأت خرقة مسمومة لتتوسل بها إلى القضاء عليه، فأخبر مغيث بذلك، فقال: لو كانت نفس هذه الجارية في صدر أبيها، ما أخذت قرطبة في ليلة واحدة[1].

*** استكشاف حال العدو:**

إن معرفة قائد الجيش بحال عدوه المحارب، وما ينويه من أعمال حربية، تدعوه إلى أن يستعد له على قدر ما يستطيع من قوة أو مكيدة.

قال النبي ﷺ في واقعة الأحزاب: «من يأتيني بخبر القوم؟»، قال الزبير: أنا، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إن لكل نبي حواري، وحواريي الزبير».

وأسلم العباس ﷺ قبل فتح مكة، وكتم إسلامه، وكان يكتب بأخبار

(١) «نفح الطيب».

المشركين إلى رسول الله ﷺ حتى قال له ـ صلوات الله عليه ـ: «إن مقامك في مكة خير».

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: «وإذا وطئت أدنى أرض العدو، فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم»، ومما كتب له: «وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها».

* **التكتم في الحرب:**

من حزم قائد الجيش أن يكون تصريفه لشؤون الحرب محوطاً بستار، وتكون آراؤه مصونة بكتمان، ورب نكبة تأتي الجيش في اطلاع عدوه على ما بيته قائد الجيش من أمر.

بعث النبي ﷺ عبدالله بن جحش على رأس سرية، وناوله كتاباً مختوماً، وقال له: لا تفتحه إلا في مكان كذا، ولما وصل إلى ذلك المكان، فتحه، فإذا فيه «امض حتى تنزل نخلة، فتأتينا من أخبار قريش».

وكان ﷺ إذا أراد المسير إلى قوم، وَرَّى بغيرهم.

وقال أبو بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان: «وإذا قدمت عليك وفود العجم، فأنزلهم معظم عسكرك، وأسبغ عليهم النفقة، وامنع الناس من محادثتهم؛ ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين»، وفي رواية: «وكن أنت المتولي لكلامهم».

* **الاحتراس في الحرب:**

تقوم الحرب على المكيدة، فمن حزم قائد الجيش: أن يكون على حذر من الوقوع في مكيدة ينصبها له العدو.

خرج بغاة بخراسان على قتيبة بن مسلم، فقيل له: وجه إليهم وكيع

ابن أبي سود؛ فإنه يكفيهم، فقال: إن وكيعاً رجل به كِبْر، يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا، قلَّت مبالاته بعدوه، فلم يحترس منه، فيجد عدوه فيه غرة.

وقال بعض الحكماء: «الضعيف المحترس من العدو القوي، أقربُ إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف»:

لا تحقرن صغيراً في مخاصمةٍ   إن الذبابة أدمت مقلة الأسدِ

ومن أهم ما يتأكد الاحتراس منه: إذاعة الأخبار التي تبعث في النفوس ضعفاً، وفي العزائم وهناً، ولسد مثل هذا الباب من الفساد نزل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾[النساء: ٨٣].

فالآية واردة في قوم كانوا يسمعون أراجيف المنافقين، فيذيعونها ويكون في إذاعتها ضرر على المسلمين، وقد أرشدتهم إلى أن يرجعوا تلك الأنباء إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم؛ حتى يعرفوا ما يذاع، وما لا ينبغي أن يذاع.

*** حكم الجاسوس في الإسلام:**

في التجسس على شؤون الحرب، والإفضاء بها إلى العدو، شرٌّ كبير، فربما كان سبب نكبة القوم وابتلائهم بالهزيمة، جاسوسٌ يدل القوم على عورة من عوراتهم، أو يطلعه على خطة مبيتة من خططهم، وكان رسول الله ﷺ قد قتل جاسوساً من المشركين، وأفتى طائفة من الأئمة؛ كمالك بن أنس ـ رحمه الله ـ بإباحة دم المسلم إذا نقل شيئاً من أسرار شؤون الحرب إلى العدو.

*** الرفق بالجند ومعاملتهم بالعدل:**

لو تتبعنا سير القواد الذين أبلى الجنود تحت رايتهم بلاء حسناً، لوجدناهم

القواد الذين يعاملون الجنود بالرفق والإحسان في دائرة الحزم.

وفي وصية أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان: «وإذا قدمت على جندك، فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعدهم إياه».

وقال لخالد بن الوليد حين أرسله إلى المرتدين: «يا خالد! عليك بتقوى الله والرفق بمن معك».

وقال ابن الخطيب في «مقالته السياسية» حاثاً على الإحسان إلى الجنود: «ووفِّ ما أوجبت لهم من الجراية والنعمة»، وفيها: «واعلم أنها لا تبذل نفوسها إلا لمن يملك قلوبها بالإحسان، وفضل اللسان».

وجاء فيما عهد به عمر بن عبد العزيز إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال بعض المحاربين «وأمره أن يرفق بمن معه في سفرهم، ولا يجشمهم مسيراً يتعبهم، ويقصر بهم عن منزل يرفه بهم حتى يلاقوا عدوهم والسفرُ لم ينقص قوتهم».

*** تلقيهم أوامر القائد بحسن الطاعة:**

ذكرنا في وصف القائد: أن يكون ذا رأي، وشجاعة، وإخلاص، وحزم، ورفق بالجند، ونقول هنا: إن الجيش الذي يحمي الأمة، ويبني لها مجداً شامخ الذرا، هو الجيش الذي يجمع إلى الشجاعة، والمحافظة على آداب الشريعة: استعداده لتلقي أوامر القائد الأمين بحسن الطاعة، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأدب السامي في خطبة حجة الوداع، فقال: «يا أيها الناس! اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدَّع، فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله».

ومن أعظم ما يساق شاهداً على حسن الطاعة: قصة خالد بن الوليد،

إذ عزله عمر بن الخطاب عن الإمارة العامة للجيش الفاتح للشام، ووسد الأمر إلى أبي عبيدة بن الجراح، ورأى خالد أنه إنما يجاهد في الله، فسلم الإمارة إلى أبي عبيدة راضياً، واستمر على القتال تحت راية أبي عبيدة بإخلاص.

*** تحامي الاختلاف المؤدي إلى الشقاق:**

الشقاق يبعد ما بين النفوس، ويذهب بروح التناصر، فيفعل بالجند ما لا يفعله به عدو شاكي السلاح، وقد حذر القرآن المجيد منه، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

والآية تحذر من أن يقع تنازع بين أمراء الجيش، أو بين أفراده، أو بين الجيش وأمرائه؛ فإن ذلك كله موقع في فشل، وليس بعد الفشل إلا التقهقر، ثم ملاقاة ما يعقب هذا التقهقر من صَغار واستعباد.

ويتحامى الاختلاف الممقوت بالإغضاء عن الهفوات، ومقابلة كثير من المكروه بسعة الصدر، وطرح المسائل التي تكون منشأ الخلاف على بساط المحاورة في هدوء وسكينة، والدخول إلى بحثها من باب الإنصاف، والقصد إلى معرفة وجه الصواب، وأبعدُ المجاهدين عن التنازع من جعلوا نصب أعينهم ومناطَ هممهم رفعَ لواء الحجة وسلامة الأوطان، فهؤلاء هم الذين يسابقون إلى كل ما يحقق هذا الغرض المجيد، ويتحامون كل ما يمكن أن يكون عثرة في سبيله.

*** التخلف عن الدفاع:**

إنما ينهض الرجل للحرب دفاعاً عن قومه ووطنه؛ ليسلم له دينه وعرضه، وليتمتع بحياة الكرامة، فتخلفُه عنها وهو يستطيع أن يشهدها دليلُ ضعف

الإيمان، وانحطاط الهمة، ومدعاة إلى تخاذل الأمة، وانكسار شوكتها، لهذا كانت جنايته في نظر الشارع كبيرة، قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[التوبة: ٣٨].

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة: ٨١].

والخروج إلى جهاد العدو تفرضه الشريعة الغراء على الرجل بعينه متى دعاه إلى الخروج ولي الأمر المسلم، ومتى هجم العدو فجأة، ففي هذا الحال يجب على كل مستطيع أن ينضم إلى المدافعين، ولو لم تبلغه دعوة ولي الأمر.

*** الفرار من صفوف القتال:**

الفرار من صفوف القتال كبير المفسدة، وخيمُ العاقبة؛ ذلك أن الفارَّ قد يكون كاللبنة تسقط من أسفل الجدار، فيتداعى لسقوطها الجدار كله، لهذا عد الشارع الحكيم الفرار من الزحف من أكبر الجنايات، نهى الله المقاتلين من المؤمنين أن يولوا العدو ظهورهم، وقال:

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[الأنفال: ١٦].

وفي الفرار من وجه العدو عار يجعل الحياة بغيضة. وقال يزيد بن المهلب: والله! إني لأبغض الحياة بعد الهزيمة.

*** الوفاء بتأمين المحارب:**

إذا أعطى أحد الجند الأمان لأحد المحاربين، وجب احترام هذا التأمين،

ولا يجوز لأحد أن يتعرض لذلك المحارب بأذى، وإلى هذا يشير قوله ـ صلوات الله عليه ـ: «ويسعى بذمتهم أدناهم». وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من المشركين، وقال لها: «قد أجرنا من أمنت يا أم هانئ».

وحدث في عهد عمر بن الخطاب: أن عبداً أمن أهل بلد بالعراق، فكتب قائد الجيش وهو أبو عبيدة إلى عمر يأخذ رأيه في هذا التأمين، فكتب إليه عمر: «إن الله عَظَّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا، فوفوا لهم، وانصرفوا عنهم».

ومن المعقول أن يكون لقائد الجيش رأي في تأمين غيره لأهل بلد تأميناً يقتضي الانصراف عنهم، فإذا رأى أن مثل هذا التأمين قد يأتي بضرر، فله أن يبطله، ويجري على ما يتراءى له من المصلحة، وذهب بعض الفقهاء، وهو عبد الملك بن الماجشون إلى أن تأمين أحد الجنود لبعض المحاربين ينظر فيه القائد الأعلى، فإن لم ير في إمضائه ضرراً، أمضاه، وإلا، ردَّه.

*** مجاملة رسل العدو وعدم التعرض لهم بأذى:**

رسول العدو قد يأتي في شأن الصلح أو غيره مما فيه تخفيف شر الحرب، فمن حسن الرأي أن لا يتعرض للرسل بأذى، وأن يكونوا في أمن حتى يعودوا إلى قومهم؛ فإن التعرض لهم بأذى يقطع صلة الرسالة بين الفريقين، ويسد طريق المفاوضات التي يتوسل بها إلى عدم الدخول في الحرب، أو إنهائها إذا كانت ناشبة، ومكارم الأخلاق تأبى أن يتعرض للرسول بأذى، ولو أرسله قومه لإبلاغ ما عزموا عليه من محاربتنا، أو صدر منه كلام في تعظيم أمر قومه بقصد الفخر أو الإرهاب، وقد جرى نظام الإسلام في الحرب على هذا الأدب المقبول: قدم أبو رافع بكتاب من قريش إلى رسول الله ﷺ، فلما

رأى رسولَ الله، ألقي في قلبه الإسلام، فقال: يا رسول الله! إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «أما إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرُد، ولكن ارجع، فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن، فارجع»، قال: فرجعت، ثم أقبلت إلى رسول الله ﷺ، وأسلمت.

*** تجنب قتل من لا يقاتل:**

يحرِّم الإسلام قتل نساء المحاربين، وصبيانهم، والطاعنين في السن منهم، ورهبانهم إن لم يحاربوا، روى عبدالله بن عمر: أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان، وروى ابن عباس: أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان إذا بعث جيوشاً، قال: «لا تقتلوا أصحاب الصوامع»؛ يعني: الرهبان.

وقال أبو بكر الصديق في وصيته لجيش أسامة: «وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»، وقال: «ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة».

ومن وصايا عمر بن الخطاب لأمراء الجيش: «ولا تقتلوا هَرِماً، ولا امرأة، ولا وليداً، وتوقَّوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات».

ويلحق بهؤلاء في تجنب قتلهم: المريض، والمقعد، والأعمى، والمجنون، وكذلك روي عن النبي ﷺ النهي عن قتل العسيف، وهو الأجير، وبهذا يظهر أن الإسلام إنما يقصد من الحرب دفاع من يقصدون لأن يقاتلوا، ولا يصح القصد لقتل من ليس شأنه القتال.

*** معاملة الأسرى:**

إذا وقعت طائفة من العدو المحارب في أسرنا، لم يجز لأحد من الجنود أو غيرهم أن يمسهم بأذى، وإنما يرجع أمرهم إلى رأي ولي الأمر الواسع

الخبرة بوجوه المصالح، فيعاملهم بما تقتضيه خطة الحزم، وما تمليه سماحة الأخلاق، وذهب من علماء السلف الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح إلى أن ولي الأمر يخير في الأسرى بين أن يطلقهم على وجه المن، أو يطلقهم بفداء، وتمسكوا في هذا بقوله تعالى:

﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

وقع ثمامة بن أثال أسيراً في أيدي المسلمين، فجاؤوا به إلى النبي ﷺ، فقال: «أحسنوا إساره»، وقال: «اجمعوا ما عندكم من طعام، فابعثوا به إليه»، وكانوا يقدمون إليه لبن لقحة[1] رسول الله ﷺ غدواً ورواحاً، ودعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبى، وقال له: إن ترد الفداء، فسل ما شئت من المال، فأطلق النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ سبيله من غير فداء، ثم دخل بعد هذا المن في الإسلام.

ووقعت ابنة حاتم الطائي في أيدي المسلمين، وأنزلت بمكان يمر به النبي ﷺ، فتعرضت له، وقالت: هلك الوالد، وغاب الرافد ـ تعني أخاها عدياً ـ، فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك! فقال: «قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك» وأقامت حتى قدم رهط من قومها، فكساها رسول الله ﷺ، وحملها، وأعطاها نفقة، فخرجت معهم.

وأطلق ﷺ يوم فتح مكة جماعة من قريش وقعوا في الأسر قبل دخوله مكة، فكانوا يدعون: الطلقاء.

---

(١) اللقحة: الناقة الحلوب.

*** الدفاع في البحر:**

لم يدخل المسلمون في قتال بحري إلى عهد عثمان بن عفان ﷺ، وكان أول من ركب البحر فاتحاً: معاوية بن أبي سفيان، وقد أخبر النبي ﷺ في حياته بما يقوم به المسلمون من فتوح على طريق البحر. نام رسول الله ﷺ في بيت أم حرام بنت ملحان، وهي تحت عبادة بن الصامت، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوك على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة»، فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله» نحو ما قال في الأول، قالت: فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم! قال: «أنت في الأولين».

وقد أجاب الله دعاء النبي ﷺ لها، وعلم أن دعاءه قد استجيب، فقال لها: «أنت في الأولين»، وركبت أم حرام البحر مع زوجها عبادة بن الصامت في زمن معاوية لفتح «قبرص»، ولما خرجوا من البحر، صرعت عن دابتها، وتوفيت ودفنت هناك. وقيل: صرعت بعد عودتها إلى الشام.

وفي قوله ﷺ: «ملوك على الأسرة» مبالغة في فضل المحاربين في البحر، وترغيب في صرف الهمة إلى المهارة في ركوبه، وإنشاء أساطيل تكف أيدي الأعداء الممتدة من وراء البحار.

وأنشأ أمراء الإسلام من بعدُ أساطيل، واتخذوا لها مصانع، كما اتخذ حسان بن النعمان عامل أفريقية بإيعاز من عبد الملك بن مروان دار صناعة

بتونس لإنشاء الآلات البحرية.

ويلغ أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر نحو مئتي مركب، وكذلك كان أسطول تونس والمغرب الأقصى في قوة، ولو استمر المسلمون على العناية بالقوة البحرية، والتقدم في صنع وسائلها، لكان لهم شأن غير هذا الشأن.

*** عقد الصلح:**

قد يقتضي الحال عقد صلح بيننا وبين العدو، وقد استحب الشارع الحكيم عدم رفض الصلح متى رغب فيه المحاربون، فقال تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[الأنفال: ٦١].

وكان النبي ﷺ عقد بينه وبين كفار قريش صلحاً أتى بخير كثير، وهو صلح الحديبية. وشروط الصلح تختلف باختلاف قوة الأمة وضعفها، وملاكها أن يكون في عقد الصلح مصلحة عامة، وأن لا يكون من بين الشروط إباحة ما تحرمه الشريعة. والذي نريد التنبيه له في هذا الفصل: أن الصلح الذي يلقي بالأمة في خزي، ويجعل بطن الأرض خيراً لها من ظهرها، هو الصلح الذي يبعثها على السعي إليه، أو على قبوله حبُّ الحياة، وكراهة الموت، فتحتمل مهانته وهي تستطيع دفعه بالرجال والسلاح، قال تعالى:

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾[محمد: ٣٥].

وهذا شاعر عربي يأبى لقبيلته أن تتقبل صلحاً إلا أن يكون لها السلطان في وطنها، وتبقى منابرها التي هي مصادر الأمر والنهي في قبضتها، فقال:

ولا صلحَ ما دامت منابرُ أرضنا ... يقوم عليها من ثقيفَ خطيبُ

*** تخليص الأسرى من أيدي العدو:**

يقع الفرد أو الطائفة في أسر العدو، ولا يعد هذا وحده دليل الجبن أو

التقصير في الدفاع، حتى يجر إلى صاحبه عاراً، أو يسيغ لمن بيدهم الأمر أن يصرفوا عنه أنظارهم، ويتركوه في أيدي العدو، يلاقي المهانة أو سوء العذاب.

كان هاشم بن عبد العزيز أحد وزراء محمد بن عبد الرحمن الأموي بالأندلس قائد جيش، ووقع أسيراً في يد العدو، فنسبه الأمير محمد إلى الطيش والاستبداد بالرأي، فقام الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم يدافع عنه في مجلس الأمير، ومما قال في الاعتذار عنه:

«إن هاشماً قد استعمل جهده، واستفرغ نصحه، وقضى حق الإقدام، ولم يكن ملاك النصر بيده، فخذله من وثق به، ونكل عنه من كان معه، فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه، حتى ملك مقبلاً غير مدبر، ومبلياً غير فشل، فجوزي خيراً عن نفسه وعن سلطانه، فإنه لا طريق للملام عليه، وليس عليه ما جنته الحرب القشوم». فأعجب الأمير بكلام الوليد، وأقصر فيما بعد عن تفنيد هاشم، وسعى في تخليصه.

فمن واجبات الدولة أو الأمة: تخليص من يقع في أسر بالوسائل المستطاعة من مال أو غيره، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا الواجب بقوله: «فكوا العاني ـ الأسير ـ، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض».

*** تقدير البطولة:**

البطل يقف المواقف الخطيرة، ويجود بحياته في دفاع العدو؛ لتعلو كلمة الحق، وتحيا الأمة حياة الكرامة، فهو جدير بأن يلاقي من الأمة التبجيل والتكريم. وشعور البطل بأنه يعمل لخير أمة تقدر رجالها حق قدرهم، مما يزيد إقباله وثباته على الدفاع قوة، وإذا شعر غيره بهذا التقدير، فقد يقوى

حرصه على أن يسلك سبيله، ويبذل كل ما يعز عليه في سبيل سلامة الوطن، وسيادة الأمة.

سئل بعض الحكماء عن أشد الأشياء تدريباً للجنود، فذكر أشياء، وقال: «الإكرام للجيش بعد الظفر، والتشريف للشجاع على رؤوس الناس».

ولتكريم الأبطال مظاهر: منها: الاحتفال بتوديعهم عند الخروج للحرب؛ كما خرج الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ يشيع أسامة بن زيد والجيشَ المسافر معه إلى الشام، وكان أبو بكر ماشياً على قدميه، وأسامة راكباً راحلته.

وخرج عمر بن الخطاب ﷺ يشيع سعد بن أبي وقاص والجيشَ المسافر إلى فتح فارس حتى بلغ موضعاً يقال له: الأعوص، وهناك خطب فيهم خطبة أوصاهم فيها بالعدل والرحمة، إلى نحو هذا، وعاد إلى المدينة.

وكان اليوم الذي خرج فيه أسد بن الفرات[1] من القيروان لفتح صقلية يوماً مشهوداً.

ويضاهي هذا: استقبالهم، والاحتفاء بهم عند إيابهم من حرب أبلوا فيها بلاء حسناً.

ومن مظاهر تقدير الأبطال المخلصين: عناية ولي الأمر بأن يكون عيشهم في رخاء، وأن يكونوا في أمن على إصلاح شأن أطفالهم إذا استشهدوا.

جمع رسول الله ﷺ لسلمة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفارس، فأعطاه خمسة أسهم؛ لعظم غَنائه في تلك الغزوة.

وزاد عمر بن الخطاب في عطاء فتاة من بيت المال، وقال: «إن

---

(١) توفي أسد في حصار «سرقوسة» شهيداً، وهو أمير الجيش وقاضيه سنة ٢١٣.

أباهـا فتـح حصنـاً».

ومن وجوه تقدير الأبطال: صوغ عبارات الشكر والثناء عليهم في نظم أو نثر، وفي الأدب العربي قسم عظيم في الثناء على الأبطال، والتنويه بذكر مقاماتهم المجيدة، قال أبو تمام:

كـم بـين قـوم إنمـا نفقـاتهم ... مـال وقـوم ينفقـون نفوسـا

وبطولة الرجل تطلق الألسنة بتمجيده، حتى ألسنة خصومه الذين تجرعوا من شدة بأسه مرارة، خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك، فوجه لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك، وثبت يزيد بن المهلب في قتاله، وأبى أن يفر، وقد تسلل عنه أعوانه، حتى قتل، وأراد أحد جلساء يزيد بن عبد الملك أن ينال من ابن المهلب، ويحط من شأنه، فقال له يزيد بن عبد الملك: «إن يزيد طلب جسيماً، وركب عظيماً، ومات كريماً».

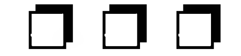
عش عزيزاً أو مـت وأنـت كـريم ... بـين طعـن القنـا وخفـق البنـود

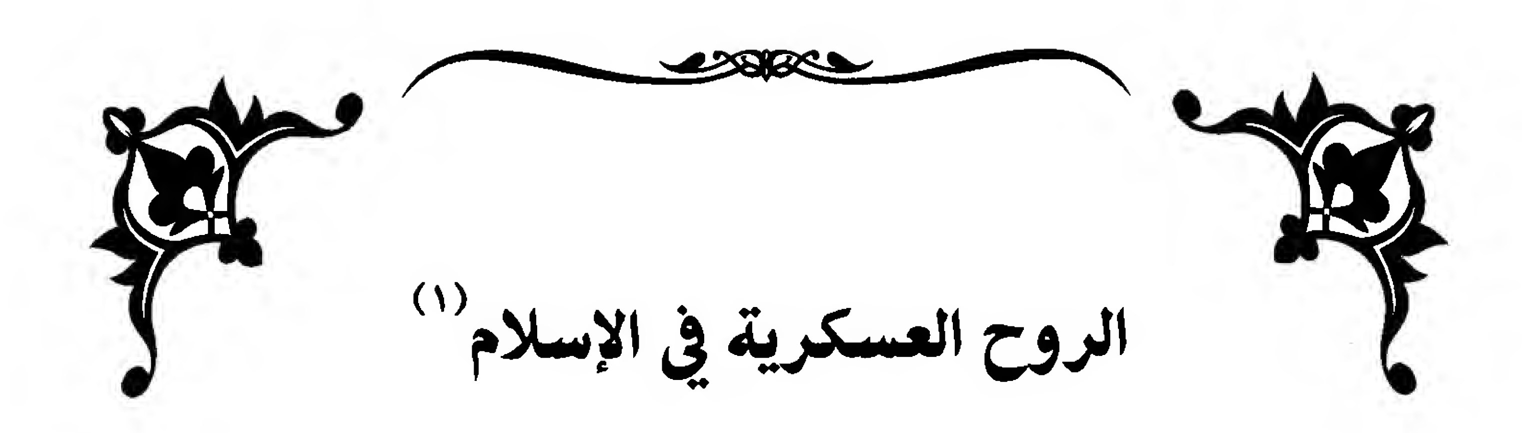
ومن تقدير البطولة: الإغضاء عن أخطاء تصدر من البطل وهو يحارب العدو بعزم صميم، وعدم مناقشته الحساب على مآخذ قد يشفع له فيها إخلاصه، والإخلاص القائم بجانب البطولة شفيع أي شفيع!.

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد لدعوة بني جذيمة إلى الإسلام، فسبقت يد خالد إلى قتل رجال منهم باعتقاد أنهم يستحقون القتل، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فأنكر ما فعل خالد، وقال: «اللهم أني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد!»، وأرسل إلى بني جذيمة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ديات من قتلوا، وأعطاهم قيم ما أصيب من أموالهم، وزادهم على ما استحقوا من الديات وقيم الأموال، ولم يعزل خالداً عن قيادة الجيش.

وفي الختام أقول: هذه فصول في آداب الحرب أسوق حديثها تذكرة لجيوشنا الإسلامية في مصر وغير مصر، عسى أن يقرؤوها بتدبر، ويستقيموا على طريقتها، فتخفق ألويتهم بالنصر، ويخرجوا بلاد الإسلام من خمول إلى نباهة شأن، ومن هُون إلى عزة، قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].





الروح العسكرية في الإسلام[1]

نقلِّب النظر في تاريخ الأمم التي بلغت الذروة في العزة والسيادة، فنجدها إنما بلغت تلك الذروة بما ملكت من قوة الروح العسكرية، فبقوة الروح العسكرية تسلم البلاد من خطر يمتد إليها من الخارج، وبهذه القوة يستتب الأمن في داخل البلاد على ما يرام، ذلك أن قوة الروح العسكرية تجعل الأمة قوية الشوكة، نافذة الإرادة، مرهوبة الجانب.

وقد كان في الأمة العربية وهي في جاهليتها روح عسكرية شديدة البأس، يتمثل هذا في أشعارهم، وكثرة أيام حروبهم، ولكنها روح قد تخرج عن حدود العدل، ولا تبالي أن تبدأ بالظلم، فجاء الإسلام وعدَّلها، وهذَّب حواشيها، وحاطها بنظم حكيمة، فانتقلت إلى طور أرقى، ولبست رداء أنقى، وأصبحت هذه الروح مصدر خيرات لا يتلقاها الناس إلا من ناحيتها.

وليس من شك في أن الدفاع عن الحقوق والمصالح الخاصة أو العامة يعد في أمجد الأعمال التي يتنافس فيها حماة الحرية وأنصار الإنسانية.

تقوى الروح العسكرية في القوم متى طبعوا على خلق الشجاعة، واستنارت أذهانهم بمعرفة فنون الحرب، وملكوا من وسائل الدفاع ما يقتضيه حال العصر، فلا عجب أن ترى القرآن الكريم قد توجه إلى هذه الأصول الثلاثة

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد السادس عشر.

بعناية كبيرة، فأرسل الحِكَم التي تربي في النفوس خلق البطولة، وحفز الدواعي لإعداد وسائل الحرب، ونبه لا تباع النظم التي تخفف وطأة الحرب، وتقرب من النصر.

فالظفر في الحرب بعيد من الجبناء، وبعيد ممن لا يعدون للحرب عدتها، وبعيد ممن يهملون النظم التي يمليها العلم، أو يستمدها القواد الأذكياء من الوقائع نفسها.

أما عناية القرآن الكريم بخصلة البطولة والإقدام، فقد أقبل على النفوس، وأخذ ينقيها من رذيلة الجبن والإحجام، ويذكرها بسوء عاقبة الجبناء؛ كقوله تعالى:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[التوبة: ٨].

فقد أشارت هذه الآية إلى أن عاقبة الجبناء الابتلاءُ بذي قوة لا يعرف للعهد حرمة، ولا يقيم للعدل وزناً، ومن الذي يرتاب في أن الموت في مواطن البطولة أشرف من حياة يغمرها الذل والهوان؟ قال المتنبي:

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

ومن الآيات المنبهة على أن الجبناء قد فقدوا جانباً من رجولتهم: قوله تعالى في توبيخ قوم تأخروا عن المحاربين في سبيل الإصلاح، وقعدوا بين من لم يخلقن للطعن والضرب:

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾[التوبة: ٨٧].

ولا يتوارى الرجل عن أعين القوم، أو يسل يده من أيديهم في حرب لهم فيها أمن أو سيادة إلا أن يكون حظه من الرجولة ضئيلاً أو مفقوداً.

ومما اتخذه القرآن وسيلة لتربية الشجاعة في النفوس: عقيدة القضاء والقدر، فقال تعالى في الرد على قوم يظنون أن من لا يخرجون إلى القتال تمتد آجالهم:

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[آل عمران: ١٥٤].

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران: ١٦٨].

فالإنسان مطالب بالحذر من مواقع الخطر والتهلكة، ولكن الإقدام في الدفاع عن العزة والكرامة لا يعد من قبيل الإلقاء بالنفس في تهلكة، وإنما هو قيام بواجب، فإن قضاه وعاد سالماً، فقد استحق الحمد، وعرف أن أجله لم يجئ بعد، وإن أصيب فقتل، فإنما هو أجله المقدور الذي لا يتأخر ساعة ولا يتقدم قد أدركه في أشرف حالة، هي المسابقة إلى دفع أيدٍ عادية عن نفوس بريئة، أو أعراض مصونة، وأموال محترمة.

وأما عناية القرآن بإعداد وسائل الدفاع، فحسبنا شاهداً عليها: قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠].

وقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي؛ نظراً إلى أن الرمي أهم وسائل الدفاع، وأقواها أثراً في الانتصار، وما زلنا نرى معظم أسباب الفوز في الحروب عائداً إلى الرمي، فالمدافع والطائرات والغواصات إنما تفعل ما تفعل بقوة الرمي.

ونبه القرآن الكريم في آية أخرى على أن قاصد الحرب شأنه أن يأخذ الأهبة للحرب قبل النهوض إليها، فقال تعالى في وصف قوم من المنافقين أضمروا عدم الخروج إلى الحرب من أول الأمر، ثم استأذنوا النبي ﷺ في التخلف:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾[التوبة: ٤٦].

وأما عناية القرآن باتباع ما تقتضيه النظم الصالحة، فمن الآيات المشيرة إليه: قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ومن مقتضى هذه الآية: أن الشجاعة، واستيفاء وسائل الدفاع المادية لا يغنيان عن الأخذ بالنظم التي هي أثر التجارب والبصائر النافذة.

وفي كتب السنة والغزوات النبوية أحاديث كثيرة ترشد إلى أن من أهم وسائل الفوز: اتباع النظم التي تستدعيها مصلحة القتال.

يبث القرآن الكريم في النفوس روحاً عسكرية قوية صادقة، فلا جرم أن يكون المؤمن بحق قوي الجأش، محافظاً على نظم الدفاع، آخذاً بوسائله ما استطاع، وكذلك كان الناس في عهد الأمراء المظفرين.

ومن أسباب قوة الروح العسكرية فيما سلف: أن رؤساء الجند يقدرون عمل الجندي، ويعرفون أثره الخطير في سلامة الوطن، ورفعة شأن الأمة، فلا يكون منهم إلا أن يرعوا الجنود برفق، ويذيقوهم حلاوة التمتع بالكرامة في دائرة الحزم، ويرفعوا درجاتهم على قدر كفاياتهم لجلائل الأعمال وملاقاة الأخطار.

كانت الروح العسكرية مظهراً من مظاهر التقوى، ومعدودة في الخصال التي يرتفع بها أفاضل القوم درجات، وكان العلماء يحرصون على أن يكون لهم منها أوفر نصيب، وإذا رجعنا إلى تاريخ العلماء الأجلاء، وجدنا كثيراً منهم كانوا يسابقون في ميادين الحروب، وكان كثير من القضاة يقودون الجيوش؛ مثل: أسد بن الفرات قاضي القيروان وفاتح صقلية، ويحيى بن أكثم قاضي بغداد، ومنذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة، ونجد في تراجم كثير من العلماء أنهم توفوا في غزوات، أو مرابطين في الثغور. وكان تقدير العلماء للروح العسكرية واتصالهم بها من أسباب قوة هذه الروح وسريانها في الأمة قاطبة.

وإذا بدا لنا أن نبحث عن أسباب ضعف هذا الروح بعد تلك القوة، تراءت لنا أسباب شتى، منها: أن التعليم الديني اتجه إلى النظر أكثر من اتجاهه إلى العمل، كأن إدراك أصول الدين وأحكامه هو الغاية الأخيرة من تعلمه، ومنها: انحدار الناس في الشهوات، والتنافس في الزينة والملاذ الجسمية؛ من نحو: الإسراف في الملابس والمطاعم، وقضاء الوقت في لهو ونوم.

قال الوزير حسن بن عبده يخاطب المستظهر أحد أمراء الأندلس:

أخوض إلى أعدائكم لجج الوغى   وأسري إليهم حيث لا أحد يسري

وقد نام عنهم كل مستبطن الحشا   أكول إلى الممسى نؤوم إلى الظهر

ومما يصح أن يذكر في أسباب ضعف الروح العسكرية بعد تلك القوة: ما عرض لبعض الناس من الخطأ في فهم التوكل والزهد.

أما التوكل، فجروا فيه على معنى: ترك تعاطي الأسباب، ولابس أذهانهم: أن التوكل لهذا المعنى قد يغني عن الأخذ بوسائل الدفاع، ونسي هؤلاء أن التوكل الصحيح في تعاطي الأسباب، واستمداد الحول والقوة من الله.

وأما الزهد، فجروا فيه على معنى: إيثار العزلة والانقطاع عن المجتمع، ونفض الأيدي من كل أمر ما عدا العبادات؛ من نحو: الصلاة، والصيام، فانصرفوا عن كل ما تخيلوه أمراً دنيوياً، وكان من جملة ما تخيلوه أمراً دنيوياً: إعداد وسائل الدفاع، والنهوض إلى الدفاع، وبهذا فقد الزهد المشروعُ ركناً من أركانه الذي هو مكافحة الباطل، وحماية الحقوق العامة والخاصة حسب الطاقة.

وكثيراً ما تظهر الروح العسكرية في آداب أهل العصر، فمن البعيد أن تسمع من جبان يعيش في بيئة مقهورة أمثال قول الشاعر:

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم ... ولَـوَوا عمـائمهم علـى الأقمـار
إن خَوَّفـوك لقيـت كـل كريهـة ... أو أَمَّنـوك حللـت دار قـرار

وإنما تظهر الصورة الرائعة من معاني الحرب والحماسة في عهد أو موطن يُعنى فيه القوم بملاقاة الحروب، أو التأهب لها.

وأنشأ عبد الرحيم بن نباتة خطباً طافحة بمعاني الدفاع والتشويق إليه، فأبدع فيها ما شاء، حتى قالوا: إنه لم يؤلف في هذا الغرض مثلها، وإنما اتجه ابن نباتة هذا الاتجاه، وبرع هذه البراعة؛ لأنه كان يعيش بحلب في عهد سيف الدولة، وكان سيف الدولة كثير الغزوات، وذلك العهد أملى على المتنبي كثيراً من المعاني المتعلقة بالحرب والشجاعة، وبمثل ذلك ارتقى شعره، وازدهى بكثير من الحكم السامية، كما قال:

عش عزيزاً أو مـت وأنـت كـريمٌ ... بـين طعـن القنـا وخفـق البنـود

وقال:

وقفت وما في الموت شك لواقفٍ ... كأنك في جفن الردى وهـو نـائمُ

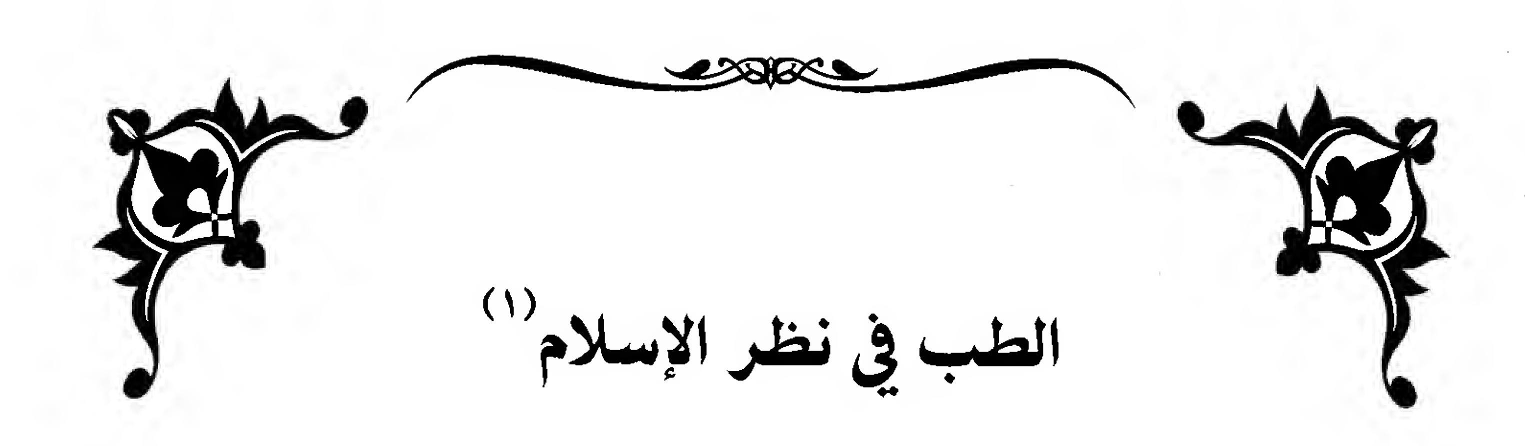
تمر بـك الأبطـال كلمـى هزيمـة　　　ووجهـك وَضَّـاح وثغـرك باسـمُ

تتبعت بيئاتُ الخلاعة والانحدارِ في اللذات الشعرَ الذي يبعد النفوس عن الرجولة، ويذهب بها في الانحلال حتى لا تكاد تتماسك، ولكن بيئات الشجاعة والحروب هي التي تصدر من الشعر ما كان جزل المعنى، آخذاً بالنفوس إلى الشهامة، والطموح إلى العزة، تجد هذه الروح حتى في الشعر الذي ينحو فيه قائله نحواً من الغزل؛ كما قال أبو العطاء السندي:

ذكرتـك والخطـيُّ يخطـر بيننـا　　　وقـد نهلـت منـا المثقفـة الـسُّمْر

وصفوة هـذا الحديـث: أننا اليوم في نهضـة اجتماعيـة، والنهضـات الاجتماعية لا تقوم إلا على نفوس قويـة، ولا قوة إلا بالشـجاعة، واقتحـام الشدائد، وعدم المبالاة بالأخطار، وذلك ما ندعو إلى أن يكون الروح المالئة لصدور شبابنا وكهولنا وشيوخنا، وقد عرفتم كيف كانت هذه الروح عنوان الشرف، ومرقاة السلامة والعزة، وقد قدر أهل العلم هذه الحكمة قدرها، وراعوها في كثير من الأحكام المستنبطة بالاجتهاد، وكانت فتاواهم في كل شأن يتصل بأمر الدفاع أساس الحياة الصحيحة، وأنه مصلحة يسقط بجانبها كل ما يجحف بها من مصالح الأشخاص والجماعات.

❑ ❑ ❑



الطب في نظر الإسلام[1]

عُرف الإسلام بأنه يدعو إلى التوكل على الخالق ـ جل شأنه ـ، ويوجه القلوب إلى تفويض الأمور إليه في كل حال، وهو إن عد التوكل والتفويض إلى الله في جملة آدابه، لم يهمل النظر في الأسباب، وارتباطها بمسبباتها، فأذن، بل أمر بتعاطي ما دلت العقول والتجارب على أنه مجلبة خير، ونهى عن القرب مما عرف بأنه مجلبة شر، والتوكل والأخذ بالأسباب يلتقيان في نفس واحدة ما شد أحدهما بعضد الآخر: التوكل أدب نفسي يبتغى به رضا الخالق ومعونته، والأخذ بالأسباب عمل يجري على سنن الله في الخليقة، فمن وكل أمره إلى الله، ثم تعاطى أسبابه، وصل إليه من أرشد الطرق، وعاد منه بأحسن العواقب.

والطب إنما هو من قبل الأسباب التي أذن الإسلام في تعاطيها، وهو من أشرف الصناعات، وشرف الصناعة على قدر ما يترتب عليها من نفع الأمة، وتقويم أود حياتها.

ونفعُ الطب في حماية الناس، أو إنقاذهم من كثير من المهالك، أمرٌ جلي لا يحتاج إلى بسط واستدلال. ولا جرم أن يتجه الإسلام بشيء من العناية إلى الطب، ذلك أنه يريد من الأمة أن تكون عزيزة الجانب، مهيبة السلطان

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول والثاني من المجلد التاسع عشر.

حتى تستطيع أن تنفذ ما أمر الله به من إصلاح، وتتحامى ما نهى عنه من فساد، وإنما يعز جانبها، ويهاب سـلطانها، متى كانت كثيرة العدد، قوية الأيدي، والطب من أهم الوسائل إلى كثرة النسل، وقوة الأجسام.

ومن المعروف أن في سلامة الأجسام معونة على انتظام الأفكار، وسداد الآراء، وسماحة الأخلاق، وإنما تتفاضل الأمم برجاحة عقولها، واستقامة أخلاقها.

وإذا تحدثنا عن الطب في هذه المحاضرة، فإنما نقصد إلى معالجة الأمراض الحاصلة في الحال، ووقاية الأبدان من أن تصاب بها في المستقبل، وذلك ما يدعى بحفظ الصحة، وكذلك قال جالينوس: الطب: حفظ الصحة، وإزالة العلة.

لما دخل عضد الدولة بغداد، دخل عليه من الأطباء: أبو الحسن الحراني، وسـنان بن ثابت، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: الأطباء، قال: نحن في عافية، وما بنا حاجة إليهم، فقال له سنان: أطال الله بقاء مولانا، موضوع صناعتنا حفظ الصحة، لا مداواة المرضى، والملك أحوج الناس إلى حفظ الصحة، فقال عضد الدولة: صدقت، وقرر لهما الجاري السنوي، وقربهما إلى مجلسه في طائفه من الأطباء.

رفع الإسلام من شأن الطب: مداواة العلل، وحفظ الصحة، وعرف هذا من القرآن الكريم، وأقوال النبي ﷺ وسيرته.

أما القرآن الكريم، فقد أذن في ترك بعض الفرائض متى كان القيام بها يؤثر في الصحة بإحداث مرض، أو زيادته، أو تأخر برئه، وشرَّع في أحد هذه الأحوال التيمم بدل الوضوء أو الغسل، كما أذن للمريض والمسافر أن يترك

كل منهما الصيام الواجب، ويقضي المريض الأيام التي أفطر فيها عندما تعود إليه صحته، كما يقضي المسافر أيام إفطاره عندما ينقطع سفره، قال تعالى:

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة: ١٨٤].

والإذن في الفطر للمسافر من قبيل حفظ الصحة؛ فإن السفر مظنة التعب، والتعب من مغيرات الصحة، فإذا وقع فيه الصيام، ازداد التعب، فيزداد تغير الصحة.

وحرَّم القرآن الدم، ولحم الخنزير، والميتة، وما ألحق بها من المنخنقة، والموقودة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وسر هذا التحريم: أنها مؤثرة في الصحة كما بين هذا الأطباء في القديم والحديث، وقد تحدث الأطباء في هذا العصر عن مضارها من جهة الصحة بأوسع بيان.

وحرَّم القرآن مباشرة الحائض، وقد بسط الأطباء أيضاً في مضار هذه المباشرة بها من جهة الصحة؛ مما يدل على أنه تحريم شارع حكيم.

وحرّم القرآن الخمر، والزنا، وما يشبه الزنا، ولهذه المحرمات مضار صحية، علاوة على المضار الاجتماعية، وكذلك فعل الأطباء اليوم، فكشفوا القناع عن هذه المضار الصحية، فنترك الكلام عن هذه المضار لحضرات الأطباء المحققين.

في «الكشاف»: يحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان، فقال له: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابه، قال: وما هي؟ قال:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[الأعراف: ٣١].

أما أقواله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فمنها: ما رواه مالك في «موطئه» عن زيد بن أسلم: أن رجلاً في زمن النبي ﷺ جرح، فاحتقن الدم، وإن الرجل دعا رجلين من بني أنمار، فقال لهما رسول الله ﷺ: «أيكما أطب؟»، فقال: أو في الطب خير يا رسول الله؟ فقال: «أنزل الدواء الذي أنزل الداء».

وعن هلال بن يسار: أن رسول الله ﷺ دخل على مريض يعوده، فقال: «أرسلوا إلى الطبيب»، فقال قائل: وأنت تقول يا رسول الله؟ قال: «نعم، إن الله ﷻ لم ينزل داء إلا أنزل له دواء».

ونهى عن التنفس والنفخ في إناء الشراب أو الطعام حتى لا يتناول الإنسان الطعام أو الشراب وقد ما زجه ما لا خير في امتزاجه به.

وأما سيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فإنه كان يتعاطى بعض الأدوية؛ كما تداوى للجرح الذي أصابه في غزوة أحد، وأذن في الاحتجام عند تبوُّغ الدم، واحتجم في الأخدعين والكاهل. وثبت في الصحيح: أنه بعث إلى أُبيّ ابن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً، وكواه عليه. وجاء في الحمية: أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رأى علي بن أبي طالب يأكل عنباً، فقال له: «مه مه يا علي؛ فإنك ناقه»(١).

ومما جاء في الوقاية: نهيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن الإقدام على أرض فشا فيها الوباء، فقال: «إذا سمعتم بالطاعون في أرض، فلا تدخلوها»، وفي رواية: «فلا تقدموا عليها».

ومما جاء من هذا القبيل: تحذيره ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مخالطة بعض ذوي الأمراض السارية؛ كالجرب والجذام، وقال: «فرّ من المجذوم

---

(١) رواه الترمذي.

كما تفر من الأسد».

قال ابن خلدون: وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، متوارث عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعي، ولا على موافقة المزاج.

وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم أطباء معروفون؛ كالحارث بن كلدة، وغيره، والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عادياً للعرب، ووقع في ذكر أحول النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلَّة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل؛ فإنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب، ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»، فلا ينبغي أن يحمل شيء في الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك، وصدق العقد الايماني، فيكون له أثر عظيم في النفع.

وذهب ابن القيم في «زاد المعاد» غير هذا المذهب، فقال: وليس طبه ﷺ كطب الأطباء؛ فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب.

ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة؛ فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان،

فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور إن لم يتلق بهذا التلقي، لم يحصل به شفاء الصدور، ثم قال: «فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية».

ونحن نرى أن الطب النبوي لا يلزم أن يكون وحياً، ولكن ما يقوله النبي ﷺ في هذا الشأن لابد أن يكون صحيحاً؛ كبقية المسائل الطبية المشهود بصحتها في علم الطب، وننبه هنا على أحاديث طبية تنسب إلى النبي ﷺ، ونسبتها غير ثابتة.

منها: حديث: «المعدة بيت الدواء، والحمية رأس الدواء»، يورده بعضهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ولم يثبت هذا عند المحدثين، بل قالوا: هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو كلام غيره.

ومنها: حديثه: «البطنة أصل الداء، والحمية أصل الدواء، وعودوا كل بدن ما اعتاد»، أورده الغزالي في «الإحياء»، وقال المحدثون: ليس له أصل.

ومنها: حديث: «المعدة حوض البدن، والعروق إليه واردة، فإذا صحت المعدة، صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة، صدرت العروق بالسقم». ولا يعرف هذا من كلام النبي ﷺ، وإنما هو من كلام عبد الملك ابن سعيد بن الحارث.

وأدرك الفقهاء رعاية الدين لحفظ الصحة والطب، فبنوا كثيراً من الأحكام الشرعية على رعايتها، فتراهم يفتون بمداواة الأجنبي للمرأة عند الضرورة، وإن اقتضى العلاج أن يطلع على ما لا يباح الاطلاع عليه.

وأفتوا بقبول قول الطبيب في كثير من الوقائع، والاعتماد عليه في

القضايا؛ نحو: الجنائيات، ومن هنا نشأ ما يسمى في هذا العصر بالطب الشرعي، ويسميه بعض علماء الهند بالطب الحكمي، وقالوا في تعريفه: هو المعارف الطبية والطبيعية المستعملتان في الأحكام الواقعة بين الناس.

وفي أمثال هؤلاء يقول بعضهم:

أعمى وأفنى ذا الطبيب بكحله ودوائه الأحياء والبصراء

فإذا رأيت رأيت من عميانه أمماً على أمواته قرّاء

وأجمع الفقهاء على أن الطبيب الماهر إذا عالج مريضاً، فأخطأ في اجتهاده، وتولد من معالجته تلف عضو أو نفس، أو ذهاب صفة، فلا ضمان عليه، بخلاف المتطبب الذي لم يتقدم له معرفة بالطب يقدم على معالجة عليل، فيترتب على علاجه تلف عضو أو نفس، فإنه يضمن[1].

ويعللون بعض الأحكام الشرعية بوجوه ترجع إلى حفظ الصحة.

أمر النبي ﷺ بغسل الإناء الذي يلغ فيه الكلب سبع مرات، إحداهن بالتراب، فذكر الفقيه ابن رشد في تعليل هذا الحكم، فقال: ليس من سبب النجاسة، بل من سبب ما يتوقع أن يكون الكلب الذي ولغ في الإناء كَلِباً، فيخاف من ذلك السم، قال الحفيد: وقد اعترض عليه فيما بلغني بعض الناس بأن قال: إن الكلب الكَلِبَ لا يقرب الماء حين كَلَبِه. قال: وهذا الذي قالوه عند استحكام هذه العلة بالكلاب، لا في مبادئها، وفي أول حدوثها، فلا معنى لاعتراضهم.

---

(١) وأصل هذا ما رواه أبو داود، والنسائي: أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «من تطبب، ولم يعلم منه الطب قبل ذلك، فهو ضامن».

وقال طائفة من محققيهم: إن المجذومين إذا كثروا يمنعون من المساجد والمجامع، ويتخذ لهم مكان ينفردون به عن الأصحاء، ويجري هذا الحكم في الجرب، وبعض أنواع الحمى التي يقرر الأطباء أنها أمراض سارية.

وعرف علماء الشريعة فضل صناعة الطب، وأنها من الأعمال التي تكسب حمداً، فأنفقوا فيها جانباً من أنظارهم وأوقاتهم، وأضافوها إلى علومهم الشرعية.

ومن هؤلاء العلماء رجال بلغوا في علوم الشريعة الذروة، منهم: الإمام أبو الحسن علي سيف الدين الآمدي، وأبو عبدالله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، والإمام أبو عبدالله المعروف بالمازري؛ فقد كان هذا العالم كما قالوا في ترجمته: يفزع إليه في الطب كما يفزع إليه في الفتوى في الفقه، والفيلسوف محمد بن أحمد بن رشد، وهو مؤلف «بداية المجتهد» في الفقه، وكتاب «الكليات» في الطب، والعلامة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، فقد كان يجمع بين الفقه والطب.

وظهرت عناية العلماء بهذه الصناعة في الإقبال على تدريسها، والتأليف فيها.

وعني أمراء الإسلام بالطب، ولهذه العناية أربعة مظاهر:

أولها: تقريب الأطباء على اختلاف مللهم، وإسعادهم بالأرزاق الواسعة، والمناصب العالية؛ فقد نال عبد الملك بن أبحر الكناني لدى عمر بن عبد العزيز حظوة، وكان عمر يستطبه، ويعتمد عليه في صناعة الطب، ونال ابن أثال حظوة عند معاوية بن أبي سفيان، فكان معاوية يستطبه، ويحسن إليه، ويكثر من محادثته.

ومن عناية سيف الدولة بالأطباء: أنه كان يحضر على مائدته أربعة وعشرون طبيباً.

وقد يبلغ الطبيب أن يكون رفيع الشأن في دولة، فإذا تغيرت، وقامت دولة أخرى مكانها، استمرت منزلته في رفعة واحترام؛ كأبي بكر بن زهير: كان ذا حظوة في دولة المرابطين بالمغرب، ولما خلفتها دولة الموحدين، لقي من هذه الدولة أيضاً الإقبال والإكرام.

أما إحرازهم المناصب العالية، فقد تولى الطبيب رفيع الدين الحبلي منصب قاضي القضاة بدمشق، وتولى ابن المرخم يحيى بن سعد منصب قاضي القضاة في أيام المقتفي ببغداد، وكان طبيباً في المارستان المحمول، وفَصَّاداً فيه. وتولى الوزارة في عهد يعقوب المنصور سلطان المغرب أبو بكر بن نصر، وهو كما قالوا بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطب عذب معين، كما تولى الطبيب يحيى بن إسحاق الوزارة لعبد الرحمن الناصر، وحظي عنده بمنزلة رفيعة، ويدلكم على أن لصناعة الطب شرفاً يناسب الوزارة: أن هذا الطبيب الوزير قد يلجأ إليه المبتلون بأمراض عسرة وهو وزير، فيتولى علاجها بنفسه.

ثانيها: نقل كتب الطب إلى العربية، وجرى هذا في عهود طائفة من الخلفاء والأمراء؛ مثل: خالد بن يزيد بن معاوية، والمأمون، ومحمد بن عبد الملك الزيات، ومحمد بن موسى بن عبد الملك.

ودخل معظم كتب جالينوس الطبية في العربية بنقل حنين بن إسحاق، أو تصحيحه لها بعد نقلها، وظهر بعد نقل هذه الكتب إلى العربية مؤلفات عربية اللهجة؛ ككتاب «القانون» لابن سينا، وغيره من المؤلفات الوارد معظمها

في كتاب: «كشف الظنون»، والكتب التي تصدت لتراجم الأطباء؛ ككتاب: «عيون الأنباء في تراجم الأطباء».

ثالثها: صيانة الطب عن أن يتعاطاه غير أهله.

اتصل بالمقتدر أن غلطاً جرى من بعض المتطببين على رجل من العامة، فصدر أمر بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت، فامتحنهم سنان، وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه.

وفوض الخليفة المستضيء بأمر الله رياسة الطب ببغداد لأمين الدولة ابن التلميذ، فاجتمع إليه سائر الأطباء ليرى ما عندهم، وشرع في امتحانهم واحداً بعد آخر.

رابعها: بناء المستشفيات.

بنى الخلفاء والأمراء وغيرهم من المطبوعين على فعل الخيرات مستشفيات كثيرة كانت بالغة الغاية في استيفاء وسائل العلاج، وتوفير راحة المرضى حسبما يقتضيه رقي العلم في عصورهم، وقد تكفل كتاب «تاريخ البيمارستانات في الإسلام» للدكتور أحمد عيسى بوصف واسع تناولها من كل ناحية؛ مثل: البيمارستان العتيق الذي أنشأه أحمد بن طولون بالقاهرة، والبيمارستان العضدي الذي أنشأه عضد الدولة بن بويه في بغداد، وبيمارستان مراكش الذي أنشأه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في مدينة مراكش.

واتخذ أمراء الإسلام المستشفيات المتنقلة.

قال ابن خلكان: إن أبا الحكم المقري عبدالله بن المظفر نزيل دمشق كان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله أربعون جملاً، والمستصحب في معسكر السلطان محمود السلجوقي حيث خَيَّم.

وأول مستشفى أحدثه الوليد بن عبد الملك بن مروان في دمشق للمجذومين سنة ٨٨هـ وأجرى لهم فيها أرزاقهم.

*** شدة عنايتهم بمداواة المرضى، وتوفير وسائل الراحة لهم:**

كان الأمراء يبنون المستشفيات، ويعينون لها أطباء، ويعدون فيها من الأدوية ما يحتاج إليه.

كتب الوزير علي بن عيسى بن الجرَّاح في أيام خلافة المقتدر إلى سنان بن ثابت، وكان سنان هو القائم على أمر البيمارستانات: «فكرت في أمر الحبوس، وأنهم لا يخلون مع كثرة عددهم، وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض، فينبغي أن تفره لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم، ويحملون معهم الأدوية والأشربة، وما يحتاجون إليه من المزوَّرات[1]، وتتقدم إليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس، ويعالجوا من فيها من المرضى، ويريحوا عللهم فيما يصفون لهم إن شاء الله تعالى».

وكتب إليه كتاباً آخر يقول فيه: «فكرت فيمن بالسواد من أهله، وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم؛ لخلو السواد من الأطباء، فتقدم بإيفاد متطببين، وخزانة من الأدوية والأشربة، يطوفون السواد، ويقيمون في كل صُقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم، ويعالجون من فيه، ثم ينتقلون إلى غيره».

وقد يتجاوز بعضهم في العناية بأحوال المرضى إلى حد الرفاهية، وأوضح مثال لهذا: معاملة المرضى بالمستشفى الذي أنشأه أبو يوسف المنصور

---

(١) خضر بدون لحم ولا دسم.

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي في مدينة مراكش.

قال عبد الواحد المراكشي: ذلك أنه بعد أن بنى المستشفى في ساحة فسيحة، وظهر في نقوشة البديعة وزخارفه المحكمة، وحفَّه بالأشجار ذات الثمار والأزهار، وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور على جميع البيوت، وأمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره مما يزيد عن الوصف. ثم قال: «وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نقه المريض، أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل». وقال: وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخل يعود المرضى، ويسأل عن أهل بيت أهل بيت، ويقول: كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟.

عني رجال الإسلام بالطب حتى أصبح من العلوم التي تدرس في المعاهد أو المساجد على طريقة البحث وتحقيق النظر.

يحدثنا التاريخ: أن الملك الأشرف جعل لمهذب الدين عبد الرحيم ابن علي مجلساً لتدريس صناعة الطب، ووقف مهذب الدين هذا داره بدمشق، وجعلها مدرسة يدرس فيها صناعة الطب من بعده.

وكان لموفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار مجلس عام للمشتغلين عليه بعلم الطب.

وأقرأ علم الطب رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحي، وكان لا يقرئ هذا العلم إلا لمن يجده أهلاً له، قالوا: وكان يعطي صناعة الطب حقها من الرياسة والتعظيم.

وكان شمس الدين محمد بن عبدالله مدرساً للأطباء بجامع طولون.

وكان موفق الدين البغدادي يدرس الطب فيما يدرسه من العلوم بالأزهر الشريف.

وكان من إقبال أمراء الإسلام وعلمائه على علم الطب: أن أكثر أساتذته في العهود التي ازدهرت فيها العلوم على اختلاف موضوعاتها، وأسوق شاهداً على هذا: أن سنان بن ثابت لما كلفه المقتدر بامتحان الأطباء، بلغ عدد الذين أجرى عليهم الامتحان في جانبي بغداد ثمان مئة شخص ونيفاً وستين، سوى من استغنى عن امتحانه بشهرته بالتقدم في هذه الصناعة.

والذي نرمي إليه في هذا الحديث: أن دين الإسلام ونبي الإسلام رفعا علم الطب وصناعته مكانة عالية؛ إذ كان الطب مظهراً من مظاهر الرأفة بالإنسانية، ووسيلة من أهم وسائل راحة النفوس، وتخليصها من آلام تكدر عليها صفو حياتها، ومعونة لذوي الهمم الكبيرة على أن يتمتعوا بعافية تسعدهم في القيام بأعمال جليلة، فالأخذ بما ينصح به الأطباء الأمناء من إتيان أشياء أو اجتنابها، إنما هو عمل على حفظ الصحة التي تظهر بها الأفراد والأمم في قوة وعزم يسهل عندهما كل صعب، ويتضاءل أمامهما كل خطب، وإنما خلق الإنسان ليسير في طريق الفلاح، ويذلل ما يلاقيه من العقبات بإيمان صادق، وعزيمة ماضية.





حقوق الزوجية في الإسلام[1]

شرع الزواج لأغراض سامية نبيلة، ففي الزواج ابتغاء النسل الصالح، وفي النسل الصالح عزة وفخار للوالدين والأسرة والأمة، وفي الزواج الاستعانة على التحلي بأبهى خصلة من خصال المجد هي العفاف، وبالعفاف يسود الأمن، وتسلم علاقات التعاون والوفاق من الانقلاب إلى تناكر وشقاق، وفي الزواج التعاون على مرافق الحياة: الزوجة تدبر المنزل، وترعى الولد، والزوج يمد المنزل بما يسد حاجاته، ويقيم حوله سياجاً من المهابة والصيانة، وفي الزواج كسب صداقة أسرة؛ إذ ينعقد بينك وبين آل الزوجة رابطة المصاهرة، وقد تبلغ هذه الرابطة في قوتها وصفائها مبلغ قرابة ذوي الأرحام.

وهذه الأغراض الشريفة لا تنتظم على وجهها الصحيح، ولا تأتي بثمراتها الطيبة إلا أن تسير المعاشرة بين الزوجين في طريق الألفة وصفاء الود، ونحن عندما نتأمل في الأنظمة والآداب التي رسمها الإسلام لرابطة الزوجية، نجدها قائمة على رعاية هذه الغاية ـ أعني: حسن المعاشرة ـ أشد الرعاية.

كان للعرب في الجاهلية أنواع من النكاح مختلفة، فأبطل الإسلام ما كان

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول والثاني من المجلد السادس عشر.

منها شبيهاً بالسفاح، وأقر النوع الذي فيه صيانة العرض، وحفظ النسل، والذي يمكن أن تنتظم به المعاشرة محفوفة بمحبة وصفاء، وهو الزواج الجاري بين الناس منذ مطلع فجر الإسلام.

حث الدين الحنيف على الزواج، وجعلـه من سـنة الذين اصطفى من عباده، وأنكر على من تحدثه نفسه بإيثار حياة العزوبية على حياة الزوجية، ومن شواهد هذا: قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقوم ائتمروا على أن يتركوا الزواج؛ لينقطعوا إلى العبادة: «لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني».

وأرشد إلى اختيار الزوجة، ونبه على أن ذات الدين أحق بالاختيار، فقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات ترتب يداك».

وفضَّل الدين على المال والحسب والجمال من جهة أنه يضمن الأخلاق المهذبة، والآداب الراقيـة، ويجمع لصاحبته الصيانة من أطرافهـا، والمراد من الحديث: أن الناشئة في حلية الدين ـ وإن لم تكن بارعة الجمال ـ تفضل غيرهـا ممن لم تتحـلَّ بالديـن ـ وإن كانـت موسـرة، أو حسـيبة، أو فائقة الجمال ـ.

ينهى الدين؛ حفظاً للقلوب من مواقع الفتن أن يرسل الإنسان نظره في محاسن امرأة أجنبية، ولكنه؛ رغبة منه في دوام العشرة بين الزوجين أذن للرجل في أن ينظر إلى وجه المرأة التي يريد التزوج بها قبل العقد عليها، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ للمغيرة حين خطب امرأة من الأنصار: «انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»؛ أي: تكون بينكما المودة والوفاق.

وجعل الشارع للمرأة ووليها الحق في رعاية كفاءة الزوج؛ فإن اقتران المرأة بمن لا يكافئها في عفاف ونسب ومال، وسلامة من العيوب البدنية، يجر إليها وإلى وليها حطَّة، ويقف عثرة في سبيل المعاشرة المستحبة بين الزوجين.

قيل لأعرابي: فلان يخطب فلانة، فقال: أموسر من عقل ودين؟ قالوا: نعم، قال: فزوجوه.

وقال رجل للحسن: إن لي بنية، وإنها تخطب، فبمن أزوجها؟ قال: زوجها ممن يتقي الله، فإن أحبها، أكرمها، وإن أبغضها، لم يظلمها.

ولقدرة الرجال على اكتساب المال من طرق لا يقدر عليها النساء، أو لا ينبغي لهن مباشرتها، فرض الشارع على الرجل نفقة الزوجية، ويرجع تقديرها إلى ما يتراضيان عليه، فإن لم يتراضيا على مقدار النفقة، أو كيفيتها، قررها أولو الأمر بما يقتضيه حال المرأة، وحال الزوج في يسر وعسر.

جاءت هند بنت عتبة زوجةُ أبي سفيان، فقالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

وقد راعى الشارع في كثير من حقوق الزوجين العرف الحسن الذي يجري بين الناس، فأوجب على الرجل إسكانَ الزوجة في منزل يليق بها، وأن يأتي لها بخادمة في المنزل إن كانت ممن تُخدم، وأن يأتي لولدها بمرضع إن جرى عرف أمثالها بعدم إرضاع أولادهن.

على الرجل حق الإنفاق بالمعروف، وعلى الزوجة تدبير شؤون المنزل، وأن تراعي حال زوجها المالية، فلا تكلفه فوق ما يطيق، وأن ترعى الولد

بالتربية البدنية والروحية.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة»، وقال ـ صلوات الله عليه ـ: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده».

ومما يستدعيه حسن المعاشرة: أن يفسح الرجل صدره للزوجة، تراجعه فيما يقوله، أو يريد أن يفعله.

قال عمر بن الخطاب: صخبتُ على امرأتي، فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، قالت: فلم تنكر علي أن أراجعك؟! فو الله! إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه.

وقد نبه الشارع الحكيم لمداراة المرأة، إذا أخلت بشيء من واجبات الزوجية في دائرة الصون والحصانة، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه، كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

فالحديث الشريف يعلِّم الرجل كيف يسلك في سياسة الزوجة طريق الرفق والأناة، فلا يشتد ويبالغ في ردها عن بعض آرائها التي بها عوج؛ فإن ذلك قد يفضي إلى الفراق؛ كما أنه لا يتركها وشأنها؛ فإن الإغضاء عن العوج مدعاة لاستمراره، أو تزايده، والعوج المستمر أو المتزايد قد يكون شؤماً على المعاشرة، فتصير إلى عاقبة مكروهة.

وقد حمى الإسلام مال الزوجة، فلم يجعل ليد الزوج عليه من سبيل، فأبقى لها حرية التصرف فيه على ما ترى، فهي التي تتصرف في مالها كما

تشاء، وليس للزوج حق في أن يتناول منه ـ ولو درهماً ـ إلا عن طيب نفسها، وليس له حق في منعها من أن تتصرف في مالها على وجه المعاوضة؛ كالبيع والقرض والإجارة ونحوها، بإجماع العلماء، وليس له حق في منعها من أن تنفق منه، أو تنفقه على وجه التبرع؛ كالصدقة والهبة عند جمهور أهل العلم، وإنما ذهب المالكية إلى أن الزوج، وإن لم يكن له حق في أن يتناول ولو درهماً من مال زوجته، ولم يكن له حق في منعها من عقود المعاوضات، فله حق في أن يمنعها من التبرع بأكثر من ثلث مالها، وأدلة هذا المذهب معروفة في كتب الفقه.

وقضت حكمة الشارع أن تكون العصمة بيد الزوج، ولكنه كرَّه الطلاق، ووضع أمامه أحكاماً ومواعظ شأنها أن تكف الأزواج عن الاستعجال به، وتجعل حوادثه قليلة جداً.

أمر الزوج بأن يعاشر الزوجة بالمعروف، ودعاه إلى التأني حيث يجد في نفسه كراهة لها، فلا يبادر إلى كلمة الطلاق، فقد تكون الكراهة من الأحوال التي تعرض في بعض الأوقات، ثم تزول، وقد بالغ الشارع في التحذير من المبادرة إلى الطلاق، فجعل احتمال أن يكون في الزوجة خير كثير، كافياً في الاحتفاظ بعصمتها، والاستمرار على حسن معاشرتها، فقال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء: ١٩].

وقد يقع بين الزوجين جفاء ينشأ من اعتقاد أحدهما أن الآخر اهتضم حقاً من حقوقه، ومن حكمة الشارع أن كره رفع أمثال هذا الخلاف إلى

المحاكم، وإذاعتها بين من لا خير في اطلاعهم عليها، وأمر بوضع أمثال هذه القضايا بين أيدي رجلين من أسرتيهما؛ ليسلك بها سبيل الإصلاح ما أمكن الإصلاح، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[النساء: ٣٥].

والحق أقول: إن الذي ينظر في التشريع الإسلامي بعين الباحث حر الفكر، يراه قد أقام الزوجية على أساس من العدل، وكساها آداباً تجعلها صلة روحية تساوي أقرب الصلات النسبية وأمتنها؛ كالبنوة والأخوة، وقد تلقينا عن التاريخ، ورأينا بأعيننا أزواجاً وزوجات عرفوا حقوق الزوجية، واحتفظوا بآدابها التي نصح بها الإسلام، فعاشوا في ارتياح وهناءة موصولين بتعاطف واحترام، وربما ظهر هذا فيما يصدر من الزوجين من عبارات الأسف والتحسر عند الوداع؛ كما قال ابن دَرَّاج عند وداع زوجته:

ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبري منها أَنَّةٌ وزفيرُ

تُناشدني عهدَ المودةِ والهوى ... وفي المهدِ مبغومُ النداء صغيرُ

حتى قال:

وطار جناحُ البين بي وهفت به ... جوانح من ذعر الفراق تطير

وقد تظهر هذه العواطف الرقيقة في وصية عند حضور الموت؛ كما قال يحيى الهندي الأندلسي يوصي بأن يدفن حذاء زوجته التي توفيت قبله، وحزن عليها حزناً بالغاً:

إذا متُّ فادفني حذاء خليلتي ... يخالط عظمي في التراب عظامها

ورتِّب ضريحي كيفما شاءه الهوى　　تكون أمامي أو أكون أمامها

لعل إله العرش يجبر صرعتي　　فيعلي مقامي عنده ومقامها

وقد تظهر العواطف في تشوق في حال غيبة؛ كما قال المحدث ابن حجر متشوقاً إلى زوجته ليلى الحلبية:

رحلت وخلَّفت الحبيب بداره　　برغمي ولم أجنح إلى غيره مَيْلا

أُشاغل نفسي بالحديث تعلُّلاً　　نهاري وفي ليلي أحنّ إلى ليلى

وقد تظهر في رثاء بعد الموت؛ كما قالت الذلفاء ترثي زوجها نجدة ابن الأسود:

سئمت حياتي حين فارقت قبره　　ورحت وماء العين ينهل هاملُهْ

وقالت نساء الحي قد مات قبله　　شريفٌ فلم تهلك عليه حلائلُهْ

صدقْنَ، لقد مات الرجال ولم يمت　　كنجدةَ من إخوانه من يعادلُهْ

وقد تظهر العواطف في عبارات من المؤانسة يعرب فيها أحد الزوجين عن إعجابه بالآخر؛ كما قال القاضي شريح بن الحارث في زوجة له تسمى: زينب:

فزينب شمس والنساء كواكب　　إذا طلعت لم تُبق منهن كوكبا

وكما قال العرجي في زوجته، وكان جدُّها من الأب عثمان بن عفان، ومن الأم الزبير بن العوام:

إن عثمان والزبير أحلاّ　　دارها باليفاع إذ ولداها

إنها بنت كل أبيضَ قرمٍ　　نال في المجد من قُصَيٍّ ذُراها

ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية، أعجب بها، وكان كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين.

ويتلخص لنا من هـذا البحـث: أن طيب الحياة ومتعتها يتحققان في زوجية سعيدة، وسعادة الزوجية أن يكون كل من الزوجين على خلق سمح، وأدب بهيج، ويجمع إلى ذلك: صفاء الود، والنصح لصاحبه، حاضراً كان أو غائباً. والزوج والزوجة يمثلان في تقارنهما شـطري البيت من الشـعر، والبيت من الشـعر لا يحسـن وقعه في النفوس، وتتهاداه الألسـن والأسماع إلا أن يكون شطراه منسجمين، يسعد أحدهما الآخر في تأدية المعنى الذي صيغا من أجله، وكذلك الزوجان، لا تزدهي حياتهما إلا إذا انسجما، وقام كل منهما بنصيبه من حقوق الزوجية، وظلا يعيشان في منزل ظِهارته المهابة، وبِطانته الصيانة.





القضاء العادل[1]

تجري كلمة العدل على الألسـنة، وهي تنطوي على أشـياء لا يتحقق معنى العدل إلا بمراعاتها.

لا يمكن للقاضي أن يعدل في القضية إلا إذا اسـتمع إلى المتداعين بقلب حاضر، وكان من البينات التي يستند إليها في الحكم على بصيرة، وإلى هذا أشـار عمر بن الخطاب ﷺ في رسالة القضاء بقوله: «فافهم إذا أُدلي إليك».

ومن العدل بين الخصمين: أن يسوي بينهما في مجلسه حيث يجلسان أمامه على سواء، ولا يخص أحدهما بإقباله، وإلى هذا أشار عمر بن الخطاب بقوله: «وآسِ بين الناس في مجلسك ووجهك».

ولا يأخذ العدل مكانه إلا أن يتخلص القاضي من عوامل شأنها أن تصرفه عن تحقيق معنى العدل، وتسلبه ما يسمونه: الاستقلال في القضاء.

أولها: أن لا ينظر عند الفصل في القضية إلى اتجاه الرئيس الأعلى، ولا يبالي أيرضى عن حكمه أم لا يرضى؟.

ثانيها: أن لا يجعل للعاطفة عند الحكم أثراً، فلا ينظر عند الحكم

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد التاسع عشر.

إلى قرابة أحد الخصمين له، أو لصداقته، فيقضي له، أو ينظر إلى عداوته، فيحكم عليه.

ثالثها: أن لا يقيم لاتجاه الجمهور وزناً، فيحرص على أن يصدر حكمه بما يرضي الجمهور؛ لينال ثناءهم؛ كمن يتعمد الحكم للضعيف على القوي، أو للفقير على الغني، حكماً بغير حق؛ ليصفه من لا يعرف حقيقة القضية بأنه حاكم عادل.

رابعها: أن يكون طاهر اليد، نقي القلب، فلا يستهويه الحرص على متاع الحياة إلى أن يحكم لمن أدلى إليه برشوة.

وقد يدخل الخلل في الحكم، فلا يصاغ في قالب العدل، إذا تعاطى القاضي الحكم في حال اضطراب فكر، وقد نبه النبي ﷺ على هذا بقوله: «لا يقضي القاضي وهو غضبان».

ويلحق بالغضب: كل ما يحدث في الفكر قلقاً؛ كمرض، أو موت عزيز.

ومن متممات العدل في الحكم: أن ينفذ الحكم بحزم، قال عمر بن الخطاب في رسالة القضاء: «وأنفذ إذا تبين لك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له».

والقاضي العادل هو الذي يعترف بخطئه متى قضى بغير حق، ويعمل لإصلاح ما أخطأ فيه، قال عمر رضي الله عنه في رسالة القضاء: «لا يمنعك قضاء قضيته اليوم، فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق؛ فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل».





مكانة القضاء[1]

القضاء من الوظائف الشرعية الداخلة في مهمات الخلافة، ويكفيه شرفاً أن الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ كانوا يتولونه بأنفسهم، ونبه النبي ﷺ لفضله، وسمو مكانته بقوله: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلِّمها».

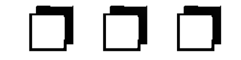
والمراد من الحسد: الغبطة، وهي محمودة في كل خصلة من خصال الخير؛ للتنبيه على بلوغ مكانة القضاء، والإنفاقُ في الخير أقصى غاية من السمو في نظر الشارع الحكيم، ومن أساليب البلاغة: استعمال أداة الحصر للدلالة على أهمية الشيء، وإحرازه المرتبة العليا في المعنى الذي قد يشاركه فيه غيره، فيرجع معنى الحديث إلى معنى: أنه لا غبطة كاملة إلا الغبطة في هاتين الخصلتين.

ومن سمو مكانة القضاء: أن القاضي يستدعي أكبر شخص في الأمة ـ كالخليفة ـ إلى مجلس حكمه، ويقضي عليه متى كان الحق في جانب خصمه، وكذلك كان يفعل قضاة العدل في الإسلام؛ كأبي يوسف: حكم ليهودي في قضية رفعها على الخليفة هارون الرشيد، وكابن بشير قاضي قرطبة: حكم لتاجر خامل على الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقال له: إن لم تنفذ ما حكمت

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث والرابع من المجلد العشرين.

به، فإني أستقيل من القضاء.

وإذا كانت الأعمال تتفاوت في الفضل على قدر تفاضل غاياتها، فإن للقضاء غاية تعد من أجل الغايات، هي: نصر المظلوم، وكف يد الظالم، وقطع المنازعات، والإصلاح بين الناس، وأداء الحق لمستحقه، ومن ذلك يستتب الأمن في البلاد، وإذا استتب الأمن، فهنالك طمأنينة النفوس، وسعادة الحياة.





صفات القاضي في الإسلام[1]

لكل حكومة تشريع وقضاء وتنفيذ، فبالتشريع يكون لها قوانين تميّز الباطل من الحق، والفاسد من الصالح، وبالقضاء تفصل بين المتنازعين إذا اشتبه على أحدهما الحق، أو غلبته أهواؤه على أن ينتهك حرم الحق، وبالتنفيذ تتم الفائدة من وضع القوانين، والفصل بين المتنازعين.

ومصدر التشريع في الحكومات الإسلامية هو الخالق ـ جلَّ شأنه ـ؛ فإن السلطة القضائية إنما تستمد أحكامها من الكتاب والسنّة، ومن الأصول التي يرجع إليها المجتهد في تقرير أحكام الوقائع إن لم يجدها في نص آية أو حديث.

والقضاء هو: الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام.

وللقاضي صفات هي شروط في صحة ولايته، وهي: الإسلام، والعقل، والذكورة، والعلم، والعدالة.

والمراد من العقل: النباهة، وقوة التفكير.

وشرط الذكورة لا يختلف فيه أهل العلم في القديم أو الحديث، ومن شواهده: ما جاء في الصحيح من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لن يفلح

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع والعاشر من المجلد التاسع عشر.

قومٌ وَلَّوا أمرهم امرأة».

ونسبوا إلى ابن جرير الطبري: أنه يجيز أن تكون المرأة قاضية، ونسبوا إلى الامام أبي حنيفة: أنه يجيز قضاءها فيما تشهد فيه.

أما ما نسب إلى ابن جرير، فلم يصح نقله عنه، وهو ـ مع عدم ثبوت نقله عنه ـ مخالف للإجماع.

وأما ما نسب إلى الإمام أبي حنيفة، فمحمول على أنه يصح أن تقضي في واقعة على وجه التحكيم، لا على أنها تقلَّد منصب القضاء.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب «الأحكام»: «ونقل عن محمد ابن جرير الطبري إمام الدين: أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية، ولم يصح ذلك عنه، ولعله كما نقل عن أبي حنيفة: أنها تقضي فيما تشهد فيه، وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق، ولا بأن يكتب لها منشور بأن فلانة مقدمة على الحكم، إلا في الدماء والنكاح، وإنما ذلك كسبيل التحكيم، أو الاستنابة في القضية الواحدة؛ بدليل قوله ﷺ: «لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة»، وهذا هو الظن بأبي حنيفة، وابن جرير. وقد روي أن عمر بن الخطاب قدم امرأة على حسبة السوق، ولم يصح، فلا تلتفتوا إليه، فإنما هو من دسائس المبتدعة».

وأما العلم: فشرطُ القاضي في أصل الشريعة: أن يكون بالغاً رتبة الاجتهاد، ولما قلَّ في علماء الشريعة من يدرك هذه المرتبة لأسباب نتعرض لها في غير هذا المقام، جازت ولاية المتابع لمذهب إمام من أئمة الاجتهاد؛ كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وهذا الجواز من قبيل أحكام الضرورات؛ حتى لا تتعطل الأحكام، ومن المتابعين لأحد المذاهب

من له قدرة على النظر في أدلة الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، فلا يعدل عنه إلا من قصر باعه عن تمييز الأدلة الصحيحة من الأدلة الواهية.

وأما العدالة: فعدَّها طائفة من أهل العلم في شرط صحة القضاء، وقالوا: من لا تجوز شهادته لا تصح ولايته، ومقتضى بطلان ولاية غير العدل: عدمُ نفاذ حكمه.

والحق ـ فيما يظهر ـ: أن القاضي العدل تحمل أحكامه على أنها موافقة لوجه الحق، وتنفذ، إلا إذا تبين أنها مخالفة له، وغير العدل تقر أحكامه إذا تبين أنها صواب.

ونظر بعضهم إلى صفة العدالة من ناحية السياسة الشرعية، وقالوا: إن لم يوجد في البلد عدول، أقيم للقضاء عليهم أقلهم فسقاً؛ ترجيحاً لمصلحة فصل الخصومات، وقطع المنازعات، على مفسدة إبقاء الناس في هرج وفتن تنتهك بها الدماء والأعراض والأموال.







شريك قاضي الكوفة وموسى بن عيسى أميرها[1]

امرأة في مجلس القضاء: أنا بالله؛ ثم بالقاضي!.

شريك: من ظلمك؟

المرأة: الأمير موسى بن عيسى بزعم أمير المؤمنين.

شريك: ماذا صنع؟

المرأة: كان لي بستان على نهر الفرات فيه نخل ورثته عن أبي، وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطاً، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي، وساومني، ورغَّبني، فلم أبعه، فلما كان هذه الليلة، بعث بعمَلَة، فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً، واختلط بنخل إخوتي.

شريك: امض بهذه الطينة المختومة إلى بابه حتى يحضر معك.

«المرأة تسلم الطينة إلى حاجب الأمير»

الحاجب: أيها الأمير! قد أعدى القاضي عليك، وهذا ختمه.

الأمير: ادع لي صاحب الشرطة.

«صاحب الشرطة بين يدي الأمير»

الأمير: امض إلى شريك، وقل: سبحان الله! ما رأيت أعجب من أمرك!

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع والثامن من المجلد التاسع عشر.

امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها عليّ؟ .

صاحب الشرطة : إن رأى الأمير يعفيني من ذلك .

الأمير : امض ويلك ! .

«صاحب الشرطة يبلغ القاضي رسالة الأمير»

شريك : يا غلام ! خذ بيده ، فضعه في الحبس .

صاحب الشرطة : والله ! قد علمت أنك تحبسني ، فقدمت ما أحتاج إليه إلى الحبس .

«الأمير ينكر على شريك حبس صاحب الشرطة ، ويرسل إليه حاجبه»

الحاجب : يقول لك الأمير : رسول أدى رسالة ، أي شيء عليه؟ .

شريك : اذهبوا بالحاجب إلى رفيقه بالحبس .

«الأمير يبعث جماعة من أصدقاء القاضي ، ويقول : أبلغوه السلام ، وأعلموه أنه استخف بي ، وأني لست كالعامة»

«أصدقاء القاضي يبلغونه ، وهو في مجلس الحكم رسالة الأمير»

شريك : مالي أراكم جئتموني في غوغاء من الناس فكلمتموني ! من هنا من فتيان الحي؟ ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل ، فيذهب به إلى الحبس ، ما أنتم إلا فتنة ، وجزاؤكم الحبس ! .

أصدقاء القاضي : أجادّ أنت ! .

شريك : حقاً حتى لا تعودوا لرسالة ظالم .

«الأمير يركب ليلاً إلى باب السجن ، ويفتحه ، ويخرج منه صاحب الشرطة والحاجب وأصدقاء القاضي»

شريك: يا غلام! الحق بثقلي إلى بغداد، والله! ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز إذا تقلدناه لهم.

«يخرج شريك من الكوفة قاصداً بغداد»

«يبلغ خبره الأمير، فيركب في موكبه، ويدرك شريكاً في قنطرة الكوفة»

الأمير: يا أبا عبدالله! انظر إخوانك تحبسهم، دع أعواني.

شريك: نعم؛ لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه، ولست ببارح مكاني حتى يعادوا جميعاً إلى السجن، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي، فاستعفيته مما قلدني.

«الأمير يأمر بإعادة من حبسهم شريك إلى الحبس»

شريك يقول لأعوانه: خذوا بلجام دابة موسى بن عيسى إلى مجلس الحكم.

«فيمضي الأمير بين يديه إلى مجلس الحكم، وتحضر المرأة المتظلمة»

شريك: هذا خصمك قد حضر.

موسى وهو مع المرأة بين يدي القاضي: قبل كل أمر أنا قد حضرت، أولئك يخرجون من الحبس.

شريك: أما الآن، فنعم! أخرجوهم من الحبس.

شريك يخاطب الأمير: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة؟.

الأمير: صدقَتْ.

شريك: تردُّ ما أخذتَ منها، وتبني حائطها سريعاً كما كان.

الأمير: أفعل ذلك.

شريك يخاطب المرأة: أبقيتْ لكِ عليه دعوى؟

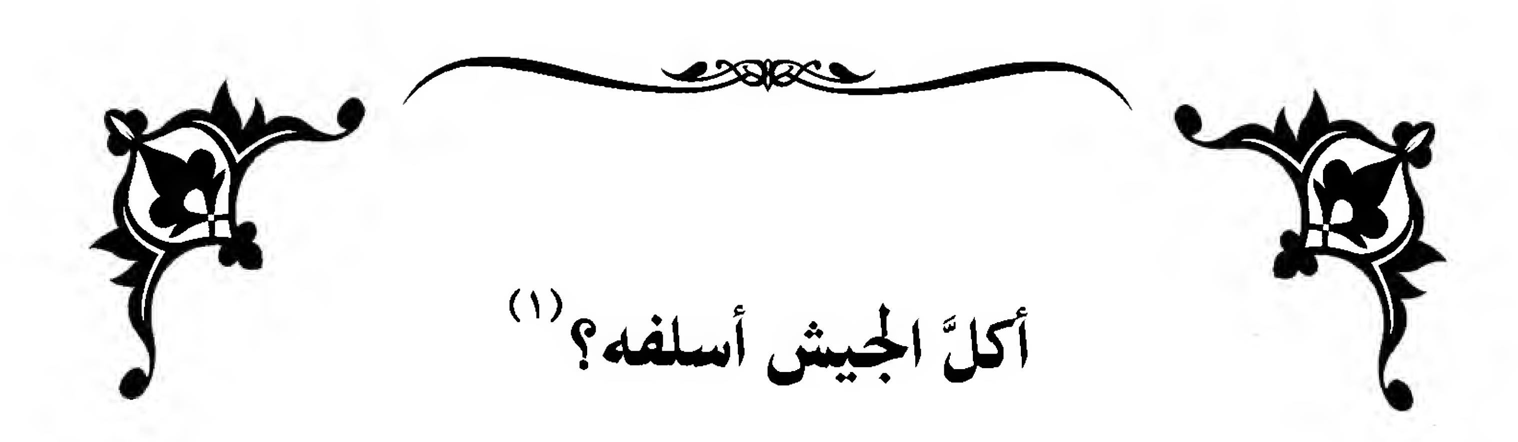
المرأة: لا، وبارك الله عليك، وجزاك خيراً!.

شريك: قومي.

شريك بعد أن فرغ من مجلس الحكم أخذ بيد موسى بن عيسى، وأجلسه في مجلسه، وقال: السلام عليك أيها الأمير! ذاك الفعل حق الشرع، وهذا القول الآن حق الأدب.

الأمير يقوم وينصرف من المجلس وهو يقول: من عظّم أمر الله، أذلّ الله له عظماء خلقه.





أكلَّ الجيش أسلفه؟[1]

قفل عبدالله وعبيدالله ابنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جيش كان بالعراق، ومرّا على أبي موسى الأشعري، وهو أمير البصرة، فرحب بهما.

أبو موسى: هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، فأسلفكماه، فتبتاعان به متاعاً من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين، ويكون الربح لكما.

عبدالله وعبيدالله: وددنا ذلك.

أبو موسى: سلّم إليهما المال. وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال.

عبدالله وعبيدالله قدما المدينة، وباعا ما جلباه من متاع العراق، فأربحا، ودفع المال الذي سلّمه إليهما أبو موسى الأشعري إلى عمر.

عمر: أكلَّ الجيش أسلفه مثلَ ما أسلفكما؟.

عبدالله وعبيدالله: لا.

عمر: ابنا أمير المؤمنين، فأسلفكما! أديا المال وربحه.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول والثاني من المجلد العشرين.

عبدالله : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا، لو نقص المال، أو هلك، لضمنَّاه.

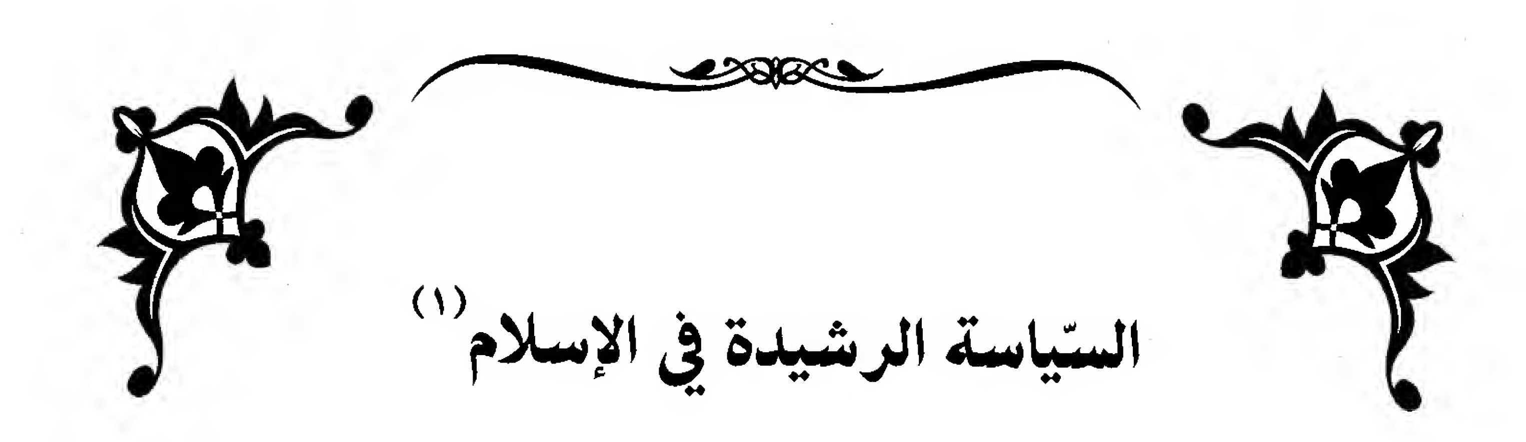
عمر : أَديَّاه.

رجل من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين! لو جعلته قراضاً[1].

عمر : قد جعلته قراضـاً. فأخذ عمر رأس المال، ونصف ربحه، وأخذ عبدالله وعبيدالله نصف ربح المال.



(١) القراض: أن يعطي شخص مالاً لآخر؛ ليتجر به، ويكون لكل منهما جزء من الربح على الوجه الذي يتفقان عليه من النصف أو الثلث أو غير ذلك، ويسميه أهل العراق: المضاربة، وليس على العامل ضمان لو نقص المال أو هلك، وقول عبدالله: «لو نقص المال أو هلك لضمناه» بناء على أنهما أخذاه على وجه القرض، لا القراض.



السّياسة الرشيدة في الإسلام[1]

أتى على العالم حين من الدهر وهو يتخبط في جهل وشقاء، ويتنفس من نار البغي الطاغية على أنحائه الصعداء، حتى نهض صاحب الرسالة الأعظم ـ صلوات الله عليه ـ بعزم لا يحوم عليه كلال، وهمة لا تقع إلا على أشرف غرض؛ فأخذ يضع مكان الباطل حقاً، ويبذر في منابت الآراء السخيفة حكمة بالغة، وما لبثت الأمم أن تقلدت آداباً أصفى من كواكب الجوزاء، وتمتعت بسياسة يتجلى بها العدل في أحسن رُواء، وأرفع سناء.

وضع الإسلام للسياسة نظاماً يقطع دابر الاستبداد، ولا يبقي للحيف في فصل القضايا أو الخلل في إدارة الشؤون منفذاً.

أوصى الرعاة بأن لا ينفردوا عن الرعية بالرأي في آية:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وآية:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨].

ثم التفت إلى الأمة، وعهد إليها بالرقابة عليهم، وإسدائهم النصيحة فيما تراه غير واقع على وجه الاستقامة، فقال تعالى:

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الخامس.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤]

ولم يكن الأمراء الراشدون ـ احتراماً لهذا القانون الإلهي ـ يكرهون من الناس، أو يحجرون عليهم البحث في الشؤون العامة، ومجادلتهم فيها بلهجة ناصح أمين، وهذه صحف التاريخ حافلة بقصص الذين كانوا يقفون للخليفة عمر بن الخطاب ـ وهو يخطب على منبر المسجد الجامع ـ، فينكرون عليه عزل عامل اعتقدوا أمانته، أو يجادلونه في رأي عزم على أن يجعله قانوناً نافذاً، فلا يكون منه سوى أن يقول لمن نطق على بينة: «أصبت»، ويرد على من أخطأ في المناقشة رداً جميلاً.

وإن شئت مثلاً من سيرة الأمراء الذين تقلبوا في فنون من أبهة الملك، ولبسوا من عظمته بروداً ضافية؛ فقد حضر القاضي منذر بن سعيد مجلس الخليفة الناصر بمدينة الزهراء، فتلا الرئيس عثمان بن إدريس أبياتاً تمضمض فيها بشيء من إطراء الخليفة حتى اهتز لها طرباً، وكان منذر بن سعيد ينكر على الناصر إفراطه في تشييد المباني وزخرفتها، فأطرق لحظة، ثم قال:

يا باني الزهراء مستغرقاً ... أوقاته فيها أما تمهل

لله ما أحسنها رونقاً ... لو لم تكن زهرتها تذبل

فما زاد الناصر على أن قال: «إذا هبَّ عليها نسيم التذكار، وسقيت بماء الخشوع، لا تذبل إن شاء الله»، فقال منذر: «اللهم اشهد؛ فإني قد بثثت ما عندي».

في مقدرة ذلك الخليفة أن يفصل منذر بن سعيد عن وظائفه، أو يبعث به إلى المنفى غير آسف عليه، ويجعل عذره في ذلك العقاب خُطَبه التي كان

يلقيها على منبر الجامع، ويتصدى فيها لنقد بعض أعمال الدولة، ولكنه أمير نفذت بصيرته إلى روح الشريعة الغراء، ودرس تاريخ الخلفاء قبله عن عبرة، فعرف أن لا غنى للدولة عن رجال يجمعون إلى العلم شجاعة، وإلى الشجاعة حكمة، حتى يمتطوا منصب الدعوة إلى الإصلاح بحق، ويكوّنوا الصلة التي يظهر بها أولو الأمر وبقية الشعب في مظهر أمة تولي وجهها شطر غاية واحدة، ثم لا يغيب عن مثل ذلك الخليفة العادل أن الدولة لا تحرز مجداً خالداً وسمعة فاخرة، إلا أن تعيش في ظلالها أقوام حرة، وفي مقدمتهم علماء يجدون المجال للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسيحاً.

يصفون بعض الأمم بمحررة الشعوب، ويلقبون عاصمة بلادها بمطلع الحرية، إلا أن ناشر لواء الحرية بحق، ومعلم البشر كيف يتمتعون بالحقوق على سواء، مَنْ وضعَ لطاعة الرؤساء حداً فاصلاً، فقال: «إنما الطاعة في المعروف»، وجعل الناس في موقف القضاء أكفاء، فقال ـ صلوات الله عليه ـ: «أيها الناس! إنما ضلَّ من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها».

كم ظهر في بلاد العرب من سيد بلغ في الرياسة أن أحرز لقب ملك؛ كآل جفنة، وآل غسان، وربما وجد من بينهم من لا يقل في قوته النفسية الفطرية عن الفاروق ﷺ، فما بالهم لم يأخذوا في السياسة بنزعته، ويرموا إلى أغراضها عن قوس حكمته؟!.

لا عجب أن يمتطي ابن خطاب تلك السياسة الفائقة، ويجول بها بين الأمم جولته التي رفعت الستار عن أبصارهم، حتى شهدوا الفرق بين سيطرة

الدول المستبدة وسيرة الخليفة الذي ينام في زاوية من المسجد متوسداً إحدى ذراعيه.

إن هو إلا الإسلام، أقام له أساسها، وأنار سراجها، فبنى أعماله على أساس راسخ، واستمد آراءه من سراج باهر، فكانت صحف آثاره أبدع عند عشاق السياسة القيمة من مناظر الروضة الغناء.

تدرب الخلفاء العادلون على مذاهب السياسة وفنون الحرب بما كانوا يتلقونه من حضرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الحكم السامية؛ كحديث: «الحرب خدعة»، أو ما يشهدونه من التدابير المحكمة؛ كوسيلة التكتم في الأمر الجارية عند الدول لهذا العهد، وهي أن يبعث الرئيس الأعلى إلى الرئيس الأدنى، أو يناوله رسالة مختومة، ويأمره أن لا يفك ختامها إلا في محل أو وقت يسميه له، وقد جاء في «صحيح البخاري» وغيره: أن حضرة صاحب الرسالة ـ عليه الصلاة والسلام ـ ناول عبدالله بن جحش ـ وهو أمير نجد ـ كتاباً، وقال له: «لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا»، فلما بلغ عبدالله المكان، قرأ الكتاب، وأخبر الجند بما في ضمنه من الأمر.

إن اختلاف الأمم في عاداتها وحاجاتها، يستدعي أن تكون سياستها وأنظمتها مختلفة، كما يقتضي أن يكون المدبرون لأحكام الأمة وتراتيبها المدنية ممن وقفوا على روحها، وأحاطوا خبرة بمزاجها، حتى لا يضعوا عليها من الأوامر والنواهي ما يجعل سيرها بطيئاً، أو يردها على عقبها خاسرة، وكذلك الإسلام يقيم السياسة على رعاية العادات، ويسير بها على ما يطابق المصالح، ولهذا فصّل بعض أحكام لا يختلف أمرها باختلاف المواطن؛ كآية:

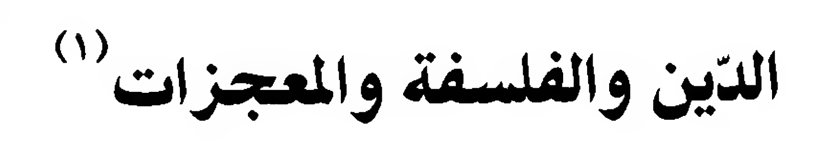
﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وحديث: «البينة على المدعي، واليمين على المدعي عليه»، ودل على كثير منها بأصول عامة يستنبطها الراسخ في العلم بمقاصد الشريعة، البصير بما يترتب على الوقائع من آثار المقاصد والمصالح.

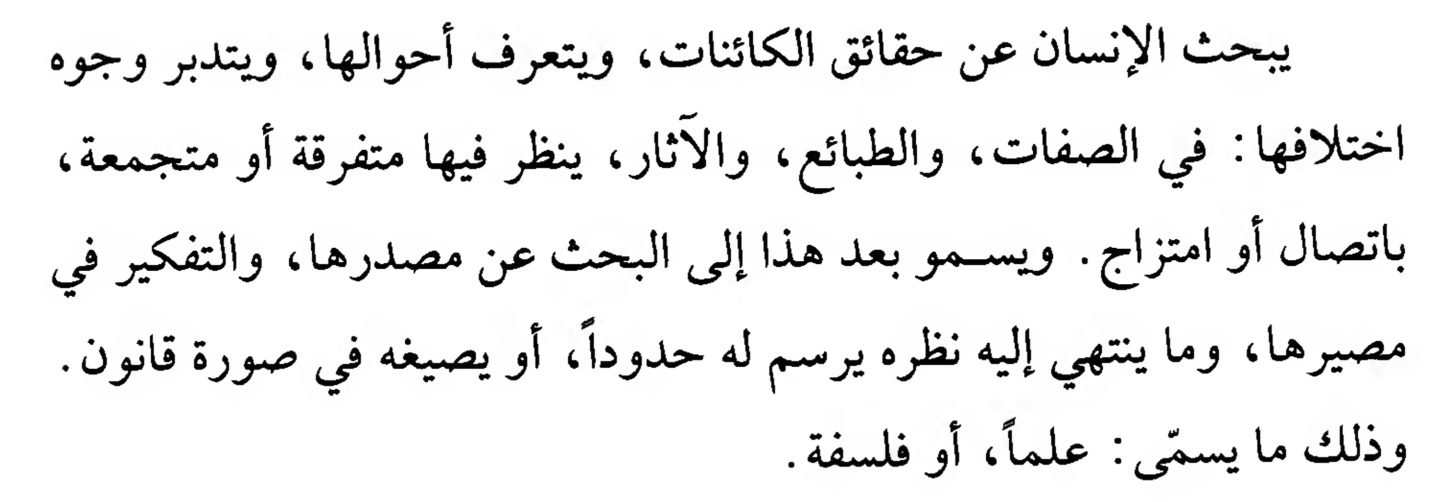
وإن شريعة تقوم على قواعد: «الضرر يزال. المشقة تجلب التيسير. العادة محكمة»، ويقول أحد العظماء من فقهائها: «تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من المعاملات والسياسات» لا يحق لأحد أن يرميها بمجافاة الإصلاح والبعد عما تقتضيه طبائع العمران، إلا أن يفوته العلم بحقائقها، أو يحمله الزيغ الجامد على مناوءتها.







الدّين والفلسفة والمعجزات[1]



يبحث الإنسان عن حقائق الكائنات، ويتعرف أحوالها، ويتدبر وجوه اختلافها: في الصفات، والطبائع، والآثار، ينظر فيها متفرقة أو متجمعة، باتصال أو امتزاج. ويسمو بعد هذا إلى البحث عن مصدرها، والتفكير في مصيرها، وما ينتهي إليه نظره يرسم له حدوداً، أو يصيغه في صورة قانون. وذلك ما يسمّى: علماً، أو فلسفة.

ولما لم تكن العقول متساوية في حدة النظر، ولا في رعاية قوانين البحث، اختلف ما ترسمه للأشياء من حدود، وما تقرره لها من أحكام.

فمنها ما يقطع بصحته، ومنها ما لا يتعدى درجة الظن، ومنها ما هو ظاهر الفساد.

وإذا لاحظت أن بعض العقول قد تخرج في البحث إلى ما لا سبيل لها أن تعرفه من طريق التجربة أو الاستدلال، ظهر لك ناحية من النواحي التي تخبط فيها العقول خبط عشواء، وإن بلغت في العبقرية الذروة، ودرست علم المنطق كتاباً بعد كتاب.

أما الدين، فهو وضع إلهي يراد به: هداية الإنسان إلى السيرة المرضية

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد السادس.

في الدنيا، والفوز بالسعادة في الأخرى. فهو يهدي إلى معرفة مبدع الكون، وما يجب أن يكون له من صفات، وما يدخل تحت سلطان قدرته من الأفعال، ويهدي إلى معرفة مصير الخليقة؛ من الفناء، ثم البعث، ثم الحساب، ثم إلى مستقر خالد في دار نعيم أو عذاب، ويهذب صلة العباد بالخالق، ويصلح الصلات بين الأفراد والجماعات، ويتوسل إلى هذه المقاصد بإقامة الحجة، وإلقاء الحكمة، وضرب الأمثال، وإيراد القصص العامرة بما فيه عبرة.

يصل الدين إلى الناس على أيدي بشر أمثالهم، ولكن الله اصطفاهم، وزكى أنفسهم، وأنار بصائرهم، فكانوا مستعدين لتلقي الوحي منه.

أولئك البشر المصطفون هم الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وقضت حكمته تعالى أن تكون رسالاتهم مؤيدة بالآيات البينات؛ لتتم بها الحجة، وتنجح معها الدعوة، وبهذه الآيات صارت أقوال الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مقطوعاً بصحتها، وأفعالهم مشهوداً بحكمتها، فالدين الحق لا يتخلف عنه الصدق في قول، ولا تفارقه الحكمة في موطن.

وإذا حدثناك عن الدين بعد هذا، فإنما نحدثك عن دين الإسلام، ومسايرته للعلم الصحيح؛ إذ في استطاعتنا أن نقيم على ذلك الحجة، وندفع من حوله كل شبهة.

نجد فيمن يمشون في الفلسفة على غير سبيل طائفةً يعتقدون أن الكائنات مرتبطة في نفسها بأسباب معينة يترتب عليها أثرها حتماً، ولا يمكن انقطاع هذه الأسباب عن آثارها المعروفة بحال، وهذه العقيدة يحملها الطبيعي البحت، ولا تستقر في نفس تؤمن بأن جميع الكائنات تستند إلى

مبدع حكيم، فعَّال لما يريد.

وإذا أخذت في مناظرة صاحب هذه الدعوى، لم يقل في الاستدلال عليها أكثر من أنه لم يشهد الأسباب منفردة عن مسبباتها، ولا المسببات قائمة بدون أسبابها، وبهذه الشبهة ينكر أن يكون إبراهيم ـ عليه السلام ـ ألقي في النار ولم تحرقه، وينكر أن عيسى ـ عليه السلام ـ ولد من غير أب، وينكر أن تكون عصا موسى ـ عليه السلام ـ قد انقلبت ثعباناً، إلى ما يماثل هذا من الآيات البينات.

ومن الواضح أن دعواهم باطلة، وشبهتم داحضة، ولا سبيل لهم إلى إثبات أن تخلف المسببات عن أسبابها المعروفة عادة من قبيل المحال؛ فإن عدم مشاهدة انقطاع المسببات عما عرف من أسبابها لا يستلزم ارتباطهما في نفس الأمر ارتباطاً يحيل العقل انفكاكه.

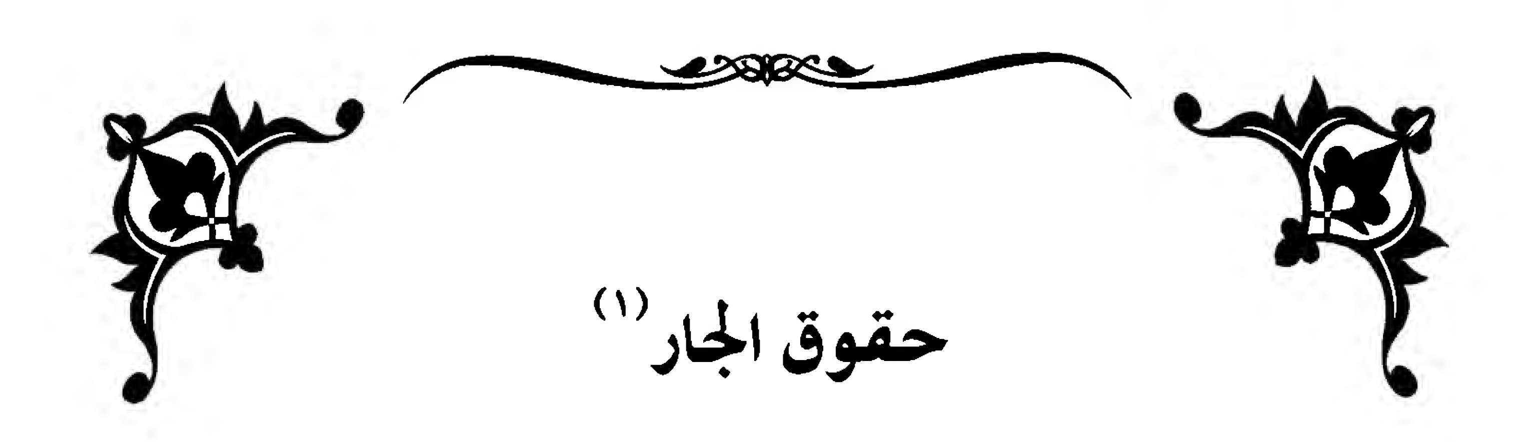
أليس من الممكن أن يجعل القادر الحكيم للأمر سبباً آخر، أو يحدث مانعاً يبطل به تأثير السبب المعروف؟ ومن هنا صح الاعتقاد بالمعجزات التي دلت النصوص المحكمات على وقوعها.

فندعو شباننا الباحثين عن طرق السعادة وراحة الضمير أن يفرقوا بين ما لا يمكن وقوعه؛ مثل: وجود شخص بعينه في مكانين في زمن واحد، ومثل: كون جزء الشيء أكبر من ذلك الشيء، ومثل: رجحان أحد شيئين متساويين من غير مرجح، وبين ما يمكن وقوعه، ولا يستطيع العقل أن يخرجه من دائرة الإمكان، ولكنه يقع على وجه لم تشهده الأبصار من قبل. فالأول موضع الإنكار الحق، ومثلُه لا ترد به الشريعة السماوية في حال. والثاني موضع الغرابة، ووروده في الدين سائغ، بل محقق، وكثير من شؤون اليوم الآخر

داخل في هذا القبيل.

وقد أظهر العلم الحديث من غرائب المخترعات ما لو وصف لقصير النظر من قبل، لأنكره متخيلاً أنه من قبيل المستحيل.





حقوق الجار[1]

الحياة الطيبة أن يعيش الإنسان في أمن، فلا يصيبه من الناس أذى، وأن يجد ما يسد به حاجته؛ من نحو: مطعم وملبس ومسكن، وأن يكون على طهارة نفس، واستنارة فكر؛ إذ بهذه الطهارة والاستنارة يتهيأ إلى أن يجيب داعي الشريعة ومكارم الأخلاق بيسر وسماحة، فطيب حياة الإنسان في أمنه من المخاوف، وبلوغ مآربه الحيوية، وأن يكون على أدب وثقافة ينهضان به إلى تأدية الحقوق، والمسارعة في الخير.

وإذا كانت سعادة الأمة في طيب حياة أفرادها، كان واجب كل فرد أن يوجه همته إلى أن يكون سائر الأفراد في حياة طيبة، فيساعد من يستطيع مساعدته من الأفراد على أن يكون في أمن، أو على كفاية من حاجاته الحيوية، أو على تربية وثقافة يقوى بهما على السير في طريق السلامة وراحة الضمير.

ومن حكمة الشارع في الدعوة إلى الإصلاح: أن اتجه إلى الروابط التي تربط الإنسان بالإنسان؛ كرابطة الاتحاد في الإنسانية، ورابطة الاتحاد في الدين والحق، ورابطة القرابة الدموية، ورابطة الجوار، وأعطى كل رابطة حقها؛ من جهة كف الشر عنها، وسوق الخير إليها.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السادس من المجلد السادس عشر.

ولم يكتف الشارع في دعوته برعاية الروابط الكبرى؛ كرابطة الإنسانية، ورابطة الدين، فاتجه إلى الروابط الصغيرة؛ كرابطة النسب، ورابطة الجوار اتجاهاً خاصاً، ذلك أن هذه الروابط كحلقات في سلسلة كبيرة هي رابطة الأمة، وكمال السلسلة الكبيرة وقوتها في سلامة الحلقات ومتانتها.

وموضوع حديثنا الليلة ـ أيها السادة ـ هو البحث عن حقوق رابطة من هذه الروابط؛ أعني: رابطة الجوار.

يطالب الإنسان بأن يكف الأذى عن كل إنسان، ويقضي حاجة كل ذي حاجة ما استطاع، ويحسن كلما رأى للإحسان موضعاً، وتتأكد المطالبة بهذه الحقوق إن كان ذو الحاجة أو المستحق للإحسان يعيش معك على قطعة صغيرة من الأرض، وقد اكتسب منك لقباً؛ إذ يضيفه الناس إليك، ويقولون: هذا جار فلان.

فالمروءة تقضي على الإنسان بأن يوجه إلى ذوي الجوار عناية خاصة، ويجعلهم في مقدمة من يرعى حقوقهم، ويسعى لقضاء مآربهم.

قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»؛ أي: ظننت أنه سيبلغني عن الله الأمر بتوريث الجار من الجار. وهذه كلمة جامعة بالغة؛ فإن الوصاية بالجار تشمل كف الشر عنه، وإسداء الخير إليه، وقوله: «حتى ظننت أنه سيورثه» يدل على أن الوصاية بالجار كانت على جانب عظيم من التأكد، والحث على رعاية حقوقه، وما زال الناس في كل عصر يدعون إلى رعاية حقوق الجار؛ كما قال يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه:

واعرف لجارك حقه ... والحق يعرفه الكريم

وحقوق الجار ترجع إلى أربعة أصول، هي: أن لا يلحق الرجل بجاره أذى، وأن يحميه ممن يريده بسوء، وأن يعامله بإحسان، وأن يقابل جفاءه بالحلم، ويشمل هفواته بالصفح والمغفرة.

*** كف الأذى عن الجار:**

نبهت في المحاضرة عن بعض الوجوه التي يؤذي بها الرجل جاره، ومنها: التعرض لحرم الجار بقصد سيىء، ثم قلت: ويروى أن عبد الملك ابن مروان قال لمؤدب ولده: إذا روَّيتهم شعراً، فلا تروِّهم إلا مثلَ قول العجير السلولي:

يبين الجار حين يبين عني ... ولم تأنس إلي كلاب جاري
وتظعن جارتي من جنب بيتي ... ولم تستر بستر من جدار
وتأمن أن أطالع حين آتي ... عليها وهي واضعة الخمار
كذلك هدي آبائي قديماً ... توارثه النِّجار عن النِّجار

ويؤذي الرجل جاره بأن ينظر إليه بعين الاحتقار، مثلما يفعل بعض من لم يتربوا تربية فاضلة، إذ يزرون جارهم الفقير، قال حسان بن ثابت:

فما أحد منا بمهدٍ لجاره ... أذاةً ولا مزرٍ به وهو عائد
لأنا نرى حق الجوار أمانة ... ويحفظه منا الكريم المعاهد

*** حماية الجار:**

كف الأذى عن الجار أثر من آثار طهارة النفس، ومما ينبه لشرف همة الرجل: نهوضه لإنقاذ جاره من بلاء يناله به غيره، وكانت حماية الجار من أشهر مفاخر العرب التي ملأت أشعارهم، قال حسان بن ثابت:

ولا ضـيفنا عنـد القـرى بمـدفَّعٍ   وما جارنا فـي النائبـات بمـسلَمِ

وقال:

يواســون مــولاهم فــي الغنــى   ويحمــون جــارهم إن ظُلــم

وقال حسان بن نشية:

أبوا أن يبيحـوا جـارهم لعـدوهم   وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

وكان لأبي حنيفة جار بالكوفة، إذا انصرف من عمله، يرفع صوته في غرفته مغنياً:

أضــاعوني وأي فتــى أضــاعوا   لِيــوم كريهــة وســداد ثغــر

فيسمع أبو حنيفة غناءه بهذا البيت، فاتفق أن أخذ الحرس في ليلة هذا الجار وحبسوه، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، وسأل عنه من الغد، فأخبروه بحبسه، فركب إلى الأمير عيسى بن موسى، وطلب منه إطلاق الجار، فأطلقه في الحال، فلما خرج الفتى، دعا به أبو حنيفة، وقال له سراً: فهل أضعناك يا فتى؟ قال: لا، ولكن أحسنتَ وتكرمت، أحسن الله جزاءك:

ومــا ضــرَّنا أنَّــا قليــل وجارُنــا   عزيــزٌ وجــارُ الأكثــرين ذليــلُ

* **الإحسان إلى الجار:**

لا يكفي الرجلَ في حسـن الجـوار أن يكف أذاه عن الجار، أو يدفع عنه بيده أو جاهه يداً طاغية، بل يدخل في حسن الجوار: أن يجامله بنحو التعزية عند المصيبة، والتهنئة عند الفرح، والعيادة عند المرض، والبداءة بالسلام، وإرشاده إلى ما ينفعه بعلمه من أمر دينه ودنياه، وأن يواصله بما استطاع من إكرام.

وقد عد رسول الله ﷺ إكرام الجار في خصال الإيمان، فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره».

وقال تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[النساء: ٣٦].

والجار ذو القربى: الجار الذي قرب جواره، والجار الجنب: الذي يعد في العرف جاراً، وبين منزلك ومنزله فسحة، والصاحب بالجنب: من يرافقك في نحو سفر، أو تعلم، أو صناعة.

والمتأدبون بأدب القرآن يحافظون على حق الجار في كل حال.

قال مجاهد: كنت عند عبدالله بن عمر، وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام! إذا سلخت، فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مراراً، ثم ذكر حديث وصاية النبي ﷺ بالجار.

والمتأدبون بأدب القرآن يراعون حقوق الجار حق الرعاية.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «لا تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين ألا تنزل بين أبويها».

وكان العرب يفتخرون بإكرام الجار كما يفتخرون بإكرام الضيف، قال قيس بن عاصم:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي

أخاً طارقاً أو جار بيت فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

وقال آخر:

سأقدح من قِدْري نصيباً لجارتي وإن كان ما فيها كفافاً على أهلي

إذا أنت لم تشرك رفيقك في الذي يكون قليلاً لم تشاركه في الفضل

ومن الإحسان إلى الجار: بذل ما يطلبه من نحو النار والملح والماء، وإعارته ما اعتاد الناس استعارته من أمتعة البيت؛ كالقدر والصحفة والسكين والقدوم والغربال.

وحمل كثير من المفسرين الماعون في قوله تعالى:

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾[الماعون: ٧] على هذه الأدوات ونحوها، ذلك أن منعها دليل لؤم الطبيعة، ودناءة النفس، قال مهيار:

لجارهم من دارهـم مثـل مـالهم على راحة مـن عيـشهم ولغـوب

وكان العرب يضربون المثل في حسن الجوار بأبي دؤاد، وهو كعب ابن أمامة، فيقولون: «جار كجار أبي دؤاد»، وكان أبو دؤاد هذا إن هلك لجاره بعير أو شاة، أخلفها عليه، وإذا مات الجار، أعطى أهله مقدار ديته من مال.

*** احتمال أذى الجار:**

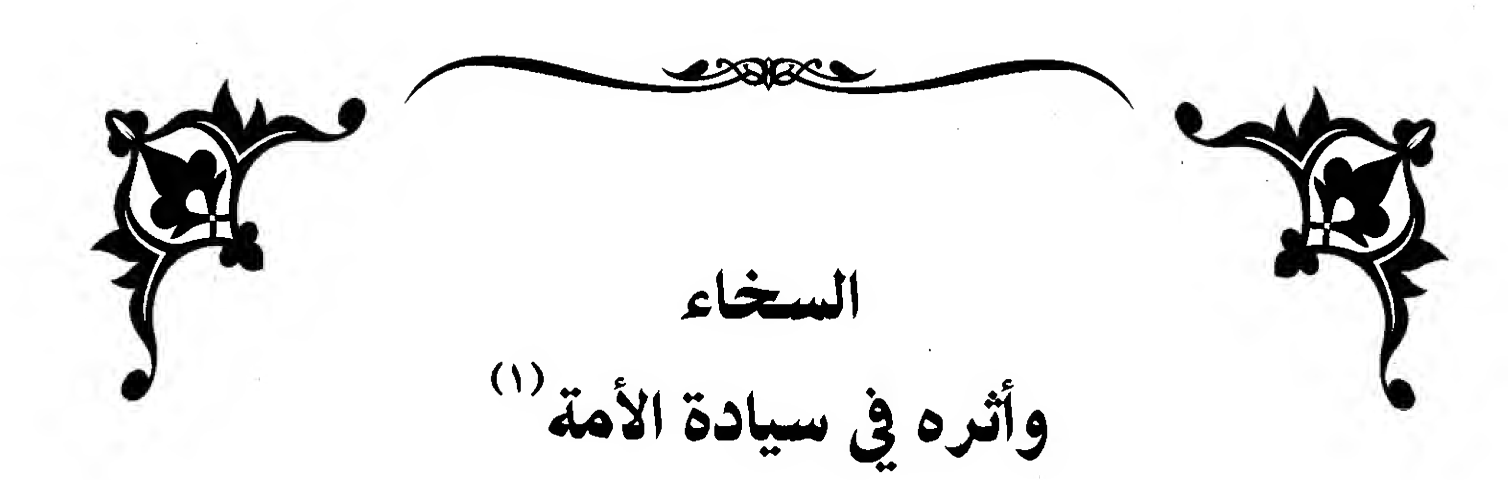
للرجل فضل في أن يكفَّ عن جاره الأذى، وله فضل في أن يذود عنه، ويجيره من أيدٍ تمتد إليه بسوء، وله فضل في أن يواصله بالإحسان جهده، وهناك فضل رابع هو: أن يغضي عن هفواته، ويتلقى كثيراً من إساءاته بالصفح، ولاسيما إساءة صدرت عن غير قصد، أو إساءه ندم عليها، وجاء معتذراً منها، قال الحريري في مقاماته: «وأراعى الجار ولو جار».

وكثيراً ما يكون الصفح عن الرجل، والعفو عن زلته دواء لسوء خلقه،

وتقويماً لعوجه، فيعود الجفاء إلى ألفة، والمناوأة إلى مسالمة، أما التسرع إلى دفع السيئة بمثلها، أو بأشد منها، دون نظر إلى ما يترتب عليها من الأثر السيىء ، فدليل ضيق الصدر، والعجز عن كبح جماح الغضب، وإنما يتفاضل الناس في السماحة والسيادة على قدر تدبرهم للعواقب، وإسكاتهم الغضب إذا طغى.

وصفوة الحديث: أن انتظام رابطة الجوار؛ حيث يذهب التنافر بين الجيران، ويحل محله التراحم والتآزر على مرافق الحياة، لأكبرُ شاهد على رقي المجتمع، وسمو آدابه، وبإصلاح هذه الرابطة تطوى عن المحاكم قضايا كثيرة لا منشأ لها إلا عدم رعاية حقوق الجوار.





السخاء
وأثره في سيادة الأمة[1]

في الإنسان طبائع تقاسمها الناس على حسب اختلاف بيئاتهم، وطرق تربيتهم، وأطوار حياتهم.

ففي الإنسان طبيعة رحمة وشفقة، وفيه طبيعة الغيرة على أن يكون وطنه في أمن وسلامة، وأمته في سعادة وكرامة، وفيه طبيعة حب الحمد، وأن يثنى عليه بألسنة صادقة.

وينشأ عن هذه الطبائع خصلة بذل المال في وجوه الخير، وهي ما نسميه بالسخاء. وللسخاء باعث آخر قوي الأثر، هو: رجاء الفوز بما وعد الله به المنفق في الخير من الحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم الخالد في الأخرى.

وفي الإنسان طبيعة الخوف من الحاجة والفقر؛ يخاف ذلك على نفسه، أو على من يعز عليه من ورثته، وينشأ عن هذه الطبيعة طبيعة الحرص على جمع المال، وقد يشتد به هذا الخوف، حتى يمسك عن الإنفاق في وجوه الخير، وذلك ما نسميه بالبخل.

وفي الإنسان طبيعة حب الشهوات على اختلاف ألوانها، وطبيعة حب المدح والإطراء ـ ولو بغير حق ـ، وينشأ عن هاتين الطبيعتين طبيعة بذل المال

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر.

في الوصول إلى الشهوات الخارجة عن حد الاعتدال، أو في إشباع نهامة أولئك الذين يتمضمضون بالمديح نفاقاً وملقاً، وهي ما نسميه بالإسراف.

فالبخل يقوم على مبالغة الرجل في الخوف من الفقر، والإسراف يقوم على استهانته بالمال حتى لا يبقى له بجانب شهواته قيمة.

وقد يمسك الرجل يده عن الإنفاق في وجوه الخير، ويطلقها في اتباع الشهوات، فيجمع بين رذيلتي البخل والإسراف.

أما السخاء، فيقوم على الشعور بأن للمال قيمة تستدعي عدم الإسراف في إنفاقه، وأن للحياة الفاضلة مطالب يبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه، فالسخاء إنفاق ما ينبغي إنفاقه في الوجه الذي ينبغي الإنفاق فيه.

قيل لمحمد بن عمران بن طلحة بن عبيدالله: إنك تُنسب إلى البخل، فقال: «والله! إني لا أجمد في الحق، ولا أذوب في الباطل».

وقيل لمفضال حكيم: لا خير في الإسراف، فقال: لاسرف في الخير.

ويدخل في قبيل الأسخياء: من يكون له دين على آخر، فيطرحه عنه، ويخلي ذمته منه، وهو يستطيع الوصول إليه بدون تعب ولا عناء.

كان لعثمان ﷺ خمسون ألف درهم ديناً على طلحة بن عبيدالله، فجاءه طلحة يوماً، وقال له: قد تهيأ مالك، فاقبضْه، فقال عثمان: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

ويدخل في قبيل الأسخياء: من يستحق على عمل أجراً، ويترك الأجر من تلقاء نفسه، فالطبيب الذي يعالج الفقراء، ولا يقبل منهم ما يقدمونه له من أجور، يعد في الأسخياء، كمن يبذل المال للأطباء على معالجة الفقراء.

ويما أن السخاء يقوم على الرحمة، وحب الحمد الصادق، وقلة الحرص على جمع المال، كان متصلاً بفضائل أخرى، فالسخي في أغلب أحواله يأخذ بالعفو، ويتحلّى بالحلم، ويجري في معاملاته على الإنصاف، فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه، وإذا قضى بين الناس، كان عادلاً، فلا تطمح نفسه إلى رشوة، ولا تحدثه أن يأخذ حق ضعيف إلى قوي، ولتجدنَّ السخي بحق متواضعاً: لا يطيش به كبر، ولا تستخفه الخيلاء، ولتجدنه أقرب الناس إلى الشجاعة، وعزة النفس، وإنما يخسر الرجل الشجاعة والعزة بشدة حرصه على متاع الحياة الدنيا.

أما البخيل، فلفراغ قلبه من الرحمة، ولعدم اهتمامه بأن يكون له في الناس ذكر جميل، ولحرصه على جمع المال حرصاً يعمي ويصم، نجده قد فقد كثيراً من المكارم، وجمع إلى الشح كثيراً من الرذائل، كما قال أحد شعراء الحماسة:

فإني رأيت الشح يا أم هيثم ... لصالح أخلاق الرجال سَروقُ

ومن المعروف في سنن الله الحكيمة: أن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة.

قالت خديجة ـ رضي الله عنها ـ للرسول الأكرم ـ صلوات الله عليه ـ: «والله! لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

يتفاضل الناس في السخاء من وجوه شتى:

يتفاضلون من جهة مقدار ما ينفق في الخير، فمن ينفق مئة أسخى ممن ينفق عشرة متى تساويا أو تقاربا فيما يملكان من المال.

يفضل الرجل بمقدار ما ينفق حتى يبلغ درجة الأريحية، وهي إنفاق مال كثير في غرض شريف.

اشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عقبة داره بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل، سمع بكاء أهل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ فقالوا: يبكون لدارهم، فقال: يا غلام! ائتهم، فأَعلمْهم أن المال والدار لهم جميعاً.

ويتفاضلون من جهة حال الإنفاق، فالذي ينفق في السر أكملُ في السخاء ممن لا ينفق إلا في العلانية. قال تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢٧١].

ويتفاضلون من جهة استصغار ما ينفق واستعظامه، فالذي ينفق في الخير، وينسى أو يتناسى أنه أنفق، هو أسخى ممن ينفق، ثم لا يزال يذكر ما أنفق، ولاسيما ذكره في معرض الامتنان، قال شاعر الحماسة:

فما كان مفراحاً إذا الخير مَسَّه ... ولا كان منّاناً إذا هو أنعما

وقال عبدالله بن طاهر:

أفرّق بين معروفي ومَنِّي ... وأجمع بين مالي والحقوق

ويتفاضلون من جهة السرعة إلى البذل والتباطؤ عنه. فمن يبذل المال لذوي الحاجة لمجرد ما يشعر بحاجتهم، يفضل من لا يبذل لهم المال إلا بعد أن يسألوه.

قال مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة:

مضى من كان يحمل كلَّ ثقلٍ ... ويسبق فضلُ نائله السؤالا

وقال سعيد بن العاص: قبّح الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة.

ومن هنا أنكروا على أبي تمام قوله يمدح بعض الأسخياء:

تكاد عطاياه يجنّ جنونها إذا لم يُعَوِّذها بنعمة طالب

وقالوا: ما بال هذا الممدوح يحوج عطاياه إلى الجنون، ويلتمس لها العوذ والرقى، وفي يده أن يمنحها ذوي الحاجات، ولا ينتظر بها نغمات السائلين؟!.

ومن يقصد بالبذل موضع الحاجة، عرفه أو لم يعرفه، يكون أسخى ممن يخص بالنوال من يعرفهم ويعرفونه.

سألت امرأة عبدالله بن جعفر، فأعطاها مالاً كثيراً، فلاموه، وقالوا له: إنها لا تعرفك، وإنما كانت يرضيها اليسير، فقال: إن كانت ترضى باليسير، فإني لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي.

ومن يعطي عن ارتياح، وتلذذ بالعطاء يعد أسخى ممن يحسن، وفي نفسه حرج من العطاء:

ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه فحلوٌ وأمّا وجهه فجميلُ

ومن هنا نرى الشعراء ينبهون عند المديح بالكرم على ابتهاج الممدوح وسروره عند البذل، كما قال ابن زمرك يمدح ملك غرناطة:

يسخو الغمام ووجهه متجهِّمٌ والوجهُ منه مع الندى يتهلَّلُ

ومن كان كرمه أصيلاً؛ أي: نشأ فيه منذ الولادة، يكون أكثر خيراً ممن يكون كرمه حديثاً، وقد يدل الأدباء على رسوخ الرجل في السخاء بأن

يقولوا لك: إن كرمه أصيل، ورثه عن أبيه، أو جدّه؛ كما قال مادح يحيى ابن خالد:

سألت الندى: هل أنت حرٌّ؟ فقال: لا ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالدِ

فقلت: شراء؟ قال: لا بل وراثة توارثني عن والدٍ بعد والدِ

ومن علامات رسوخ الرجل في السخاء: أن لا يجعل بينه وبين طالبي العرف حجاباً غليظاً؛ كما قال ابن أبي السمط:

له حاجب في كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجبُ

ومن علامات رسوخ الرجل في السخاء: أن يلاقي خدمه الزائرين والمستجدين بأدب جميل. قال محمد بن جرير الخارجي:

سهل الفناء إذا حللت ببابه طلق اليدين مؤدّب الخدّام

وكان الراسخ في السخاء من أهل البادية لا ينزل إلا بالأماكن المرتفعة؛ ليرى الناس منزله على بعد في النهار، ويبصرون ناره كذلك في ظلام الليل. قال أبو زياد الأعجم:

له نار تشب على يَفاع إذا النيران ألبست القناعا

وقال ابن هرمة:

أغشى الطريق بقبتي ورواقها وأحل في نشز الربا فأقيم

يتفاضل الناس في السخاء، وأرفع درجاته أن يكون الرجل في حاجة ملحة إلى ما عنده، ويدع حاجته، ويصرفه في وجه الخير، وذلك ما يسمى بالإيثار، قال تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

والكتب عامرة بقصص من بلغوا هذه الرتبة في السخاء. قال أحد شعراء الحماسة:

طويل نجاد السيف يـصبح بطنـه خميصاً وجاديه على الزاد حامـد

وأبلغ ما يدلك على أصالة كرم الرجل: أن يرق عطفه حتى يبسط يد إحسانه إلى ذي الحاجة، وإن كان من أعدائه؛ كما قال أحد شعراء الحماسة في سيرته مع ابن عشيرته:

وأمنحــه مــالي وودي ونــصرتي وإن كان محنيَّ الضلوع على بغضي

*** أثر السخاء في سيادة الأمة:**

تبلغ الأمة الأمد الأسمى من السيادة بحفظ دينها، وسعة معارفها، وسمو أخلاقها، وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها، وحياة لغتها، ومتانة اتحادها، وحماية أوطانها، وكل هذه المقاصد رفيعة الشأن إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس.

للسـخاء أثـر في حفظ الدين: فالمسـاجد التي تقام فيها الصلوات، والمعاهد التي تدرس فيها علوم الدين ووسائلها، والجمعيات التي ترشد بمحاضراتها ومجلاتها إلى حقائق الدين، وتدعو إلى التمسك بعروته الوثقى، والمحاكم التي تقضي بشريعته، كل ذلك معدود من مآثر السخاء.

وللسخاء أثر في تنمية العلوم، وذلك ما تجود به النفوس الكريمة من أموال تصرف في إنشاء مدارس للتعليم، وإرسال بعثات لتلقي العلوم من منابعها الغزيرة، أو طبع كتب قيمة، أو عقد مسابقات لتحقيق بحث علمي أو أدبي.

وللسـخاء أثر في نبل الأخلاق وسلامتها، من جهة أنه يحفظ الدين، وينمي العلوم، وبحفظ الدين وبنمو العلوم ترتفع الأخلاق، وتبلغ الذروة من كمالها.

ثم إن السخاء ينقذ أناساً كثيراً من الفقر الذي قد ينجرف بهم إلى فساد الأخلاق وضيعة الآداب.

وللسخاء أثر في صيانة الأعراض، ذلك أن الكريم يبذل المال لذي الحاجة، فيصون ماء وجهه من الابتذال بالسؤال، والسؤال يزري بالرجل، ويجعل عرضه مضغة في الأفواه.

ثم إن الأسـخياء يصونون أعراضهم بما يسـدون به أفواه أناس لولا عطاؤهم، لأطلقوا ألسنتهم بذمهم، واختلقوا لهم معايب هم منها براء.

قال أسـماء بن خارجة: ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة طلبها؛ لأنه لا يخلو أن يكون كريماً فأصون عرضه، أو لئيماً فأصون عرضي عنه:

أصون عرضـي بمـالي لا أدنـسه　　　لا بارك الله بعد العرض في المال

وللسخاء أثر في نباهة الذكر بعد سلامة العرض؛ فإن الفضائل ـ والسخاء في مقدمتها ـ تطلق الألسنة بالثناء، والثناء الصادق من النعم التي تقابل بالارتياح والشكر، ومن هنا نرى الأدباء يمدحون الرجل بأنه حفظ بسخائه الثناءَ من الضياع، أو أقام له سوقاً كانت خاملة، قال مهيار:

لـولاكم نُـسي الثنـاء ولـم يكـن　　　فـي النـاس لا رفـد ولا مرفـود

وقال أبو الشيص الخزاعي:

وأقـام سـوقاً للثنـاء ولـم تكـن　　　سـوق الثنـاء تعـد فـي الأسـواق

وللسخاء أثر في حفظ اللغة ورقيها، والسخاء قد ساعد على هذه الثروة الأدبية التي بين أيدينا؛ فإن كثيراً منها جاء من سخاء أولئك الذين يقدرون اللغة، ويهتزون للشعر البارع، أو النثر البليغ ابتهاجاً، ويلاقون اللغويين والشعراء والكتاب باحتفاء وإكرام، وأشار إلى هذا من يقول:

ما لقينا من جود فضل ابن يحيى   ترك الناس كلهم شعراء

وللسخاء أثر في ائتلاف القلوب، وتأكيد رابطة الإخاء، ذلك أنه يبذر محبة المحسنين في قلوب ذوي الحاجات.

ثم إن من وجوه السخاء: صرف المال في نحو ضيافة، أو هدية - ولو لغير ذي حاجة -، وهذا مما يذهب بالجفوة، ويجعل القلب من القلب قريباً:

وكل امرئ يولي الجميل محببٌ   وكل مكان يُنبت العزَّ طَيِّبُ

أما أثر السخاء في حماية الوطن، فإن إعداد وسائل الدفاع، إنما يكون بالمال، وعلى قدر سخاء الأمة يكون الاستعداد، وسخاء الأمة في سبيل الدفاع يأتي على حسب شعورها بالكارثة التي تقع فيها إذا هي تركت الدفاع حتى بسط العدو عليها سلطانه.

وقد أشار القرآن المجيد إلى أن الإمساك عن الإنفاق في سبيل دفع العدو، إلقاءٌ باليد إلى التهلكة، فقال تعالى:

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥].

يدافع الرجل عن وطنه وقومه بالسلاح فيقول:

إذا لم أكن فيكم خطيباً فإنني   بسيفي في يوم الوغى لخطيب

ويدافع بقلمه فيقول:

ولي قلـم فـي أنملـي إن هززتـه فمـا ضـرني أن لا أهـز المهنـدا

ويدافع بماله، كما قال لسان الدين بن الخطيب يمدح سلطان تلمسان:

وأعنــت أندلــساً بكــل سـبيكة موســومة لا تعــرف التدنيــسا

إن لم تجرَّ بها الخميس فطالما جهَّـزت فيهـا بـالنوال خميـسا

وقد أجاد في تشطير لامية ابن الوردي من قال:

«أنــا لا أختــار تقبيــل يــدِ» ما انتضت سيفاً ولا هـزت أَسَـلْ

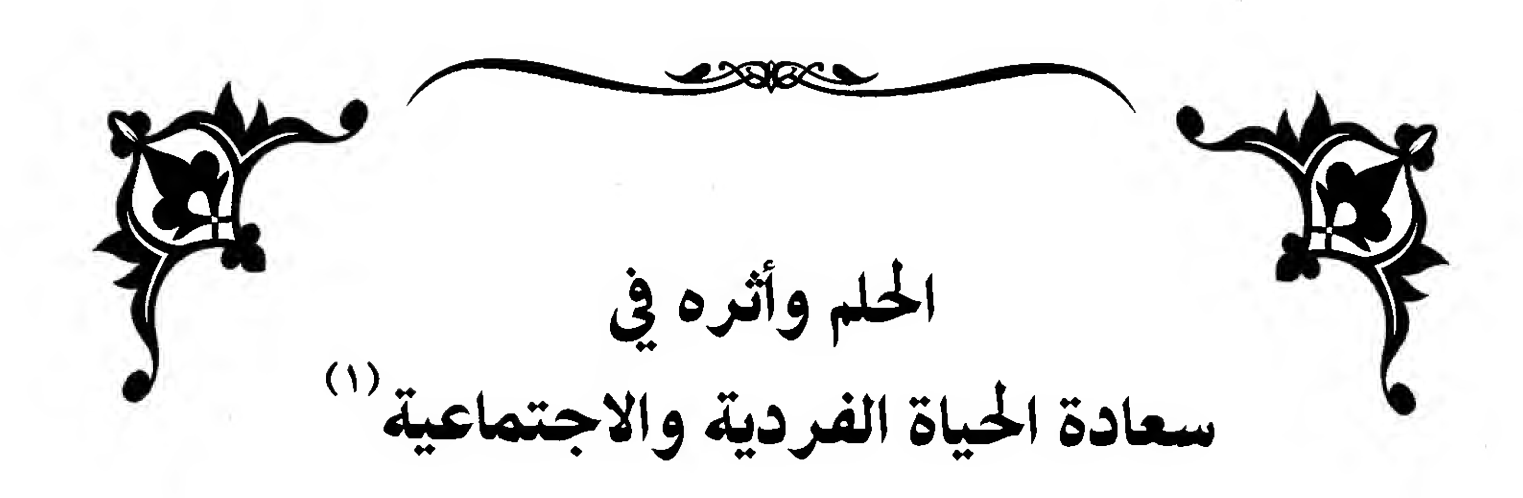
ويـد شـحَّتْ ومـا سَـحَّتْ نـدًى «قطعها أجمل مـن تلـك القبـل»

سادتي!

أمنيتنا أن نربي نشأنا على هذا الخلق العظيم: خلق السخاء، ونلقنهم أنه مرقاة السيادة والفلاح، كما كان فرضاً علينا أن ننذرهم سوء المنقلب الذي ينقلب إليه البخلاء والمبذرون، فإذا نحن فعلنا هذا، أخرجنا للناس أمة تسمو أن تنحدر في تلك المدنية الهازلة المرذولة، ولا يجد خصومها لقهرها أو سلب حق من حقوقها طريقاً:

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

❐ ❐ ❐



الحلم وأثره في سعادة الحياة الفردية والاجتماعية[1]

ترغب النفوس في أشياء، وتنفر من أخرى، وفي النفوس طبيعة غضب تثور عند منعها مما ترغب فيه، أو عند ملاقاتها لما تنفر منه، ومن المخل بنظام حياة الأفراد والجماعات: إطلاقُ العِنان لقوة الغضب، تثور كلما منعت النفوس مما تحب، أو لقيت ما تكره، بل الحكمة أن تكون قوة الغضب خاضعة للعقل خضوعاً يجري في النفس مجرى الطبيعة، حتى لا تهيج إلا للأمر الذي ينبغي أن تهيج له، وفي الوقت الذي ينبغي أن تهيج فيه، ولا تتجاوز الحد الذي ينبغي أن تقف عنده.

ومن أبلغ أن تكون قوة غضبه منقادة للعقل، جارية على مقتضى العلم، فهو الحليم بحق.

وليس من شرط الحلم أن يفقد الرجل قوة الغضب بحيث يكون حاله أمام الإساءة وعدمها سواء، وإنما شرط الحلم: أن لا يطغى الغضب حتى يدفع الرجل إلى الانتقام، أو يمنعه من الصفح حيث يكون الصفح أولى به.

فالحليم قد يأخذه الغضب لجهل جاهل عليه، لكنه يكظم غيظه حتى لا يكون له أثر في غير نفسه:

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السادس من المجلد العاشر.

ولربما ابتسم الكـريم مـن الأذى وفـؤاده مـن حـرِّه يتـأوَّهُ

وقد يسلم من الغضب للأمر الذي يستشيط له الأحمق غضباً.

والحلم لا يعارض الأخذ بالحزم، شأن الفضائل، يأخذ بعضها بيد بعض، وتتلاقى لتتعاون على البرّ والتقوى، فإذا كان الحلم سكون النفس، وعدم تهيجها للمكروه الذي يكفي في دفعه الصفح عنه، فإن من الحزم الغضب للأذى الذي يصدر عن لؤم، ويتمادى ولو مع الإغضاء عنه، قال المتنبي:

إذا قيل رفقاً قال للحلـم موضـع وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وقال النابغة:

ولا خير في حلم إذا لم تكن لـه بـوادر تحمـي صـفوَه أن يُكـدَّرا

وقال الحسين بن عبد الصمد يمدح بعض الأمراء:

عجبوا لحلمك أن تحوّل سـطوة وزلال خلقك كيف عـاد مكـدَّرا

لا تعجبـوا مـن رقـة وقـساوة فالنار تقدح من قـضيب أخـضرا

وقال آخر:

أناة فـإن لـم تغـن عقَّـب بعـدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمُـهْ

والحلم لا يشتبه بالذلة في حال؛ فإن الذلة احتمال الأذى على وجه يذهب بالكرامة؛ أما الحلم، فهو إغضـاء الرجـل عن المكـروه حيث يزيده الإغضاء في أعين الناس رفعة ومهابة:

سياسة الحلم لا بطـشٌ يكـدِّرها فهو المهيب ولا تُخشى بـوادره

ولا يظهر معنى الحلم إلا مع القدرة على دفع الأذى باليد أو اللسان،

لهذا نرى كثيراً من الشعراء متى أرادوا مدح شخص بمزية الحلم؛ نبهوا على أنه يصفح، وهو قادر على أن يجزي السيئة بمثلها، أو بما هو أكبر منها، كما قال ابن زمرك يمدح سلطان غرناطة:

ويغضي عن العوراء إغضاءَ قادرٍ ويرجح في الحلم الجبال الرواسيا

وقال ابن زيدون يمدح بعض الأمراء:

أرى الدهر إن يبطشْ فمنك يمينُه وإن تبسم الدنيا فأنت لها ثغرُ

عطاء ولا مَنٌّ، وحكم ولا هوًى وحلم ولا عجز، وعزٌّ ولا كِبْرُ

ونراهم متى أرادوا الفخر بالحلم، أشاروا إلى قدرتهم على مقابلة السوء بمثله؛ كما قال عمر بن قيس:

وذي ضغنٍ كففت النفسَ عنه وكنت على مساءته قديرا

ولو أني أشاء كسرتُ منه مكاناً لا يُطيق له جبورا

وكل الأخلاق في حاجة إلى أن تتعهد بالتربية والتهذيب، وأشدها حاجة إلى ذلك التعهُّد: الحلم، ولم نسمع أحداً قال: ترددنا على فلان لنأخذ عنه الشجاعة أو الكرم ـ مثلاً ـ، ولكن الأحنف بن قيس يقول: لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحلم كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه.

وكثيراً ما يشكو الأدباء من قلة الحلم في الناس، قال بعضهم:

من لي بإنسان إذا أغضبته وجهلتُ كان الحلم ردَّ جوابه

وقال أبو العتاهية:

عذيري من الإنسان ما إن جفوته صفا لي ولا إن صرت طوع يديه

وإني لمشتاق إلى ظلِّ صاحب   يرقُّ ويصفو إن كدرت عليه

ويروى: أن الخليفة المأمون لما سمع هذين البيتين، قال: خذوا مني الخلافة، وأعطوني هذا الصاحب.

ومكارم الأخلاق كلها خير، وكل مكرمة ترفع صاحبها في الشرف درجة أو درجات، ومن أعظمها أثراً في سعادة حياة الأفراد والجماعات: خلق الحلم، ويكفي الحلم شرفاً أن اسمه أخذ من بين أسماء الفضائل، وسمي به العقل، ومن الحكم الذائعة في كتب الأدب قولهم: ما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى مقدرة.

يقطع الحلم شراً لو قوبل بمثله، لتمادى، أو عظم خطره.

قال أيوب: حلم ساعة يرفع شراً كبيراً.

وقال الأحنف: من لم يصبر على كلمة، سمع كلمات، وربَّ غيظ تجرَّعته مخافة ما هو شر منه.

وقد يضع الحلم مكان الضغينة مودة، ذلك أن الفضيلة محبوبة في نفسها، وتدعو إلى إجلال من يتمسك بها؛ وقد نبه القرآن المجيد لهذه الحكمة بقوله:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وبالحلم يحفظ الرجل على نفسه عزتها، إذ يرفعها عن مجاراة الطائفة التي تلذ المهاترة والإقذاع.

كان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه أحد بشتم أو قول سوء، لم يجبه، وقال: إني أتركك رفعاً لنفسي عنك.

ونرى الناس في جانب الحليم متى كان خصمه أو مناظره ينحدر في جهالة، ولا يندى جبينه أن يقول سوءاً.

قال علي بن أبي طالب: «حلمك على السفيه يكثر أنصارك عليه».

ومن فضل الحلم أن الرياسة صغيرة كانت أو كبيرة؛ لا ينتظم أمرها إلا أن يكون الرئيس راسخاً في خلق الحلم.

قال معاوية لعَرابة بن أوس: بم سُدت قومك يا عرابة؟ قال: «يا أمير المؤمنين! كنت أحلم على جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في قضاء حوائجهم»؛ وذلك أن الناس يكرهون جافي الطبع، ولا يجتمعون حول من يأخذه الغضب لأدنى هفوة، إلا أن يساقوا إليه سوقاً، فمن قل نصيبه من الحلم، قل أنصاره، وذهبت من قلوب الناس مودته، والرئيس بحق من يملك القلوب قبل أن يبسط سلطانه على الرقاب.

ثم إن أعزَّ غاية تعمل لها الجماعات: التمتع بنعمة الحرية، ولا تظفر الجماعات بهذه البغية إلا أن يكون الماسك بزمام سياستها على جانب عظيم من الحلم؛ فإن الحليم هو الذي يقدم الناس على نقد تصرفاته، ويصرحون له بآرائهم فيما لا يرضون عنه من أعماله.

أغلظَ رجل إلى معاوية بن أبي سفيان القول، فحلم عنه، فقيل له: أتحلم عن هذا؟ فقال: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا.

ويعجبني من الشعر المعبر عن الحلم البالغ أبياتُ محمد بن عميرة المعروف بالمقنَّع الكِندي التي يقول فيها:

وإن الـذي بيني وبـين بني أبـي ... وبين بني عمِّـي لمختلـفٌ جِـدّا

فإن أكلوا لحمي وَفَرت لحومَهم وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا

حتى قال:

ولا أحمل الحقد القديم عليهمُ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

ونرى الرؤساء الأذكياء يقصدون إلى الوسائل التي قد تثير غضبهم على طائفة من الأمة، فيقطعونها.

لما انتهت فتنة ابن المعتز، وعاد المقتدر إلى الخلافة، واستوزر علي ابن الفرات، حُمل إلى هذا الوزير من دار ابن المعتز صندوقان عظيمان فيهما جرائد بأسماء من بايعوا ابن المعتز، فلم يفتحهما الوزير، ورمى بهما في النار، وقال: لو فتحتهما، وقرأت ما فيهما، فسدت نيات الناس علينا. فسدَّ ابنُ الفرات بهذه السياسة باب الغضب على أشخاص قد يدفع الغضب عليهم إلى فتنة لا يدري كيف تكون عاقبتها.

وإذا وجد الناس في التغلب على الغضب عسراً، فإن لدى الرؤساء أولي القوة ما يجعلهم أقرب إلى الحلم من غيرهم، وهو القدرة على الانتقام من المسيء متى شاؤوا.

قال ابن المقفع: لا ينبغي للملك أن يغضب، فإن القدرة من وراء حاجته.

والشعور بالقدرة على مجازاة المسيء إن لم يؤد إلى الصفح عنه، فإنه يساعد في الأقل على التمهل في العقوبة؛ فإن اندفاع الرجل إلى العقوبة عند ثورة الغضب قد يلقي به في العقاب على السيئة بأعظم منها.

قال مروان بن الحكم في وصيته لابنه عبد العزيز عندما ولاه عاملاً على مصر: «إن كان بك غضب على أحد من رعيتك، فلا تؤاخذه به عند سَوْرة الغضب، واحبس عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وأنت

ساكن الغضب، مطفأ الجمرة».

وأعظم فوائد الحلم: الفوز برضا الخالق ـ جل شأنه ـ؛ فإنه قد دعا إليه في آيات كثيرة، قال تعالى:

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وكثير من المؤمنين يؤذَوْن، فيضبطون أنفسهم عند الغضب ابتغاء رضا الخالق تعالى اسمه.

شتم رجل عمر بن ذر، فقال له: إني أَمَتُّ مشاتمة الرجال صغيراً، فلن أُحييها كبيراً، وإني لا أكافىء من عصى الله فيَّ بأكثر من أن أطيع الله فيه.

وصفوة الحديث: أن الحلم يحتاج إليه عميد الأسرة في منزله، والتاجر في محل تجارته، والعالم في مجلس دراسته، والقاضي في مقطع أحكامه، والرئيس الأعلى في سياسة رعيته، بل يحتاج إليه كل إنسان مادام الإنسان مدنياً بالطبع، لا يمكنه أن يعتزل الناس جملة، ويعيش في وحدة مطلقة.

❑ ❑ ❑



حالة الأمة في هذا العصر(١)

قام النبي ﷺ بدعوة الحق، واحتمل في سبيلها أذى كثيراً، ويسر الله له أسباب الهجرة، فهاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وبهذه الهجرة المباركة أخذت الدعوة حريتها كاملة، وأخذ الدين الحق ينتقل على طريق الحجة من وطن إلى وطن، ومن جماعة إلى جماعة، حتى أخرج خير أمة أخرجت للناس.

وسيحدثكم عن الهجرة وشيء من آثارها حضرات الخطباء والشعراء من بعدي، أما كلمتي، فإنما أتحدث فيها عن حالة الأمة الإسلامية في هذا العصر من ناحية تمسكها بهدى الله الذي رفعت الهجرة لواءه، أو انصرافها عنه، حتى لا يكون حديثنا في هذا الاحتفال مقصوراً على ما أثمرته الهجرة من ظهور الإسلام وعزة المسلمين، أو على ما يؤخذ منها من عبر ينتفع بها في الأخلاق والسير في الحياة، بل ينبغي أن ندخل في هذه الذكرى ما يثير الأسف، ويهز العزائم، ويدفع النفوس إلى أن تجاهد في سبيل إعلاء الحق بكل ما أوتيت من قوة، فإذا ابتهجنا في ذكرى الهجرة بانتشار الإسلام على وجهه الصحيح، وفوزه على بقية الأديان من نحو اليهودية والنصرانية والمجوسية، كان علينا أن نفكر في حاضرنا، وكيف نعمل لمستقبلنا، فأقول:

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثامن من المجلد السادس عشر.

أخرجت هداية الإسلام أمة هي خير الأمم في كل ناحية من نواحي الكمال الإنساني؛ إيماناً صادقاً، وخلقاً سمحاً، وأدباً سنياً، وعملاً صالحاً، ورفع راية دولة هي أرشد الدول سياسة، وأعدلها حكماً، وأنفذها بصيرة، وأحكمها نظاماً.

يشهد بهذا التاريخُ الصادق لعهد الخلفاء الراشدين، ومن اقتدى بسيرتهم من الأمراء، فكنت ترى أمة تتمتع بحياة آمنة زاهرة، على رأسها دولة كبيرة الهمة، فسيحة الصدر، تطلق عنان الحرية للناصحين، وتخفض جناحها للمستضعفين، فتأخذ بالتسامح في معاملة المخالفين، وتعتصم باليقظة والحزم في كبح جماح الباغين.

وإذا أرانا التاريخ أو المشاهدة ضعفاً أو انحطاطاً في أمة أو دولة إسلامية، فإنما نجده في النواحي التي انحرفت فيها عن معالم الدين الحق، ويكون ضعفها أو انحطاطها على قدر انحرافها عن هذه المعالم.

ينحرف الناس عن هدى الله لأهواء طاغية، أو لقلة العلم بما أرشدت إليه الشريعة، أو حذرت منه، وهاتان العلتان انتشرتا في الأمة، فشربتا دمها، وأذابتا لحمها، وأوهنتا عظامها، حتى كاد اليأس يحوم بنفوس حكمائها ودعاة إصلاحها.

نشأ في أوطاننا فريق عرفوا جانباً من هداية الله، ولكن لبستهم الشهوات، فذهبت بهم في الخلاعة والبطالة إلى مكان بعيد. ونشأ في أوطاننا فريق يحملون أذهاناً راكدة تروج فيها المزاعم السخيفة، والأساطير المنبوذة، فيحسبونها علماً نافعاً، ويطرحونها في المجالس، ولا يشعرون بسخافتها وخروجها عن دائرة التفكير الصحيح.

ونشأ في أوطاننا فريق رزقوا أذهاناً تتقلب يميناً وشمالاً، ولكنها أذهان قد تحسب الشبهة حجة، والخيال حقيقة، فأنكروا جانباً من أصول الشريعة ونصائحها، وأخذوا يتأولون نصوصها، ويرتكبون في تأويلها طرقاً تأباها بلاغة القرآن وحكمة التشريع، ولا فرق بين هؤلاء وبين الملحدين علانية إلا هذا التأويل الذي هو كالقناع الشفاف لا يحجب ما وراءه.

ونشأ في أوطاننا فريق نظروا إلى ما برع فيه الغربيون من علوم ومبتكرات، أو نظروا إلى أنهم المسيطرون على كثير من الشعوب الشرقية، فأكبروهم، وبالغوا في إكبارهم حتى خيل إليهم أنهم لا يقولون إلا صواباً، ولا يعملون إلا حسناً، ولم يتريثوا أن أصبحوا يحاكونهم في كثير من عاداتهم، وإن نهى عنها الدين الحنيف، ويقلدونهم في آرائهم، وإن كانت عارية من كل دليل، أو ما يشبه الدليل.

ونشأ في أوطاننا فريق لم يدرسوا علوم الشريعة، أو لم يدرسوها بحق، ولكنهم درسوا علوماً دراسة كافية وعالية، وخُيِّل إليهم أن بلوغهم درجة الأساتذة في تلك العلوم يخولهم أن يخوضوا في مسائل الدين، ويظهروا بآراء لا يرجعون فيها إلى استدلال معقول، وإنما هي آراء تخرج من بين شهوات كامنة، أو أذواق غير صافية.

ولا ننسى أن نذكر في سياق هذه الدعايات دعاية غزيرة المدد، كثيرة الأعوان، هي الدعاية التي يسمونها: «التبشير»، وهذه الدعاية ـ وإن عجزت عن تحويل أبناء المسلمين إلى دين النصرانية ـ قد وصلت إلى شيء من أغراضها، وهو زلزلة عقائد بعضهم، وإيقاعهم في إلحاد.

نذكر هذه الفرق كنموذج لمظاهر الفساد الذي طرأ على حالتنا الاجتماعية

الإسلامية، وأقول في أسف: إن كلاً منها يدعو إلى نزعته، ويستهوي النشء بزخرف القول ونحوه من وسائل التغرير، فسرت تلك الدعايات في الأمة سريان الأوبئة الجارفة، ولم يقم التعليم بالمدارس ولا بالمعاهد الدينية بما يدفع شرها، فبلغت الحالة إلى ما نراه اليوم بأعيننا، ونسمعه بآذاننا، والأسف يمزق أكبادنا.

يوجد هذا الشر في مقالات تنشر في الصحف، ومحاضرات تلقى في النوادي، ووسائل تصدر في أسفار منمقة، وشُبه لا تتورع عن أن تظهر على كراسي التعليم، ومحاورات في المجالس، وليس لهذه المعاول غرض إلا تقويض صرح الهداية، وصرف النفوس عن طريق إصلاحها.

يجري هذا بين بيوتنا ونحن في غفلة عنه، وإذا شعرنا، لم يكن لشعورنا به من أثر سوى التحدث به، وتبادل عبارات الأسف لكارثته.

وليست هذه الأمراض الفكرية أو الخلقية خاصة بشعب إسلامي دون بعض، بل أصابت الشعوب الإسلامية في الشرق والغرب، والشمال والجنوب.

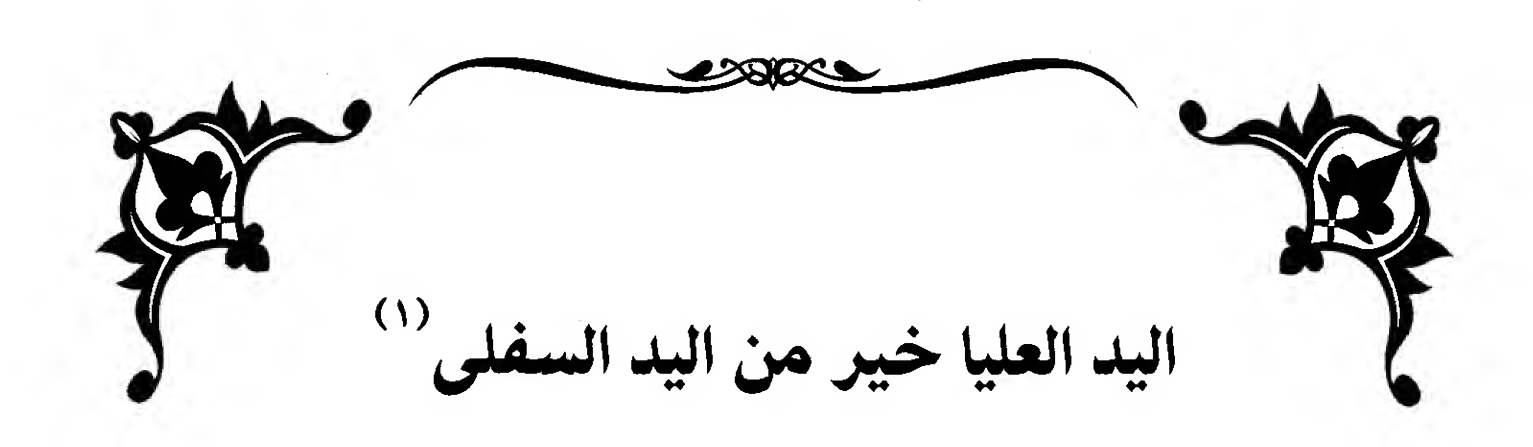
تلكم علل التطور المحزن، وطالما قلَّبنا النظر لعلنا نظفر بعلاج يستأصلها، أو يقف بها ـ في الأقل ـ عند حد، فلا نرى إلا مساعي أفراد وجماعات صغيرة لا تزيد على خطب تلقى، أو مقالات تحرر، وكنا نود لو أن رجال الدولة يعنون بالنظر إلى مكافحة هذا الخطر نظراً عميقاً متواصلاً، نصحاً لله ولرسوله وللمؤمنين، وتحقيقاً للمادة من الدستور التي تنص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام.

ولا ننكر أن قسماً كبيراً من تبعة هذا التطور ملقى على أعناق علماء الدين، ولكنه تطور استغلظ، وضرب بعروقه في أرضنا، فلا يمكن اقتلاعه منها إلا

بعزيمة نافذة، وجهاد متواصل، ونفقات غير قليلة، وذلك ما لا يتم إلا تحت إشراف دولة مقتنعة بأن الإسلام حق، وأن كل سياسة لا تقوم على رعاية شريعته السمحة، والاستقاء من مواردها الصافية، سياسة لا تأتي بخير، ولا تستحق أن تقابل بالحمد.

ولا نريد من هذا بخسَ حق الجماعات والعظماء من رجال الإصلاح، وتثبيط عزائمهم عن معالجة هذه الأمراض الشائعة، بل نريد لفت أنظار رجال الدول الإسلامية؛ لعلهم يبسطون أيديهم إلى الإصلاح بحق، ونضع أمام دعاة الإصلاح غاية ليس إدراكها بمتعذر، ولكنها تستدعي مجهوداً كبيراً، ووقتاً غير قصير، هي: أن يعملوا على أن تكون الثقافة الإسلامية الصحيحة هي السائدة في الأمة، وبهذا تكون الأمة بمن فيها من رجال الدولة سائرة في سياستها وسائر شؤونها الاجتماعية على ما يلائم هذه الثقافة التي هي مطلع كل عزة وسعادة.

❐ ❐ ❐



اليد العليا خير من اليد السفلى[(١)]

في الناس غني وفقير، وسعادة الأمم في حياتها الاجتماعية على قدر ما تتوفق له من مطاردة الفقر، وتخفيف ويلاته، والفقراء منهم العاجز عن الكسب، ومنهم القادر عليه، فلنتحدث عن فقر القادرين، ووجه معالجته، ثم نتحدث عن فقر العاجزين ووجه معالجته، فإذا نحن عالجنا الفقر من ناحيتيه، تهيأ لنا أن نسابق الأمم المصممة إذا عزمت، والصادقة إذا قالت، والمجدَّة إذا نهضت.

سبب فقر القادر على الكسب سقوط همته وفتور عزيمته؛ فإن الرجل إنما يترك السعي للرزق حيث تنحط همته، وتزيِّن له التعرض لإحسان الموسرين، ومتى انحطت همته، ألف الراحة، وأنس البطالة، وهان عليه أن يتخذ من استجداء الناس حرفة.

وقد عالج الشارع الحكيم سقوط الهمة، وفتورَ العزيمة في كل ناحية من نواحي الحياة.

دعا إلى ابتغاء العزة، فقال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨].

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الخامس عشر.

ودعا إلى الجد في العمل، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «اعملوا، فكلٌّ ميسَّر لما خلق له».

ثم ألقى الشارع نظرة خاصة إلى رفع الهمة، وتقوية العزيمة من جهة كسب الرزق، فأمر بالتعفف عن السؤال؛ لما في السؤال من إراقة ماء الوجه، والظهور بمظهر الذلة والمسكنة، وحث على الجد في سبيل القوت؛ لأن العمل يخرج الرجل من بيئة الكسل، ويجعله في غنى عما في أيدي الناس، فيصبح في جسم الأمة عضواً سليماً، والغني بعمله يمكنه أن يقف بجانب من شاء موقف النظير للنظير.

عني الإسلام بترغيب النفوس في العمل، وتنفيرها من الطمع، فقبَّح السؤال، وفضَّل عليه بعض الأعمال التي يزدريها الناس، فقال ـ عليه السلام ـ: «والذي نفسي بيده! لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله، فيسأله، أعطاه أو منعه».

وأنذر الذين اعتادوا التكفف سوء العاقبة، ولقاء الخزي يوم البعث، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مازال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»، وتجرد الوجه من اللحم كناية عن الهوان، والمعنى: أنه يجيء يوم القيامة ولا قيمة له، ولا جاه.

ونبه لرفعة منزلة المحسنين، وانحطاط منزلة المتلقين للإحسان؛ ليرغب في الإحسان إلى العاجزين، وينفر القادرين على الكسب من البطالة، والتعويل على ما يجود به المحسنون.

خطب رسول الله ﷺ خطبة ذكر فيها الصدقة، والتعفف عن المسألة، وقال وهو على المنبر: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي

المنفقة، والسفلى هي السائلة».

ولكون السعي في تحصيل الرزق يحفظ على الرجل دينه وعرضه، ويجعل حياته في طمأنينة وانتظام، تضافر الحكماء في مواعظهم وأشعارهم على الترغيب فيه، والتنفير من البطالة التي هي مدرجة الاحتياج، ثم الاستجداء.

مر عمر بن الخطاب على زيد بن مسلمة وهو يغرس في أرضه، فقال له عمر: أصبت، استغن عن الناس، يكن أصون لدينك، وأكرم لك عليهم.

وحث علي بن أبي طالب علي التجارة، وقال: إنها ثلث الإمارة.

وفضل عمر بن الخطاب الكسب بحرفة فيها شيء من الدناءة على السؤال، فقال: مكسبة فيها بعض الدناءة خيرٌ من مسألة الناس.

وفضل مالك بن أنس كسبَ الرجل من طريق فيه شبهة على الاحتياج إلى ما في يد غيره، فقال: طلب الرزق في شبهة أحسنُ من الحاجة إلى الناس.

البطالة تلبس الرجل ثوب حقارة، والعمل يكسوه كرامة.

كان عمر بن الخطاب إذا رأى فتى، فأعجبه حاله، سأل عنه: هل له حرفة؟ فإن قيل: لا، سقط في عينه.

وشريف الهمة: من أنس في نفسه القدرة على كسب الرزق من طريق العمل بيده، فنهض، ولو وجد شخصاً تطوع له بأن ينفق عليه من ماله الخاص.

كان النبي ﷺ آخى بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع الأنصاري، في صدر الهجرة، فعرض سعد على عبد الرحمن أن يناصفه ماله، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في مالك، دلني على السوق، فأتى السوق، وتعاطى التجارة حتى أصبح من أغنياء الصحابة.

ورحل أبو الوليد الباجي من الأندلس في طلب العلم حتى دخل بغداد في حالة بؤس، وكان في إمكانه أن يستدرَّ أيدي المحسنين غيرَ مبال بمواقف الهوان؛ كما يفعل كثير من الفقراء، ولكن الهمة التي دفعته إلى طلب العلم أبت له هذه المهانة، واختار أن يتعاطى عملاً، ولو لم يكن مناسباً لمقامه العلمي، فأجر نفسه لحراسة درب بغداد في الليل؛ ليستعين بأجرته على طلب العلم بالنهار.

وأراد عمر بن الخطاب لأهل العلم عزة وكرامة، فوعظهم بأن تكون لهم أعمال تغنيهم عن انتظار ما تجود به عليهم أيدي الأفراد والجماعات، فقال: يا معشر القراء! ارفعوا رؤوسكم، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظَّموه في النفوس لعُظِّما

تجعل البطالة الرجل كلاًّ على الناس، فيتنكرون له، ولو كانوا ذوي قرباه.

إذا المرء لم يكسب معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لاقى الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلاًّ وأوشكت صلات ذوي القربى له أن تنكَّرا

وإذا ارتبنا في أن البطالة تقطع صلة الرجل بذوي قرباه، فلا نرتاب في أن الرجل إذا أظهر حاجته إلى رفاقه، أخذت الصلة بينه وبينهم لوناً آخر، وربما نفضوا أيديهم من رفقته، قال أبو العتاهية:

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعةً مَجَّكَ فوه

وكان يحيى السرقسطي من أدباء الأندلس جزَّاراً، ثم اشتغل بالأدب، وترك الجِزارة، وعاد بعدُ إلى الجزارة، فأمر الوزير ابن هود أبا الفضل أن يكتب إليه يوبخه على ذلك، فكتب إليه:

تركت الشعر من عدم الإصابة　　　وملت إلى التجارة والقصابة

فأجابه السرقسطي بأبيات، ومما قال خطاباً للوزير:

وحقِّك ما تركت الشعر حتى　　　رأيت البخل قد أوصى صِحابه

وحتى زرت مشتاقاً خليلاً　　　فأبدى لي التحيل والكآبه

وظن زيارتي لطِلاب شيء　　　فنافرني وغَلَّظ لي حِجابه

وإذا كان الشاعر الذي يزين المجلس بلطائف آدابه؛ كالسرقسطي، يلاقي من إخوانه متى رأوه في بطالة مللاً وإغضاء، فكيف يكون حال من لم يكن له في الأدب غدوة ولا روحة؟!.

وإذا قيل: إن في السؤال مهانة، فإنما هو في طلب الشخص مالاً ينفقه في حاجته الخاصة، أما من يسأل الناس شيئاً من المال لينفقه في وجه من وجوه الخير، كإغاثة منكوب أو مسكين أو يتيم، أو إقامة مسجد، أو بناء حصن أو مستشفى، فإنه إنما يعمل صالحاً، ويدعو إلى معروف، وله في رسول الله أسوة حسنة؛ إذ صلى في يوم عيد، ثم جاء إلى النساء ومعه بلال ناشراً ثوبه، فوعظهن، وأمرهن أن يتصدقن، فجعلت المرأة تلقي قرطها.

يخلد بعض الشبان وغير الشبان إلى البطالة على أمنية أن يتزوج بامرأة ذات ثروة، والمروءة تأبى للرجل ـ متى كان منفوض الكيس، أو قليل ما فيه ـ أن يجعل همَّه البحث عن امرأة موسرة؛ ليعيش بما تجود به عليه من مالها، ومن يرضى لنفسه هذا، فقد رضي أن تكون يده السفلى، ويد زوجته هي العليا.

في الموسرات مهذبات يتزوجن بمن يكافئهن في يسارهن، ويستطيع أن ينفق عليهن بالمعروف، فيصلح لهن، ويصلحن له، أما الفقير الذي لا يجد ما ينفقه ليتزوج بذات عمارات أو مزارع، فالشأن أن لا تكون صلة المعاشرة بينهما في صفاء، إلا أن يتنازل عن جانب كبير من إرادته أو رجولته.

والتوكل على الله خصلةٌ من خصال التقوى، وهو اعتماد القلب على الله وحده مع تعاطي الأسباب، وانظروا كيف أمر الله نبيه ﷺ بالتوكل عند العزم على القتال، فقال تعالى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن قبض يده عن تعاطي أسباب المعيشة بدعوى أنه من أصحاب التوكل، فقد ذهب في فهم التوكل مذهباً غير المذهب الذي جعله الله من خصال الإيمان وتقوى القلوب.

روي أن عمر بن الخطاب لقي ناساً من اليمن، فقال: ما أنتم؟ قالوا: متوكلون، فقال: ما أنتم متوكلون، إنما المتوكل: رجل ألقى حَبَّة في الأرض، وتوكل على الله.

والزهد أثر من آثار طهارة النفس؛ إذ هو نقاء النفس من حب المال، ونعيمِ الحياة حباً يدفع صاحبه إلى كسب المال، ولو من طرق غير مشروعة، ومن أعرض عن تعاطي أسباب الرزق بزعم أنه ارتقى إلى مقامات الزاهدين، فقد خادعته نفسه، أو سولت له أن يخادع غيره، وإنما الزهد: التعففُ عما في أيدي الناس، والتماسُ الرزق من طريق الحلال، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ القدوة في الزهد، وما من أحد منهم إلا كان له عمل يرتزق منه.

نعظ الفقير القادر على الكسب، وننكر عليه إخلاده إلى البطالة، وليس معنى هذا أن يصرف النظر عنه، ويحرم من الإعانة في كل حال، بل له حق في أن يعجل له بإسعاف وقتي؛ كأن يسعى له في عمل يستدر به قوته، أو يقرضه من يثق بذمته، أو يمنحه من يهمه أمره مالاً على أن يستعمله في نحو تجارة أو صناعة، ويتخلص به من معرة البطالة.

أما الفقير العاجز عن الكسب، فمعالجة حالته من ناحية الفقير نفسه أولاً، ومن ناحية ذوي الإحسان ثانياً.

معالجتها من ناحية الفقير: باحتفاظه على آداب هي: أن يقنع بما يصله من المحسنين متى سد حاجته، ولا يتطوح به الطمع إلى أن يجعل من احتياجه مورداً لرزق واسع، ومن هذه الآداب: أن يتورع بالصبر ما استطاع، ولا يبادر إلى السؤال يلوكه بين يدي كل من يلاقيه.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ليس المسكين هذا الطواف الذي يطوف على الناس، فترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان»، قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن الناس له، فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس».

وقال تعالى في فقراء متعففين:

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة: ٢٧٣].

إن الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنياً وهو مجهود

ومن المحتاجين من يسلكون في إظهار احتياجهم طريقة التعريض؛ لأنه أبقى لماء الحياء في وجوههم، وربما كان التعريض أدعى لعاطفة

السخاء من التصريح والإلحاح.

وقفت إمرأة على باب قيس بن سعيد، وقالت له: أشكو إليك قلة الفأر في بيتي، فقال: ما أحسنَ ما وَرَّت عن حاجتها، املؤوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً.

وأما معالجة حالة الفقير العاجز عن الكسب من ناحية الموسرين، فباحتفاظ هؤلاء بآداب هي التي تجعل أيديهم العليا خيراً من الأيدي التي تناولت منهم العطاء.

ومن هذه الآداب: أن يبادروا إلى إغاثة الفقير ساعة يشعرون بحاجته، ولا يدعونه إلى أن يتجرع غصة السؤال بتصريح أو تعريض.

زار رجل من أشراف أهل المدينة عمرو بن سعيد بن العاص، فإذا كمُّ قميص هذا الرجل قد ظهر من تحت جبته وبه خروق، فلما انصرف، أرسل إليه عمرو بن سعيد بضعة آلاف من الدراهم، وعشرات من الثياب، فأثنى الرجل على عمرو بأبيات يقول فيها:

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلَّتِ

والمحسن بحق يجتهد في أن يواصل المحتاجين وهو يخفي نفسه؛ حتى لا يعلموا من أين جاءتهم الصلة. «كان أناس من المدينة يعيشون، ولا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات زين العابدين علي بن الحسين ﷺ، فقدوا ما كانوا يؤتون به من الليل، فعلموا أنه هو الذي كان يواصلهم بذلك الإحسان».

والمحسن بحق يبذل المعونة للفقير، وينسى أو يتناسى ما بذل، حتى لا يجري على لسانه وتعلمه نفس غير نفسه، وإلى هذا الأدب السامي يشير

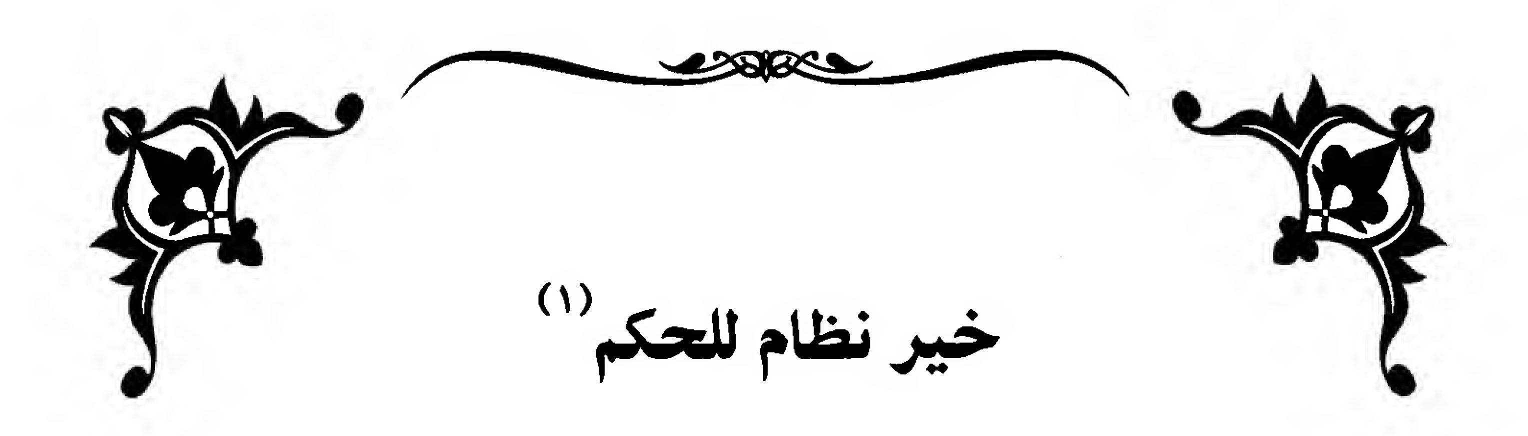
قوله ﷺ وهو يعد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل تصدق بصدقه، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

أفـــرِّق بـــين معروفـــي ومَنِّـــي وأجمــع بــين مــالي والحقــوق

سادتي!

رأينا كيف كانت البطالة جالبة للفقر، والفقر يلقي بالأفراد في هموم ومهانة، وإذا انتشر الفقر في أمة، ضاعت آمالها، وازدرتها أعين خصومها، فلو تعاون دعاة الإصلاح وأولو الأمر على مكافحة البطالة، وتعاونوا على غرس الهمم الشريفة في النفوس؛ حتى يقبل المستطيعون على العمل لأنفسهم، وتعاونوا على تربية عواطف الإحسان في القلوب؛ حتى يتسابق الموسرون إلى الإنفاق في إعانة العاجزين، وإغاثة الملهوفين، لو قام دعاة الإصلاح وأولو الأمر بهذا السعي المحمود خير قيام، لكثرت فينا الأيدي العليا، وقلت الأيدي السفلى، واستقر الأمن على الأساس من الخلق العظيم، فإذا نحن في مقدمة الأمم قوة وعزماً، وجمال مظهر، ونقاء سيرة. والسلام عليكم ورحمة الله.

❑ ❑ ❑



خير نظام للحكم[1]

تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين حديثاً قيماً عن خير نظام للحكم، مذكراً بعدالة حكم الإسلام، وضارباً المثل على أنه دين إنساني خالص، ونظام كفل المساواة التامة بين جميع الأفراد في الحقوق والواجبات:

تجتاز مصر في أيامنا التاريخية الحاضرة أعظم انقلاب اجتماعي مر بها منذ قرون؛ لأنه الانقلاب الوحيد الذي ينشد لمصر النظام؛ لتتمكن من الاستقرار عليه، والاستمرار فيه إلى الأبد.

ومما يلاحظ في هذا الموقف: أن التطورات الماضية لم تكن نتيجة طبيعية للوعي القومي، ولذلك كان الوطن يفاجأ بها مفاجأة، وكان نظام الحكم الذي يترتب على تلك المفاجآت يفرض على البلاد فرضاً، أما من استعمار قاهر، أو من مستبد متغلب. ولذلك قلما كان يلاحظ فيه حاجة الأمة واقتناعها، والأساليب التي ترتاح إليها، وتعتبرها منتزعة من روحها وذوقها، ومن المبادئ التي آمنت بها، ونشأت عليها، وترجع بذكرياتها وتقاليدها إلى ما حفظه التاريخ من مفاخرها وأمجادها، لذلك كان نظام الحكم في مصر في العصور الأخيرة بعيداً عن أمنية الاستقرار، وكان مؤيداً بالقوة القائمة عليه، لا بالاقتناع به،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء العاشر من المجلد الثالث والعشرين.

والطمأنينة له، والإيمان بصلاحه.

والآن، وقد عزمت مصر على أن تختار نظامها بمحض إرادتها، فمن سعادتها أن يكون نظامها المرتجى منتزعاً من مثلها العليا التي تؤمن بها، وترتاح إليها، بوازع من النفس، وإيمان من القلب، لا بوازع من سلطان القوة الصماء، ونصوص القانون الذي كثيراً ما شكا أقطابه مواطن الضعف فيه.

ولقد أخذ كل عالم بمزايا نظام من الأنظمة الأجنبية يعرض على الرأي العام مزايا ذلك النظام، محاولاً إقناع الأمة بالأخذ به. إن هذه الأنظمة ـ مع كثرة عيوبها، وما يحف بها من مواطن الضعف ـ لا يتعاملون بها مع كل من يتعامل معهم من الشعوب القوية والضعيفة، والمشاهد من حالهم: أنهم مع الشعوب القوية في عداء متواصل، ومع الشعوب الضعيفة في بغي مخجل، وما هكذا يكون أصحاب المبادئ الإنسانية السليمة، والنظم البريئة التي يراد منها سعادة المجتمع في عصر يفتخر بحضارته وعلومه، فالوصف النظري الذي نسمعه من فصحائنا وخطبائنا لبعض تلك النظم الأجنبية عنا، لا نرى آثاره في البلاد التي اخترعته، وعملت به، وقلبت جميع الأوجه في تعديله وترقيعه وتحويره لينتج لها السعادة، فكان أملها منه في السعادة كأمل الظمآن بالسراب، فكيف بنا ونحن الأجانب عن تلك النظم المخترعة لغيرنا؟! ولو حاولنا استعارتها، لكانت لنا كما تكون اللبسة التي تستعار للممثلين.

إن الدعاة لتلك الأنظمة قرروا في مؤلفاتهم، وأعلنوا في صحفهم: أنها كل لا يتجزأ، وهم يدعون هذه الأمة إلى أن تأخذ بهذا الكل الذي لا يتجزأ، شاءت أو أبت، والأمة لها نظام فطري نظيف ينظر إلى الحق من حيث هو حق، وإلى الخير من حيث هو خير، وتدين الله بقول خاتم رسله: «أيها الناس!

إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها»، وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في رسالته المشهورة إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة: «آسِ بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييئس ضعيف من عدلك».

هذا النظام الفطري الذي يقيم الحدود على الكبير والصغير سواء، لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، وحثَّ على استعمال الأصلح، واختيار الأمثل فالأمثل للولايات العامة والوظائف، وأوجبَ على ولي الأمر أن يقلد أعمال المسلمين لمن يجده صالحاً منهم؛ فقد قال النبي ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين».

وقد جاء كذلك عن عمر بن الخطاب: أنه قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

ومعنى هذا: أن النظام الذي يكفل المساواة بين جميع الأفراد في الحقوق والواجبات، ويجعل من الواجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين أن يوجه في موضع، وفي كل عمل من الأعمال أصلحَ من يقوم به، ويؤديه الأداء الصحيح، فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره بسبب قرابة، أو صداقة، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو لضغينة في قلبه على الأحق، أو لعداوة بينهما، فقد

خان الله ورسوله والمؤمنين . . .

وهو النظام الذي يشعر الحاكم والمحكوم بأنهما سواء، وهذا أبو عبيدة الجراح يضرب لنا أروع الأمثال في هذا الباب، فقد فتح بلد حمص، فجاؤوا له بطعام فاخر صنع خصيصاً، فما كان منه إلا أن سأل: أهذا الطعام قد أطعم منه الجيش؟ فقالوا: كلا، وإنما هو لك. فقال: ردوه. . . فإني لا آكل طعاماً لم يأكل الجيش منه!!.

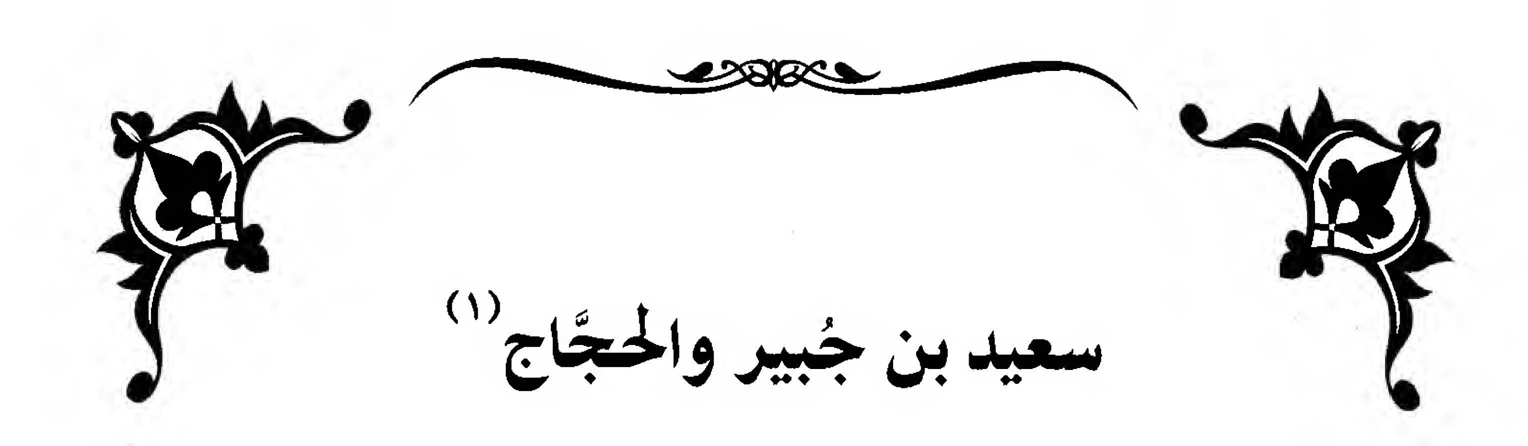
وقد جاء في الآثار: أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك، فقال: أدركت عمر بن عبد العزيز، فقيل له: يا أمير المؤمنين! أفغرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم، وكان في مرض موته، فقال: يا بني. . . والله! ما منعتكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح، فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح، فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله، قوموا عني. . .

هذه هي الأمثال التي تضرب في معنى العدالة في ولاية أمور الناس، وكلها تجمع على أن الإسلام دين إنساني محض، وهو نظامنا الذي نؤمن به؛ خلافاً للأنظمة الأجنبية عنا، وإن العمل به ليحول هذه الأمة إلى كتلة فولاذية مؤمنة بنظامها كإيمانها بكعبتها وقرآنها، والأمر أعظم وأخطر من أن ترتجل فيه الخطط والنظم.

ونحن لا ندعو الأمة وأهل الحل والعقد فيها إلا إلى التروي والتفكير والدرس والمقارنة، مع العلم بأن مصر لا تعلم منذ عشرة آلاف سنة إلى الآن حكماً أعدل ولا أرأف ولا أسعد من الحكم الذي بسط جناح رحمته عليها

في المئة السـنة الأولى من الفتح الإسلامي، ودليل عدله ورأفته وسعادته: أن مصر باختيار منها تحولت إليه بأرواحها وقلوبها وألسنتها، فكانت الدرة المتألقة في تاج الوطن العربي والإسلامي، ويرجو لها كل محب لها أن تبقى كذلك إن شاء الله إلى ما شاء الله.





سعيد بن جُبير والحجَّاج[1]

سعيد بن جبير من أفاضل التابعين العالمين بتفسير كتاب الله، وسنة الرسول الأكرم ـ صلوات الله عليه ـ المعروفين بالتقوى والورع، ومواجهة الظالمين بقول الحق.

وكان سعيد بن جبير مع عبد الرحمن بن الأشعث أيام خروجه على عبد الملك بن مروان، ولما قتل ابن الأشعث، وتفرق عنه أصحابه، التحق سعيد بمكة، وكان واليها خالد بن عبدالله القسري، فبعث به إلى الحجاج ابن يوسف، ولما دخل سعيد على الحجاج، جرت بينهما المحاورة الآتية:

الحجاج: ما اسمك؟

سعيد: سعيد بن جبير.

الحجاج: بل أنت شقي بن كسير.

سعيد: بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

الحجاج: شقيت أمك، وشقيت أنت!

سعيد: الغيب يعلمه غيرك.

الحجاج: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظَّى.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد الرابع عشر.

سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك، لا تخذتك إلهاً.

الحجاج : فما قولك في محمد؟

سعيد : نبي الرحمة، وإمام الهدى.

الحجاج : فما قولك في علي : أهو في الجنة، أو هو في النار؟

سعيد : لو دخلتها وعرفت من فيها، عرفت أهلها.

الحجاج : فما قولك في الخلفاء؟

سعيد : لست عليهم بوكيل.

الحجاج : فأيهم أعجب إليك؟

سعيد : أرضاهم لخالقي.

الحجاج : فأيهم أرضاهم للخالق؟

سعيد : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

الحجاج : أحب أن تصدقني.

سعيد : إن لم أحبك لا أكذبك.

الحجاج : فما بالك لم تضحك؟

سعيد : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين، والطين تأكله النار!

الحجاج : فما بالنا نضحك؟

سعيد : لم تستو القلوب.

الحجاج : ويلك يا سعيد!

سعيد : لا ويل لمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة.

الحجاج : اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك؟

سعيد: اختر لنفسك يا حجاج، فو الله! لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة!

الحجاج: أفتريد أن أعفو عنك؟

سعيد: إن كان العفو، فمن الله، وأما أنت، فلا براءة لك ولا عذر.

الحجاج: اذهبوا فاقتلوه.

«أعوان الحجاج يأخذون سعيداً ليقتل بالسيف».

«سعيد يخرج وهو يضحك».

الحجاج: ردوه، وقال لسعيد: ما أضحكك؟

سعيد: عجبت من جرأتك على الله، وحلم الله عليك.

«الحجاج يأمر ببسط النطع»، وقال: اقتلوه.

سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.

الحجاج: وجهوا به لغير القبلة.

سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله.

الحجاج: كبوه على وجهه.

سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى.

الحجاج: اذبحوه.

سعيد: أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة.

سعيد: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي!

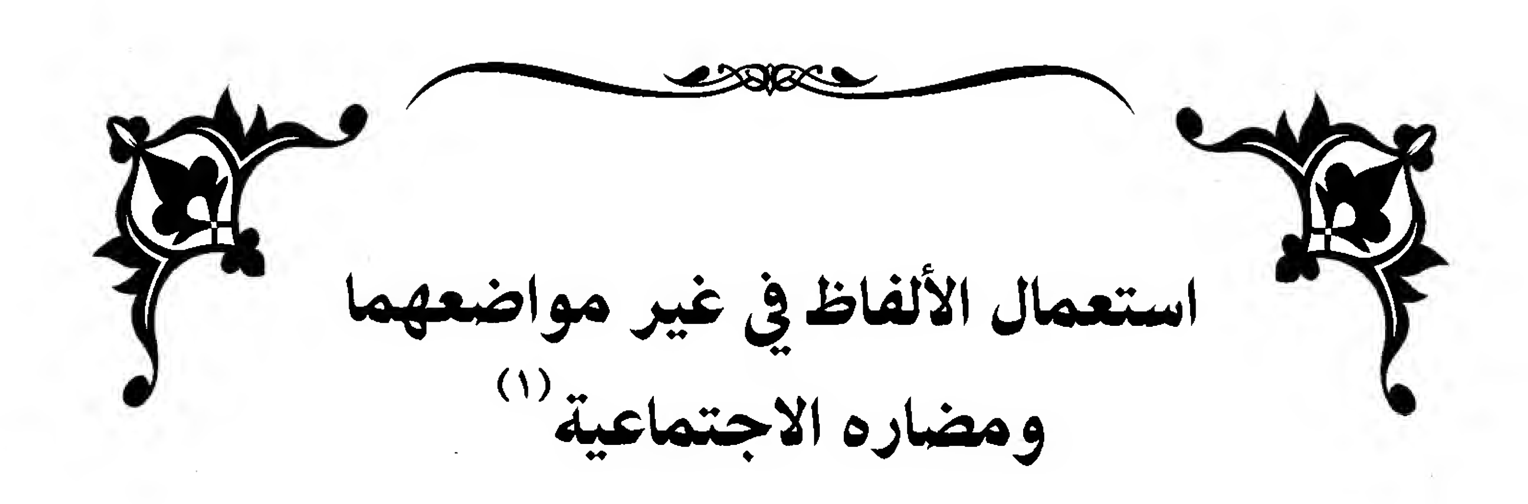
«سعيد يقتل في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة بواسط».

«الحجاج يموت بعده في شهر رمضان من تلك السنة».

مأخذ العبرة من تلك القصة:

إن المتضلع من حقائق الدين الحنيف، المستنير بعقائده، الراسخ في آدابه، لا يكبر في عينه أهل الدنيا، وإن بلغوا أعظم رياسة، ولا يروعه ما يحيط بهم من سيوف وأسنة، وإن كانوا يغمسون أيديهم في دماء الأبرياء إلى ما فوق المرافق، وكان من الميسور لسعيد أن يقول بين يدي الحجاج كلمات يستدر بها عفوه، ولكن النفس التي امتلأت بهدى الله، وأشربت حكمة القرآن المجيد، تأبى أن تطلب الحياة من طريق الذلة والخضوع لمن تدنست سمعته بارتكاب البغي والفساد في الأرض، وإذا رغبت في الحياة، فإنما ترغب فيها للازدياد من العمل الصالح، والكلم الطيب، وهل يرجى عمل صالح أو كلم طيب لنفس تقع في الملق، وتستجدي رضا المجرمين بإطرائهم، أو الانحطاط في أهوائهم؟!

❐ ❐ ❐



استعمال الألفاظ في غير مواضعها ومضاره الاجتماعية[1]

وضعت الألفاظ ليعبر بها عما يجول في الضمائر من المعاني التي يراد نقلها إلى أذهان أناس آخرين، وقد تقصَّت المعاجم الألفاظ المفردة، وعينت لكل لفظ معناه اللائق به، ووضع النحاة وعلماء البيان قوانين يعرف بها كيف تؤلف هذه الألفاظ المفردة حتى تصير جملاً تؤدي صور المعاني القائمة في النفوس كما هي.

فمن استعمل مفرداً في غير معناه المعروف في معاجم اللغة، أو مقاييسها، فقد ارتكب خطأ، وقد ينبني على هذا الخطأ خلل في تصوير المعنى الذي صيغ الكلام من أجله، وربما كان لهذا الخطأ ضرر على الأخلاق ونظام الاجتماع.

ونضرب لهذا أمثلة تدلك على شيء من المضار الناشئة من استعمال الألفاظ في غير مواضعها.

يجري في المديح لفظ: العزة والتواضع، وفي الذم: لفظ الكبر والذلة.

والعزة: صون النفس عن مواضع الإهانة. والذلة: الانحطاط إلى هذه المواضع القذرة.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الثامن عشر.

والكبر: التعاظم في مقام يقتضي حسن اللقاء وخفض الجناح.
والتواضع: طهارة النفس من ذلك التعاظم الممقوت.

ولا تتشابه معاني هذه الألفاظ في نظر من يميز المعاني بحدودها، ويضع كل لفظ في موضعه اللائق به، ولكنك تجد في الناس من يتعاظم، ويسمي تعاظمه عزة، أو يهوي إلى الأقدام ذلة، ويسمي تذلُّلَه تواضعاً، أو يرى في غيره عزة، فيسميها كبراً، أو يرى فيه تواضعاً، فيسميه ذلة، وإلى هؤلاء يشير الشاعر بقوله:

وفي الناس من عدَّ التواضع ذلـة وعدَّ اعتزاز النفس من جهله كبرا

وقد اشتكى بعض العظماء من أناس سموا اعتزازه انقباضاً، ونبههم لخطئهم في استعمال كلمة الانقباض، فقال:

يقولون لي فيـك انقبـاض وإنمـا رأوا رجلاً عن موقف الذلِّ أحجما

ويقال في المديح: فلان سليم القلب؛ أي: إن نفسه لا تنطوي على سوء، ولا تنزع إلى شر، ويقال في الذم: فلان خَبّ، والخَبُّ: الخدَّاع الذي يسعى بين الناس بالفساد، وقد جرى في أوهام بعض الناس أن سلامة القلب تقرن بالغباوة، وعدم التنبه للوجوه التي يأتي منها الشر، وأن الخَبَّ يقارنه الذكاء والنباهة، وجرَّهم هذا الوهم إلى أن يطلقوا على الشخص كلمة: «طيب»، أو «مبارك» على معنى: أنه ينخدع، ويقع في الشر من حيث لا يشعر، وأراد أحد الحكماء الأذكياء أن يدفع هذا الخطأ، فقال: «لست بخَبّ، والخَبُّ لا يخدعني».

ومن الظاهر أن ذلك الوهم نشأ من الذهول عن أن العلم بوجوه الشر يتبع الألمعية، وكثيراً ما يجمع الرجل بين الألمعية وسلامة القلب، قال

عمر بن الخطاب: من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

ويجري في صفات المديح لفظ: المداراة، وفي صفات الذم لفظ: المداهنة، والمداراة: أن تلقى من تخشى شره بتبسم، أو تخصه بإكرام، أو تترك محاورته في أمر يبطش بمن يحاوره فيه، أو تذكر ما عرفته من محاسنه، وتسكت عن مساويه، أما المداهنة، فهي أن تصفه بالعلم وهو جاهل، أو بالشجاعة وهو جبان، أو بالعدل وهو ظالم، أو يبدي رأياً خطأ، فتقول له: أصبت الحق.

وقد يخطئ بعض الناس، فيحسب البشاشة في وجه المطبوع على الإساءة اتقاء لإساءته مداهنة، ويحسب آخرون أن التبسط في إطراء من يتقى شره مداراة، في حين أن علم الأخلاق يسمي الذي يجري على لسانه مديح الأشرار: منافقاً، ومداهناً.

ويسمي أناس الإحجام حيث يجب الإقدام: حزماً، وإلى هؤلاء يشير المتنبي بقوله:

يـرى الجبنـاء أن الجـبن حـزم وتلـك خديعـة الطبـع اللئـيم

ويسمي أناس بسط اليد بالمال في وجوه البر: إسرافاً، وقال بعض هؤلاء لمن أنفق في سبيل الخير مالاً كثيراً: لا خير في الإسراف، فقال: «لا سرف في الخير».

ويسمي أناس الأناة: إبطاء، وللأناة مقام غير مقام الإبطاء، قال شاعر الحماسة:

منا الأناة وبعـض القـوم يحسبنا أنـا بِطـاءٌ وفـي إبطائنـا سـرع

ويسمي أناس إطلاق اللسان أو القلم بهجاء الأشخاص، أو بالنقد

المحشو بالسباب: حرية، وإنما الحرية في إبداء الآراء أو نقدها بأسلوب تأذن فيه الفضيلة، ولا تنكره آداب البحث.

وقد يطلق الناس اسم المباح على المحظور؛ ليتناولوه، أو ليدعوا إليه في غير تحرج، وإلى هذا يشير النبي الأكرم ـ صلوات الله عليه ـ بقوله: «يشرب الخمر ناس من أمتي يسمونها بغير اسمها»[1].

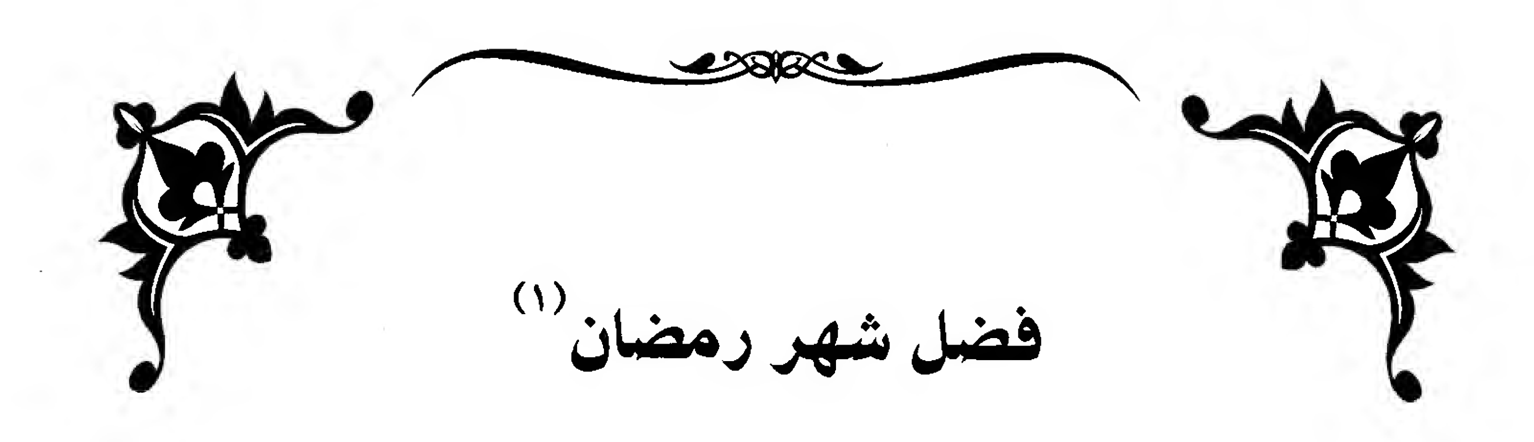
وقد تنبه لخطر تحريف الألفاظ عن مواضعها (كونفشيوس) زعيم المذهب الذائع في الصين «الكونفشيوسية»، وجعل من أسس مذهبه في الإصلاح الرجوع بالألفاظ إلى موضوعاتها الصحيحة، وقال: إذا لم تكن الأسماء صحيحة، لم يطابق الكلام حقائق الأشياء، وإذا لم يكن مطابقاً للحقائق، وقع الخلط في اللغة، واضطربت الأفكار، ولم تقع العقوبات على من يستحقها، فتتعطل الأعمال المدنية.

وليس من شك في أن استعمال الألفاظ في غير مواضعها وسيلة من وسائل اختلال الشؤون الاجتماعية، وأنه من واجب المصلحين تنبيه الناس لهذه الناحية من الفساد، وأن يتداركوا إصلاحها بعناية وحكمة.

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه الإمام النسائي في «سننه».



فضل شهر رمضان[1]

الأزمنة في أنفسها متماثلة، وتفاضلُها بما يظهر فيها من هداية وخير، وإلى هذا المعنى يشير الشاعر إذ يقول:

وما فاقت الأيام أخرى بنفسها ولكن أيام الملاح ملاح

وإذا نظرنا إلى شهر رمضان من هذا الوجه، وجدنا له مزايا تكسبه حرمة، وتجعل إقبال الناس فيه على الأعمال الفاضلة عظيماً.

فكان هذا الشهر مظهر الكتاب الذي هو منار الهداية، ومطلع السعادة؛ كما قال تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥].

وإن شهراً ينزل فيه كتاب يملأ العقول حكمة، والقلوب طهارة، لذو طلعة مباركة، ومقدم كريم.

ومن مزايا هذا الشهر: أنه الشهر الذي فتحت فيه مكة المكرمة، ذلك الفتح الذي علت به كلمة الإسلام في البلاد العربية، وعلى أساسه قامت الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» الجزء الرابع من المجلد الخامس.

فقد جمع هذا الشهر بين مزيتين عظيمتين:

أولاهما: أنه الزمن الذي أنزل فيه القرآن إلى سماء الدنيا جملة، أو ابتدئ فيه نزوله إلى الناس، ثم تواردت آياته على حسب ما تقتضيه الحكمة.

ثانيتهما: أنه كان مظهر الفتح الذي استوثقت به عرا دولة الإسلام التي مدت سلطانها العادل، وساست الأمم بشريعة تلائم مصلحة كل زمان ومكان.

واقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للناس من بين سائر الشهور شهر يقضون بياض نهاره في عبادة الصوم، واختار أن يكون شهر رمضان هو الشهر الذي تؤدى فيه هذه العبادات ذات الحكمة السامية، والثواب الجزيل.

ولعظم ما يترتب على الصيام من إصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، جُعلت فريضته في القواعد التي يقوم عليها الإسلام، والدليل على أن القصد من الصيام: الإصلاح والتهذيب، لا تعذيب النفوس بنحو الجوع والعطش: قوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(١).

وليس معنى هذا الحديث: أن من يقول زوراً، ويعمل به، ليس له من صيام، وإنما القصد منه: التنبيه على أن الصيام لا يتقبله الله تعالى بقبول حسن إلا إذا اجتنب صاحبه قول الزور والعمل به.

ولرفعه منزلة الصيام، وعظم آثاره في إصلاح النفوس وتقريبها من مقام الخالق تعالى، أخذ في نظر الشارع عناية خاصة، فجاء في الحديث

---

(١) «صحيح الإمام البخاري».

القدسي: أن الصوم لله، وأنه يتولى جزاءه بنفسه، ففي «الموطأ»، وغيره: «كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف، إلا الصيام، فهو لي، وأنا أجزي به». أضاف الله تعالى صيام العبد إلى نفسه؛ لأن سائر الأعمال تظهر على صاحبها، وقد يدخلها شيء من الرياء، والصوم لا يظهر على صاحبه، فيقع لله خالصاً، وأخبر في الحديث: أن الله تعالى يتولى جزاءه بنفسه؛ إيماء إلى عظم ثوابه؛ فإن أكرم الأكرمين لا يقابل العمل الصالح إلا بالجزاء الأوفى، وأكد ذلك بأن جزاء الصوم فوق الجزاء المضعّف إلى سبع مئة ضعف.

أمر الشارع بالإنفاق في وجوه البر، وورد في السنّة ما يدل على أن للإنفاق في هذا الشهر فضلاً على الإنفاق في بقية الشهور، يظهر هذا من حديث ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان»، وفضيلة التأسّي به ـ عليه الصلاة والسلام ـ تدعو إلى بسط اليد بالمعروف في هذا الشهر أكثر من بسطها فيما عداه من الشهور؛ حتى يجد الفقراء من إحسان الأسخياء راحة بال، فيقبلوا على الصيام والقيام بنشاط.

أمر الشارع بتلاوة القرآن تمكيناً لحجته، واستضاءة بنور حكمته، وجاء في السنّة ما يرشد إلى الاستكثار من تلاوته، يظهر هذا من حديث ابن عباس في لقيّ جبريل للنبي ﷺ، وفي هذا الحديث: «وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن»[1]، والدراسة: القراءة، وما زال أولو الألباب من الناس يجعلون لشهر رمضان نصيباً من تلاوة القرآن أكثر من

---

(١) «صحيح الإمام البخاري».

نصيب كل شـهر.

والتهجد في جزء من الليل قربة يبعث عند الله مقاماً محموداً، ونبّهت السنّة على أن من جزاء القيام في ليالي رمضان غفراناً يمحو الذنوب السالفة، قال ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه»، وظاهر الحديث: أن هذا الغفران المترتب على قيام رمضان، يأتي على ذنوب السالفة جميعاً فيسقطها، ولكن أهل العلم قصروه على صغائر الذنوب دون كبائرها، ورأوا أن فضل العمل الصالح لا يبلغ أن يسقط الكبائر من المعاصي، وصاحبها لم يتب عنها، أو لم تقم عليه العقوبة المقررة على من يرتكبها. يقولون هذا، وهم يسلّمون أن لمشيئة الله تعالى سلطاناً قد يفعل في كبائر الذنوب ما تفعله التوبة الخالصة أو إقامة الحدود.

ومما استندوا إليه في تقييد المغفرة في هذا الحديث بصغائر الذنوب: أحاديث وردت في فضل أعمال أخرى، وقيدت فيها بمغفرة الذنوب باجتناب كبائرها.

وكان ﷺ يتهجد في ليالي السنة بأسرها، وورد في الصحيح: أنه خرج في إحدى ليالي رمضان من جوف الليل، فصلّى في المسجد، وصلّى رجال بصلاته، جرى هذا ثلاث ليال، ولم يخرج في الليلة الرابعـة، وقد ضـاق المسجد على الحاضرين حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر، أقبل على الناس، ثم قال: «أما بعد: فإنه لم يخفَ عليّ مكانكم، ولكني خشيت أن تفترض عليكم، فتعجزوا عنها»[1].

---

(١) «صحيح الإمام البخاري».

والخوف من افتراض هذه الصلاة قد يكون من جهة أن الله تعالى جعلها في حقهم من الأمور المندوب إليها، ولم يأمرهم بفعلها في جماعة على نحو الصلوات المفروضة؛ رفقاً بهم، فإذا تظاهروا بالقوة عليها، وساروا بها سيرة ما افترضه الله عليهم من الصلوات، كانوا قد شددوا على أنفسهم في أمر جعل الله لهم فيه يسراً.

فمن المحتمل أن يكون ما أخذوا به أنفسهم من الشدة سبباً لأن ينزل الوحي بفرض هذه الصلاة؛ ابتلاء لهم حتى يظهر عجزهم عن إقامتها، ويدركوا العسر الذي راعاه الشارع في عدم إيجابها، والتأكيد في الاجتماع لها، ومتى كان القصد من فرضها تنبيههم لوجه الرفق بهم في عدم فرضها أولاً، لم يلزم استمرار هذا الفرض حتى يقال: كيف يأمر الشارع الناس بما يعجزون عن المداومة عليه؟

وقد رأينا الشارع يسن أحكاماً لمقاصد سامية، حتى إذا أحس الناس بما فيها من عسر، عاد إلى ما يقتضيه أصل التشريع من الرفق والتيسير، فالنبي ﷺ قصد بعدم خروجه لصلاة التراويح في المسجد قطع أمر من المحتمل أن يكون وسيلة لتكليف يثقل عليهم القيام به، ويظهر عجزهم عنه.

وتوفي رسول الله ﷺ ولم يكن الناس يجتمعون في صلاة القيام برمضان على إمام واحد، وبقوا على هذا الحال إلى عهد عمر بن الخطاب ﷺ، فأقام أُبيَّ بن كعب إماماً لهذه الصلاة، وجمع الناس على الائتمام به.

قال عبد الرحمن القاري: «خرجت مع عمر بن خطاب ﷺ ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه،

ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد، لكان أمثل، ثم عزم فجعلهم على أُبيّ بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعم البدعة هذه»[1].

فالذي فعله عمر بن الخطاب إنما هو جمعُ الناس على إمام واحد بعد أن كانوا يصلونها فرادى وجماعات في المسجد متفرقة، فعل هذا؛ لأن الأمر الذي ترك من أجله رسول الله ﷺ إقامتها في المسجد في جماعة، وهو خوف الافتراض، قد انقطع بالوحي، فعمر بن الخطاب استند فيما فعل إلى عمل النبي ﷺ، مع تحقيق النظر في الوجه الذي كان النبي ﷺ قد تركها من أجله، وأراد بالبدعة: هيئة اجتماع الناس على إمام واحد، وسماها بدعة؛ تشبيهاً لها بعد أن تركت سنين، بما أحدث على غير مثال سابق.

وتفضل الله تعالى بليلة جعل العمل فيها خيراً من العمل في ألف شهر، وهي ليلة القدر.

وجمهور أهل العلم على أنها تكون في رمضان؛ أخذاً بظاهر أحاديث أرشدت إلى التماسها في هذا الشهر. ومن ذهب من السلف إلى أنها تكون في ليلة من السنة غير مقيدة بشهر، حمل تلك الأحاديث على التماس ليلة القدر في رمضان في تلك السنة خاصة.

وهذه الأعمال الصالحات التي جعلها الشارع عمارة شهر رمضان؛ من نحو: الصيام، والقيام، وتلاوة القرآن، وبسط اليد بالمعروف، شأنها أن تهذب النفوس، وتحبب إليها التقوى، وتعودها على السماحة واحتمال

---

(١) «صحيح الإمام البخاري».

المكاره، وتهيئها للثبات والمواظبة على صالح الأعمال في سائر أيام السنة. فمن اتقى في شهر رمضان بعض المحارم، ورأيته يصوم مع الصائمين، ويصلي مع المصلين، حتى إذا انقضى هذا الشهر، جعل يتباطأ عن أداء الواجبات، ويبادر إلى ما كان يتقيه من المحرمات، فذلك الذي أقام أعماله على غير إخلاص، ولم يخالط قلبه بشاشة الاستقامة على ما أمر الله.

تكثر الطاعات في رمضان، فيكثر الثواب، وتقل فيه المعاصي، فيقل العقاب، وإلى هذا يشير قوله ﷺ: «إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»، ففتح أبواب الجنة إشارة بطرق المجاز إلى كثرة الثواب، أو إلى ما يفتحه الله للناس في هذا الشهر من الطاعات؛ كما أن تغليق أبواب النار، وتصفيد الشياطين إشارة إلى قلة المخالفات وإغواء الشياطين، أو إلى ما يترتب عليها من قلة العقوبات[1].

فُضِّل شهر رمضان بما وصفناه من المزايا، فاستحق اليوم الذي يلي آخر يوم منه أن يتخذ عيداً؛ لأنه يوم تمتلئ فيه قلوب الناس ابتهاجاً بما عملوا في هذا الشهر من خير، وأي نعمة يصيبها الإنسان في هذه الحياة تساوي نعمة أداء ركن من أركان الإسلام، محفوفاً بضروب من أجل الطاعات، وأشرف الآداب؟! وأي ارتياح يساوي في نظر أولي الألباب ارتياح النفس عندما تشعر بأنها اتقت الله ما استطاعت؟! وإنما ارتياحها لما ترجوه من رضا الخالق، وما يتبعه من عزة في الدنيا، وسعادة في الأخرى.

❐ ❐ ❐

---

(١) هذا وجه في شرح الحديث أورده أهل العلم، وهم لا يرون مانعاً من حمل فتح أبواب الجنة، وتغليق أبواب النار، وتصفيد الشياطين على حقيقتها.



بحث موجز
في أشهر الفرق الإسلامية[1]

*** وحدة العقيدة في الصدر الأول:**

قام النبي ﷺ يدعو إلى العقائد الصحيحة، وما زال الوحي ينزل حتى أتى على أصول ما يحتاج إليه في سلامة العقيدة، وطهارة النفس من الشرك، وكان المسلمون في عهد الوحي على طريقة واحدة في عقائدهم، وليس من المحتمل أن يجري بينهم خلاف في شيء من ذلك، ورسول الله ـ صلوات الله عليه ـ بين ظهرانيهم؛ وهو الذي يُسأل فيرشد، أو يقول فيكون قوله الفصل.

واستمر المسلمون على هذه الطريقة المثلى في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وما جرى بينهم من الاختلاف في ذلك العهد لم يتجاوز الاختلاف في أحكام عملية؛ كاختلافهم في محل دفنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وثبوت الإرث منه، وقتال مانعي الزكاة، وأكثر هذا النحو من الاختلاف لا يلبث أن يتبين فيه وجه الحق، فيصير إلى وفاق.

*** انقسام المسلمين إلى فرق مختلفة:**

أخبر النبي ـ صلوات الله عليه ـ أن أمته ستفترق على بضع وسبعين فرقة، وأن فرقة من تلك الفرق ناجية، ووصف الفرقة الناجية بأنها الفرقة

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد العاشر.

التي تتمسك بما كان عليه هو وأصحابه، ففي «سنن أبي داود» من رواية أبي هريرة: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»، وفيها من رواية معاوية: ألا أن رسول الله قام فينا فقال: «إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة».

وروى الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي ثلاثاً وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي». ورواه ابن ماجه من طريق حذيفة بن اليمان، ومن طريق أنس ابن مالك.

والمراد من الأمة: من يصدق عليهم اسم الإسلام، بدليل الإضافة في قوله: «أمتي»؛ فإن إضافة الأمة إلى الرسول ظاهرة فيمن كان لهم اتصال به في الواقع، وهم الذين يتبعونه، ولو في أصل الإيمان، والفرقة الخارجة من الدين ليست من هذا القبيل، فتكون الفرق المشار إليها في الحديث من انحرفوا عن السبيل، ولم ينكثوا أيديهم من أصل الدين.

وحمل بعضهم الأمة على ما يشمل الفرق التي خرجت ببدعتها عن حوزة الدين، والتحقت بفرق الكافرين، والوعيد بالنار في الحديث مطلق، فيكون للفرق المنفصلة عن الدين عذاباً خالداً، وللفرق التي انحرفت ببدعتها انحرافاً لا يقطعها عن أصل الدين، عقاباً يتفاوتون فيه درجات، ثم

يصيرون إلى دار السـلام.

والافتراض المشار إليه في الحديث يجري في العقائد، والأمر فيه واضح.

أما الافتراق في أعمال تفعل على أنه شرع، فإن كان عن اجتهاد معتد به، فليس بموضع للذم والوعيد؛ لأن هذا الاجتهاد مأذون فيه شرعاً، وإن كانت المخالفة عن رأي فاسد، أو هوى غالب، وبلغت هذه الأعمال المبتدعة أن صارت شـعار فرقة من الأمة، فالحديـث يتناولها بوعيده؛ كما تناولهـا قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

*** عوامل هذا الانقسام:**

نبحث عن عوامل انقسام المسلمين إلى فرق، فتبدو لنا وجوه كثيرة:

أحدها: الخطأ في فهم بعض الآيات أو الأحاديث، ويرجع إلى هذا القبيل التمسـك ببعض المتشـابه من النصوص، وردّ المحكم إليه بطريـق التأويل[1].

ثانيها: اعتداد الشخص برأي يسـبق إلى ذهنـه، أو يتلقاه من غيره، فيعتقد أنه أصل صحيح، حتى إذا وجده مخالفاً لنصوص القرآن أو السنة، أخذ في تأويلها بما يوافق رأيه، ولو على وجوه بعيدة.

ثالثها: تشبث الشخص بحديث ينقل إليه، فيحسن الظن بروايته، ويكون الحديث مصنوعاً.

---

(١) المحكم: الأصل المعروف في معظم الشريعة، والواضح المعنى الذي لا يحوم عليه اشتباه. والمتشابه: ما يجيء في بعض المواضع، ويكون بظاهره مخالفاً لذلك الأصل الواضح، ويجري في الإلهيات وغيرها.

رابعها: أن يقع في نفس الرجل خواطر، فيظنها إلهاماً خصه الله به، وإنما هو الحديث الذي يجري في النفوس من طرق مقطوعة عن منابع الشريعة.

خامسها: الأهواء تأخذ بقلب صاحبها، إلى أن يبتغي الوصول إليها من طريق الدين، فيقرر رأياً على أنه من الدين، وهو يعلم أنه مخالف لما جاء في الكتاب والسنة.

ولا نجهل أن زعماء بعض هذه الفرق قد يقصدون إفساد عقائد المسلمين؛ بإدخال آراء تفسد أصلاً من أصول الدين، أو تبطل حكماً من أحكامه، ومن درس آراء الفرق، لم يتردد في أن كثيراً منها قد وضعه أشخاص يريدون الكيد للإسلام. وأشد ما يظهر هذا الغرض في آراء تراها معارضة لنصوص الدين الصريحة، دون أن يستند صاحبها إلى نقل، أو شيء من العقل.

وقد يكون للسياسة يد في إثارة الأهواء الحاملة على مخالفة الجماعة، وإحداث رأي في الدين؛ والدعوة إليه إلى أن يصير مذهب فرقة من المسلمين.

*** الفرق الإسلامية:**

من ينظر في حال الفرق التي لها صلة بالإسلام يجدها على قسمين:

فرق داخلة في حدود الدين، ومن شأنها أن تتلاقى في جانب من الائتلاف والتناصر على إعلاء شأن الإسلام.

وفرق خرجت بهم بدعتهم عن حدود الدين، والتحقوا بطوائف المخالفين، ذلك أنهم اعتقدوا ما لا يلتقي بأصل الإيمان في نفس واحدة؛ كالبهائية، واليزيدية، والقاديانية، على ما نبينه بعد ـ إن شاء الله ـ.

وأصول الفرق التي سنحدثك عنها في هذا المقال سبعة:

الشيعة، والباطنية، والمشبهة، والمحكمة، والجهمية، والمعتزلة، وأهل السنّة[١].

وقد نعرض عليك في بحث كل فرقة بعض آراء امتاز بها مذهبها، وإذا لم نتعرض فيما نكتب لنقد بعض هذه الآراء؛ فلوضوح أمرها، أو لأننا سنحدثك في بحث أهل السنة بما هو الحق فيما نرى.

* **الشيعة:**

ظهر مذهب التشيع في عهد علي بن أبي طالب ﷺ، بل ظهر في أقصى درجات الغلو. وكان الشيعة يومئذ ثلاث طوائف:

طائفة كانت تفضل علياً على أبي بكر وعمر، مع الاعتراف بفضلهما، وصحة إمامتهما. وروى البخاري في «صحيحه» عن محمد بن الحنفية: أنه سأل أباه: من خير الناس؟ فقال: أبو بكر. قال: ثم من؟ قال: عمر.

ثانيتهما: كانت تسب أبا بكر وعمر. يروى أن عبدالله بن السوداء[٢] كان يسب أبا بكر وعمر، فطلبه علي، فهرب، وقيل: نفاه إلى المدائن.

ثالثتهما: كانت تقول: إن علياً إله، وهم: عبدالله بن سبأ[٣] وأتباعه. زعم ابن سبأ ذلك، ودعا إليه قوماً من غواة الكوفة، وبلغ علياً أمرهم، فأحرق فريقاً منهم[٤] بعد أن دعاهم إلى التوبة وأجّلهم ثلاثاً، ولم يقتل بقيتهم؛

---

(١) للإمام بحث عن «المعتزلة وأهل السنّة» انظر كتابه: «محاضرات إسلامية».

(٢) كان يهودياً من أهل الحيرة أظهر الإسلام.

(٣) كان يهودياً أيضاً أظهر الإسلام.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس، قال: «أتى علي بزنادقة، فحرقهم =

كابن سبأ، بل نفاه إلى المدائن؛ حذراً من اختلاف أصحابه عليه.

ولما قُتل عليّ، زعم ابن سبأ أن المقتول شيطان تمثل بعلي، وأن علياً صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا، وينتقم من أعدائه.

وأتباع ابن سبأ يزعمون أن المهدي المنتظر هو علي، ويزعم بعضهم أنه في السحاب.

وشاع بعد هذا في بعض الفرق القول بالرجعة، قال سفيان: كان الناس يحملون عن جابر[1] قبل أن يُظهر ما أظهر، فلما أظهر، اتهمه الناس في حديثه، وتركه بعض الناس، فقيل له: وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة، ثم روى مسلم في «صحيحه» عن سفيان: أنه سمع رجلاً يسأل جابراً عن قوله ﷻ:

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

فقال جابر: لم يحن تأويل هذه، قال سفيان: وكذب، فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: إن الرافضة تقول: إن علياً في السحاب، فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادٍ من السماء - يريد علياً - أنه ينادي: اخرجوا مع فلان.

يقول جابر: فذا تأويل هذه الآية. وكذب، كانت في إخوة يوسف ﷺ.

وانقسمت الشيعة بعد هذا إلى أربع فرق: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة.

= بالنار، ولو كنت أنا، لم أحرقهم؛ لنهي النبي ﷺ أن يعذب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم؛ لقوله: «من بدل دينه، فاقتلوه».

(١) هو جابر بن يزيد بن حارث الجعفي الكوفي، أحد علماء الشيعة، توفي سنة ١٢٨.

*** الزيدية:**

هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يفضلون الإمام علي بن أبي طالب على غيره من الصحابة، ويوالون الشيخين أبا بكر وعمر.

خرج الإمام زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، وسأله جماعة ممن بايعوه عن أبي بكر وعمر، فقال: رحمهما الله، وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ففارقوه، ونكثوا بيعته، فسموا: الرافضة.

والزيدية يقصرون الإمامة في أولاد فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ، فلا حق فيها لمحمد بن الحنفية وذريته، ولا يقولون بعصمة الأئمة، ولا باختفائهم.

*** الإمامية:**

هم فرق: **منها**: المحمدية، وهؤلاء يعتقدون أن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يقتل[١]، ويزعمون أنه في جبل حاجر من ناحية نجد، وهو المهدي المنتظر[٢].

---

(١) كان محمد بن عبدالله خرج على أبي جعفر المنصور، واستولى على مكة والمدينة، فبعث أبو جعفر لحربه جيشاً، وقتل محمد ـ رحمه الله ـ في المعركة.

(٢) ظهور المهدي لم يرد به قرآن، ولا يقتضيه أصل من أصول الشرع، وإنما وردت فيه أحاديث؛ فالوجه في الاعتقاد به أو إنكاره يرجع إلى النظر في هذه الأحاديث على طريقة المحققين من علماء الحديث، وهي نقد سند الحديث بالبحث في حال رواته، فإذا وجدوا السند سليماً لا غبار عليه نظروا في متن الحديث، فإن وجدوه مخالفاً لمحسوس أو معقول مقطوع به، أو لمعروف في الدين من طريق أقوى من طريق ذلك الحديث، وقفوا عن الأخذ به، ولم يبنوا عليه علماً ولا عملاً. =

ومنها: الباقرية، وهؤلاء يقولون: الإمامة انتقلت من علي بن أبي طالب وأولاده إلى محمد بن علي المعروف بالباقر، وزعموا أن الباقر هو المهدي المنتظر.

ومنها: الموسوية، وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق، وزعموا أن الإمام بعد جعفر ابنه موسى الكاظم، وأن موسى حي لم يمت، وأنه هو المهدي المنتظر.

ومنها: الاثني عشرية: وهي الفرقة التي تحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، هم: علي بن أبي طالب، وابنه الحسن، ثم الحسين، ثم علي زين العابدين، ثم محمد الباقر، ثم جعفر الصادق، ثم موسى الكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم محمد ابن الحسن العسكري، ويرون أن محمداً هذا هو المهدي المنتظر، وأنه حي مستور عن الناس إلى أن يأذن الله له بالظهور، فيظهر ويملأ الأرض عدلاً، ويذكرون في وجه هذا الترتيب: أن كل سابق من الأئمة نص على لاحقه، وأن هؤلاء الأئمة معصومون عن جميع الذنوب والسهو والنسيان، وسائر النقائص، ويوافقون المعتزلة في أن الحسن والقبح ـ بمعنى: ترتب استحقاق المدح والذم ـ عقليان.

*** الكيسانية**[1]:

هم الذين يقولون بإمامة محمد بن الحنفية، ومن هؤلاء من ذهب إلى

= ومن ينظر في أسانيد الأحاديث الواردة في المهدي، لم يجد فيها سنداً يصل في سلامته إلى المرتبة التي تعطي الأحاديث وصف الصحة بلا نزاع.

(١) اختلف الكاتبون من أصحاب المقالات في وجه هذه النسبة، فقال بعضهم: نسبة =

أنه لم يمت، وأنه في جبل رضوى، وعنده عين من ماء، وعين من عسل، يأخذ منهما رزقه، وهو المهدي المنتظر.

ومنهم من اعترف بموته، وقال: إن الإمامة من بعده انتقلت إلى ابنه أبي هاشم عبدالله.

وقال آخرون: انتقلت إلى ابن أخيه علي زين العابدين بن الحسين، وقالوا: يجوز البدء على الله تعالى، وهو أن يريد شيئاً، ثم يبدو ـ أي: يظهر له غير ما كان ظاهراً له[1] ـ، ومن لوازم هذا المذهب: أن لا يكون الله ـ جل شأنه ـ عالماً بعواقب الأمور.

*** الغلاة:**

هم فرقة خرجوا بالتشيع من الدين الحنيف؛ كالفرقة التي تعتقد في علي بن أبي طالب ﷺ، أو أحد من آل البيت، أو زعيم مذهبهم: الإلهية، أو النبوة؛ مثل: البيانية أتباع بيان بن سمعان التميمي[2] الذين يقولون: إن

= إلى كيسان، وهو لقب المختار بن أبي عبيد رئيس هذه الفرقة. وقال آخرون: نسبة إلى كيسان أبي عمرة مولى بجيلة الذي كان من أنصار المختار بن أبي عبيد ورئيس شرطته؛ وأشار ابن حزم في كتاب «الفصل» إلى الكيسانية، وقال: وكان رئيسهم المختار بن أبي عبيد، وكيسان أبو عمرة، وغيرهما، يذهبون إلى أن الإمام بعد الحسين هو أخوه محمد بن الحنفية، وهذا الوجه أقرب مما قبله.

(١) سبب هذا الزعم فيما حكاه صاحب كتاب «الفرقة»: أن المختار كان يدعي نزول الوحي عليه، وأنه موعود بالنصر، فلما انهزم جيشه في حرب دارت بينه وبين مصعب بن الزبير، قال له أصحابه: ألم تعدنا بالنصر على عدونا؟ قال: إن الله وعدني ذلك، لكنه بدا له.

(٢) رفع أمره إلى خالد بن عبدالله القسري، فقبض عليه، وصلبه، وقتله صلباً.

روح الله تناسـخت في الأنبياء إلى أن حلت في علي، ثم في ابنه محمد بن الحنفية، ثم في ابنه أبي هاشم، ثم في بيان نفسه.

ومثل: الخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي الذين يقولون: إن روح الله حلت في جعفر الصادق، ثم في زعميهم أبي الخطاب.

ومثل: الغرابية الذين يقولون: محمد ﷺ أشبه بعلي من الغراب بالغراب، فبعث الله جبريل إلى علي، فغلط في تبليغها لمحمد.

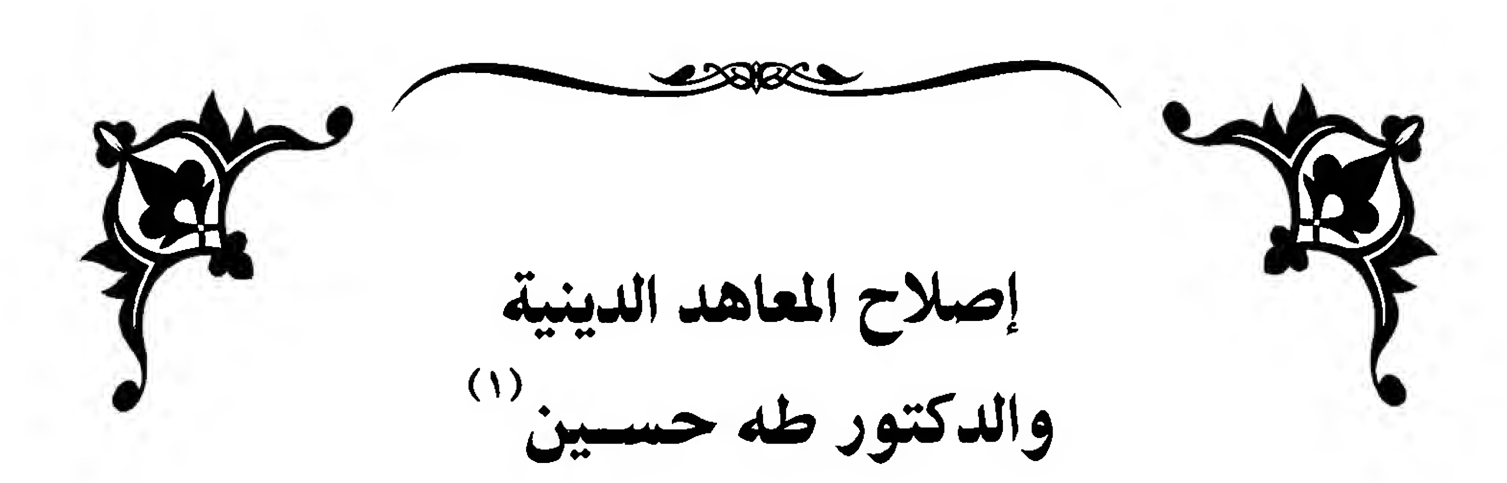
ومثل: الأمرية الذين قالوا: إن علياً شريك محمد في أمره[١].

* تنبيه:

(لم نجد تتمة هذا البحث بين آثـار الإمام، سـواء المطبوع منها، أو المخطوط).

❑ ❑ ❑

(١) «تفسير القرطبي».



إصلاح المعاهد الدينية والدكتور طه حسين[1]

كتب الدكتور طه حسين في مجلة «الرابطة الشرقية» مقالاً تحت عنوان: «إصلاح الأزهر»، وقارئ المقال ـ ذكياً كان أو غير ذكي ـ لا يفهم منه إلا أن الكاتب يريد إلغاء المعاهد الدينية، لا إصلاحها، ويود إماتتها، لا إحياءها.

إصلاح الأزهر فيما يبديه ذلك الكاتب أن يصير مدرسة وعظ وإرشاد، وأن لا يكون للمتخرجين فيه حق في مناصب الحكم، والتصرف في شؤون الدولة، وابتدع ـ بعد هذا ـ لطلاب العلم بالمعاهد الدينية رهبانية، فأشار عليهم بأن يدعوا الدنيا وأعراضها، وأخذ يضرب لهم المثل من القسس «رؤساء الديانة النصرانية».

يقول الكاتب: «الغرض من الأزهر إنما هو إرشاد المسلمين إلى الخير، وتفقههم في الإسلام، ودعوة غير المسلمين إلى الدين، وإقامة حجته عليهم ظاهرة بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة. فأما تولي مناصب الحكم، والتصرف في شؤون الدولة، والتمكن من الكسب، فأشياء إضافية ليس من المحتوم أن يسعى إليها مصلحو الأزهر».

ويقول: «وإنما نريد: أن الله يفرض عليهم تحقيق غرضين دينيين، والله

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الأول.

أرفق بهم وأعطف عليهم من أن يضارهم في تحقيق هذين الغرضين، ولكن الله لا يفرض عليهم أن يكونوا قضاة، ولا أن يكونوا أساتذة للغة العربية، ولا أن يتولوا من مناصب الدولة ما يطمحون إلى التسلط عليه».

ويقول: «وليكن الأزهر مدرسة دين قبل كل شيء وبعد كل شيء».

ويقول: «وهنا نصل إلى نقطة لا نشك أن كثيرين من أنصار الإصلاح الأزهري ـ وربما كان منهم الأستاذ المراغي نفسه ـ يخالفوننا فيها أشد الخلاف. فهم يريدون أن يؤاسوا بين الأزهريين وغيرهم من طلاب المدارس المدنية من حقوق التمتع بمناصب الحكم، والتصرف في شؤون الدولة».

ويقول: «فخليق بالذين يسعون إلى إصلاح الأزهر أن يعرفوا لقانون توزيع الأعمال حرمة، فيتركوا القضاء للقضاة، والتعليم للمعلمين، ويكتفوا بما قسم الله لهم، وما فرض الله عليهم من الوعظ والإرشاد والدعوة الدينية».

قال هذا، ثم حمد الله على أن الشعوب الإسلامية لا زالت تقدس دينها، وتحرص عليه، وتتوق إلى رفع شأنه، وإعلاء كلمته في الأرض!!.

وبعد أن ذهب إلى أن المتخرج في المعاهد الدينية لا يسمح له بعمل غير الوعظ والإرشاد والدعوة الدينية، وضع للتعليم بها منهجاً، وانقلب بعد وضع هذا المنهج صوفياً في مرقعة وبيده سبحة، فقال يعظ الأزهر، وهو يعني أهله: وليدع الدنيا للذين تعنيهم أعراض هذه الحياة الدنيا، فقد صدق الله حين قال:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ [الكهف: ٤٥].

فليدع الأزهر هذا الهشيم الذي تذروه الرياح، وليدع الأزهر هذا الزبد

الذي يذهب جفاء، وليعنَ الأزهر أشد العناية بما ينفع الناس ويمكث في الأرض، وهو: تفقيه المسلمين في دين الله، ودعوة غير المسلمين إلى دين الله.

هكذا يكتب الدكتور طه حسين في إصلاح المعاهد الدينية، ولولا الحذر من أن يكون لمثل هذا المقال أثر في بعض النفوس الغافلة، لضربنا عنه صفحاً، وتركناه يذهب كما يذهب الزبد جفاء، أو كما يذهب الهشيم الذي تذروه الرياح.

الغاية من هذا المقال ماثلة أمام قرائه، وهو مصنوع على شاكلة ما يكتبونه حين يقصدون إلى إيهام السذج أن الإسلام دين لا صلة له بالقضاء، ولا بشؤون الدولة، ولطالما كتب أهل العلم في تقويمهم، وأروهم أن في الإسلام أصولاً قضائية، ونظماً اجتماعية، فأصروا واستكبروا استكباراً.

لنترك حوارهم في هذا الشأن؛ فإن المسلمين بحق يقرؤون كتاب الله، أو يستمعون إلى من يقرؤوه، فيشهدون أن الإسلام أتى بأصول تسلك في شؤون الجماعة، وتتغلغل في أحشاء الدولة، وأنه أسمى من أن يرضى لعلمائه البعد عن مناصب الحكم، والنظر في إدارة شؤون الأمة.

الغرض من المعاهد الدينية: درس العلوم الإسلامية، والعلوم العربية، وما يتصل بها من نحو: المنطق والفلسفة والتاريخ، ثم ما تدعو إليه الحاجة من العلوم والفنون الأخرى بمقدار، وإذا سارت دراسة هذه العلوم على طريقة منتظمة، وأسلوب موزون، كان في وسع هذه المعاهد أن تخرج لنا رجالاً للقضاء، وأساتذة للغة العربية وآدابها، وكان في وسعها أن تخرج لنا رجالاً يقومون بجانب من إدارة شؤون الأمة، كما يكون في وسعها أن تخرج للناس

مرشدين إلى الآداب الفاضلة، ودعاة إلى الدين الحنيف.

وإذا كانت علوم اللغة العربية وآدابها تدرس في هذه المعاهد بإتقان، وكانت علوم الفلسفة والمنطق والتربية والتاريخ تدرس ببسط، وعلى أسلوب قويم، فما الذي يمنع المتخرجين في هذه المعاهد من أن يكونوا أساتذة لهذه العلوم في مدارس الحكومة؟.

وإذا كانت أصول الشريعة وأحكامها تدرس على مناهج تمكن الإخصائي فيها من أن يفصل في القضايا على سنة العدل والمساواة، فما الذي يمنعهم من أن يتقلدوا منصب القضاء، ويجلسوا للحكم بين الناس؟ وإذا بنى الكاتب مقاله على فرض إلغاء المحاكم الشرعية من القطر المصري، فقد بنى خيالاً على خيال؛ إذ لا يقدم على هذا العمل إلا الجاهل بنفسيات الشعوب يوم تشعر بحقوقها، وتطمح إلى أن تتمتع بحريتها، ولا حرية للشعوب الإسلامية إلا أن تساس بأحكام شريعتها.

نفهم جيداً كيف لا يكون المتخرج في المعاهد الدينية مهندساً أو طبيباً، ونفهم جيداً كيف لا يكون المتخرج في المعاهد الدينية إذا لم يكن ملماً بلغة أجنبية وزيراً أو سفيراً، ولكنا لا نستطيع أن نفهم كيف لا يكون قاضياً في المحاكم، ولا نفهم كيف لا يكون أستاذاً للغة العربية في مدارس الحكومة، ولا نفهم كيف لا يطمع إلى التسلط على جانب من منصب الدولة.

ألا إن الحكومة الرشيدة هي التي تدخل في مدارسها ومحاكمها ودوائرها من الطائفة التي أشربت روح الدين الخالص فريقاً يكونون وقاية لها من أن يسري فيها وباء الإباحية والزيغ فيهلكها، وما فشت الإباحية والزيغ في أمة إلا ذهبت قوتها المعنوية، وإذا لم يكن لها مع هذا قوة مادية كافية، فبطن

الأرض خير لها من ظهرها.

تلك الحكومة التونسية ـ وهي تحت نفوذ دولة غير إسلامية ـ قد أدركت كفاية المتخرجين في المعهد الزيتوني للقيام بالقضاء، وإدارة شؤون الدولة، فلم تستطع أن تحرمهم من مناصب القضاء، والعمل بدوائر الحكومة، فتجد المتخرج في المعهد الزيتوني أستاذاً في مدارس الحكومة، وقاضياً بالمحاكم الأهلية، بلهَ المحاكم الشرعية، وتجده في دوائر الأوقاف والمالية والحقانية، بل تجد للزيتونيين مكاتب في الرياسة العامة، والفرنسيون أنفسهم يشهدون لهؤلاء الزيتونيين بالكفاية والبراعة في تطبيق النظم والقوانين، ولن تبلى مصر ـ إن شاء الله ـ برجال دولة يكونون أقسى قلوباً على أبناء المعاهد الدينية من الحكومة الفرنسية.

وإذا شوهد في بعض المتخرجين في هذه المعاهد قصور في التعليم أو الإدارة، فهو بمقدار ما يقع فيه إخوانهم من المتخرجين في المدارس الأخرى، وإذا صح أن يكون هذا القصور ظاهراً فيهم أكثر مما يظهر في غيرهم، فإنما هو أثر التعليم الذي ننادي بإصلاحه وتنظيمه. ومتى صلح التعليم، وتهذبت طرقه، أخرجت هذه المعاهد رجالاً يجمعون إلى طهارة الذمم والاستقامة على الطريقة ثقافة صافية، وعملاً ناصحاً.

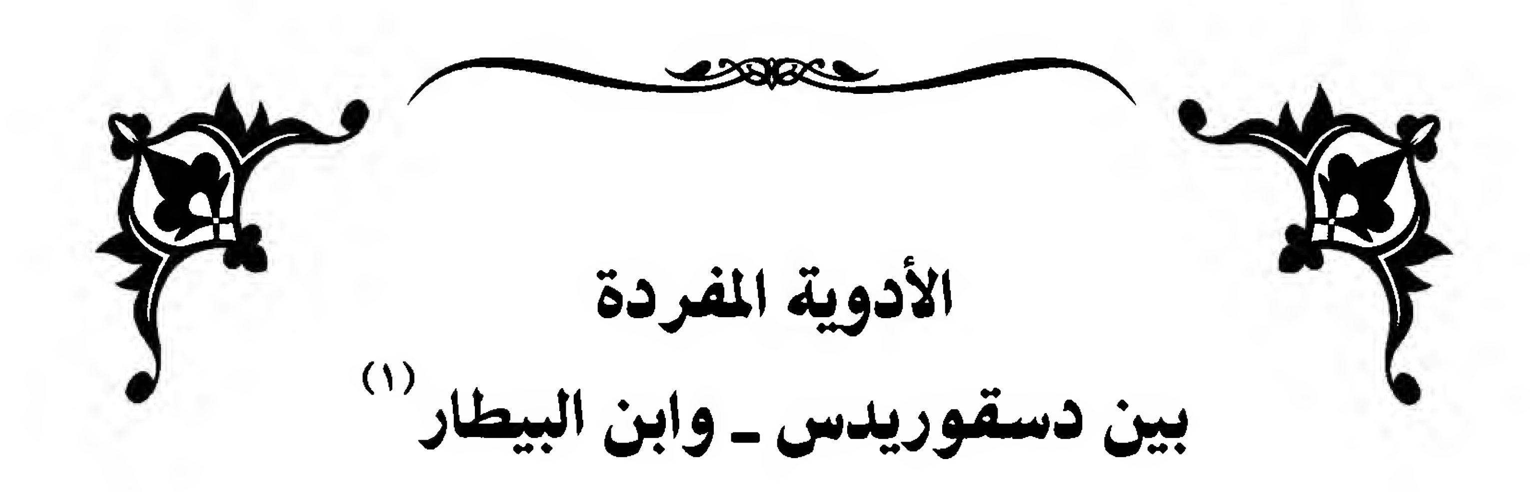
وإذا كانت معرفة العلوم الإسلامية في نظر الكاتب ذنباً أو عيباً يستحق به صاحبه أن ينفى من دوائر الحكومة ومدارسها ومحاكمها، فذلك رأي قد يوافقه عليه قوم لا يشعرون، وآخرون لا يهتدون، أما من لهم السلطان على هذه المعاهد، فلم يزالوا بنعمة الله يشعرون ويهتدون، وأخالهم حين يمرون بمقال هذا الكاتب لا يمرون به إلا كراماً، كما أنه لا يلقى من طلاب

هذه المعاهد إلا ازدراء.

خير للكاتب أن يترك الخوض في إصلاح المعاهد الدينية جانباً، ففي هذه المعاهد اليوم حياة غير ما كان يعهد، وفي هذه المعاهد فتيان وكهول عرفوا قيمة ما يدرسون، فهم لا يبتغون سوى إصلاح مناهج التعليم، وهم لا يرضون إلا أن يقفوا مع إخوانهم المتخرجين في المدارس الأخرى جنباً لجنب، وكذلك حكمة الإسلام الخالص تنبت في نفوس دارسيها إرادات قوية، وهمماً طماحة إلى المعالي، وتعلمهم أن يكونوا في الصف الأول من صفوف العاملين لإصلاح شأن البلاد، وإعزاز جانب الأمة.

ولقد أبى ذلك الكاتب إلا أن يختـم مقاله بشـيء من المـزح، فدعا طلاب العلم بهذه المعاهد أن يدعوا الدنيا وأعراضها، وتلا الآية الكريمة في غير موضعها. كلا. لا رهبانية في الإسلام. وآية ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الكهف: ٤٥] إنما يراد بها كبح جماح المفتونين بزينة هذه الحياة، فخطابها لا يختص بالمتخرجين في المعاهد الدينية، بل هم، وأساتذة الجامعة، وسائر المسلمين أمام موعظتها الحسنة على سواء.

❐ ❐ ❐



الأدوية المفردة
بين دسقوريدس ـ وابن البيطار[1]

بحث تاريخي يرى فيه القارئ كيف انتقل فن الأدوية المفردة من اليونانية إلى العربية، وكيف نَمَّاه العرب بتجاربهم ومؤلفاتهم.

اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء، لا يعدل إلى الدواء، ومتى أمكن التداوي بالمفرد، لا يعدل عنه إلى المركب.

ويذكر الكاتبون في سيرة الطبيب أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد ابن وافد الأندلسي: «أنه كان لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية، أو ما كان قريباً منها، فإذا دعت الضرورة إلى الأدوية، فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل إلى التداوي بمفردها، فإن اضطر إلى المركب منها، لم يكثر التركيب، بل اقتصر على أقل ما يمكنه منه».

فشأن الطبيب أن يبحث عن حال الأغذية، والأدوية المفردة، والأدوية المركبة، ولهذا نرى في مؤلفات الأطباء ما يبحث فيه عن الأغذية وما يبحث فيه عن الأدوية المفردة، وما يبحث فيه عن الأدوية المركبة، ولما ندبني مجمع فؤاد الأول لتمثيله في المؤتمر الطبي الذي سينعقد في مدينة الإسكندرية في أيام عيد الأضحى سنة ١٣٦١هـ، رأيت أن أقدم لهذا المؤتمر كلمة في تاريخ

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد الخامس عشر.

التأليف في الأدوية المفردة، والتنبيه لطريق نقلها من اليونانية إلى اللغة العربية، والتذكير بشيء من معاناة العرب للتأليف فيها.

من بين الأطباء الذين ظهروا بعد أبقراط، وقبل جالينوس، نشأ الطبيب دسقوريدس المنسوب إلى عين زربى، أو زريه، وقد عني هذا الطيب بالأدوية المفردة بحثاً وتأليفاً وتصويراً، وكان يجول في البلاد لهذا الغرض النبيل، وقد قال في وصفه يحيى النحوي الإسكندراني: «النافع للناس منفعة جليلة، السائح في البلاد، المفتش لعلوم الأدوية المفردة في البراري والجزائر والبحار، المصور لها، والمحدد لمنافعها». ويقول الأطباء في القديم: إن دسقوريدس رأس كل دواء مفرد، وعنه أخذ جميع من جاء بعده.

وجاء على أثر دسقوريدس أطباء من اليونان ألفوا في الأدوية المفردة كتباً حتى جاء جالينوس، فألّف فيها، وفضل على تلك الكتب كتاب دسقوريدس، فقال: «إني تصفحت أربعة عشر كتاباً في الأدوية المفردة لأقوام شتى، فما رأيت فيها أتم من كتاب دسقوريدس الذي هو من أهل عين زربى».

وممن ألف في الأدوية المفردة بعد جالينوس: عيسى بن قسطنطين، فله كتاب الأدوية المفردة، وهو ـ فيما يقال ـ أول من نقل كتب اليونانيين إلى اللغة السريانية.

*** كيف نقلت الأدوية المفردة إلى اللغة العربية؟.**

أول من نقل كتاب «الأدوية المفردة» لدسقوريدس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي اصطفن بن بسيل، وطريقته في الترجمة: أنه إن علم للمعنى الطبي اسماً في اللسان العربي، ذكره باسمه العربي، وإن لم يعلم له اسماً عربياً، أبقاه على اسمه اليوناني رجاء أن يأتي بعده من يعرف لذلك المعنى

اسـماً عربياً يناسبه، وبعد أن أتم ترجمته، عرضه على حنين بن إسحاق، فصحح الترجمة، وأجازها، ووصل هذا الكتاب إلى الأندلس، فكان الناس ينتفعون بما عرف اسمه في العربية إلى أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر.

وفي سنة ٣٣٧هـ بعث أرمنيوس ملك قسطنطينية بهدايا إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، ومن جملة هذه الهدايا: كتاب دسقوريدس باللسان الإغريقي اليوناني القديم، وكانت النسخة مصورة الحشائش بالتصوير الرومي، وقال أرمنيوس في كتابه للناصر: إن كتاب دسقوريدس لا تجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف أشخاص تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك، فزت أيها الملك بفائدة الكتاب، واتفق أن لم يكن بقرطبة يومئذ من يقرأ اللسان الإغريقي، فبقي كتاب دسقوريدس في خزانة الناصر دون أن يترجم إلى العربي.

ثم إن عبد الرحمن الناصر بعث إلى أرمنيوس أن يبعث إليه برجل يحسن التكلم الإغريقي؛ ليعلِّم من يصلحون لأن يكونوا مترجمين، فبعث أرمنيوس براهب كان يسمى: «نقولا»[1]، فوصل إلى قرطبة سنة ٣٤٠هـ، وكان الناس وقتئذ في حرص على معرفة ما جهلوه من أسماء عقاقير ذلك الكتاب.

ومن الأطباء الباحثين عن تفسير تلك الأسماء، وتعيين أشخاصها: محمد المعروف بالشجار، وطبيب يعرف بالبسباسي، وأبو عثمان الحزاز، ومحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم، وأبو عبدالله الصقلي.

---

(١) قال ابن جلجل: أدركته، وصحبته في أيام الحكم بن عبد الرحمن في صدر دولته.

وكان الراهب يتكلم باليونانية، ويعرف أشخاص الأدوية، فتلقّى عنه أولئك الأطباء تصحيح أسماء العقاقير، ووقفوا على أشخاصها بمدينة قرطبة، قال ابن جلجل في «أنباء أطباء الأندلس»: «وقد أدركت هؤلاء الأطباء، وصحبتهم».

أما كتاب جالينوس في الأدوية المفردة، فمن المعروف أن كتب جالينوس في الطب قد نقلت إلى اللغة العربية، وكان معظمها بنقل حنين بن إسحاق، أو تصحيحه لها بعد نقلها، ومن مؤلفات حنين بن إسحاق: اختصاره لكتاب جالينوس في الأدوية المفردة، وألفه بالسريانية، وهو إحدى عشرة مقالة، ثم نقل منه إلى العربية خمس مقالات، وهي الجزء الأول منه، ولكن ابن البيطار يقول في مقدمة كتابه الجامع: إنه استقصى فيه ما أورده جالينوس في الست المقالات من مفرداته بنصه، وذكروا في مؤلفات الفيلسوف ابن رشد تلخيصه لأول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.

وتناول العرب كتاب دسقوريدس، وكتاب جالينوس، واستمدوا منهما، وأخذ هذا الفن ينمو، ويزداد تحقيقاً؛ كما صنع أبو المطرف عبد الرحمن ابن وافد؛ فقد ألف كتاباً جمع فيه ما تضمنه كتاب دسقوريدس، وكتاب جالينوس المؤلفين في الأدوية المفردة، ورتبه أحسن ترتيب، وقال صاعد: وأخبرني أنه عانى جمعه، وحاول ترتيبه وتصحيح ما تضمنه من أسماء الأدوية وصفاتها، وأودعه إياها من تفصيل قواها، وتحديد درجاتها نحواً من عشرين سنة.

وكما صنع أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي إذ ألف كتاباً في الأدوية المفردة، واستقصى فيه ما ذكره دسقوريدس، وجالينوس، وأضاف إلى ذلك

ما تجدد للمتأخرين من الكلام في الأدوية المفردة.

وكما صنع أبو داود سليمان المعروف بابن جلجل؛ فقد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب دسقوريدس، وكشف مغلقها، ورفع إبهامها، وله مقالة في الأدوية التي لم يذكرها دسقوريدس في كتابه[1].

وكما صنع أبو العباس أحمد بن مفرج المعروف بابن الرومية، ويعرف بالنباتي؛ فقد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب دسقوريدس، قال ابن أبي أصيبعة في ابن العباس هذا: أتقن علم النبات، ومعرفة أشخاص الأدوية، وقواها ومنافعها، واختلاف أوصافها، وتباين مواطنها، وجال سنة ٦١٣هـ في الشام والعراق ومصر، وعاين نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب، وشاهد أشخاصها في منابتها، ونظرها في مواضعها، وعاد إلى المغرب، وأقام بإشبيلية.

وألف في الأدوية المفردة من غير هؤلاء جمع كبير من الأطباء؛ مثل: حنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين، وإسحاق بن عمران، وإسحاق بن سليمان المعروف بالإسرائيلي، وأحمد بن أبي خالد المعروف بابن الجزار، وخص الرئيس ابن سينا الكتاب الثاني من كتاب «القانون» بالأدوية المفردة، وجاء بعد هؤلاء أبو محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن البيطار، وعني بالأدوية المفردة، وسافر إلى بلاد اليونان، وأقصى بلاد الروم، ولقي أناساً كثيرين من المولعين بهذا الفن، ورأى منابت الحشائش المذكورة في كتب الأدوية المفردة بعينه، وعاد بعد هذه الرحلة إلى الشام، وخدم

---

(١) ألف ابن جلجل كتابه هذا في سنة ٣٧٢هـ بقرطبة أيام هشام بن الحكم.

بصناعة الطب الكامل بن العادل في دمشق، ثم خدم بها ولده الصالح بمصر، وتوفي في دمشق سنة ٦٤٦هـ.

ولابن البيطار شرح على أسماء أدوية كتاب دسقوريدس، قال ابن أبي أصيبعة: قرأت عليه تفسيره لأسماء أدوية كتاب دسقوريدس، فكنت أجد من غزارة علمه ودراسته وفهمه شيئاً كثيراً، وكان يذكر أولاً ما قاله دسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم، ثم جمل ما قاله دسقوريدس من نعته وصفته وأفعاله، وأعجب من ذلك: أنه كان لا يذكر دواء إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب دسقوريدس، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة.

ولابن البيطار كتابه المشهور المسمّى «الجامع»، وسماه الجامع؛ لأنه جمع فيه بين الأغذية والأدوية المفردة.

قال ابن سعيد في كتاب «المغرب» بعد أن ذكر الأدوية المفردة: «وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بالقاهرة بمصر كتاباً حشر فيه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الأدوية المفردة؛ ككتاب الغامقي، وكتاب الزهراوي[1]، وكتاب الشريف الإدريسي الصقلي، وغيرها، وضبطه على حروف المعجم، وهو النهاية في المقصد».

وذكر ابن البيطار في كتابه «الجامع»: أنه استوعب فيه مقالات دسقوريدس الخمس بنصها، وما أورده جالينوس في المقالات الست من مفرداته بنصها

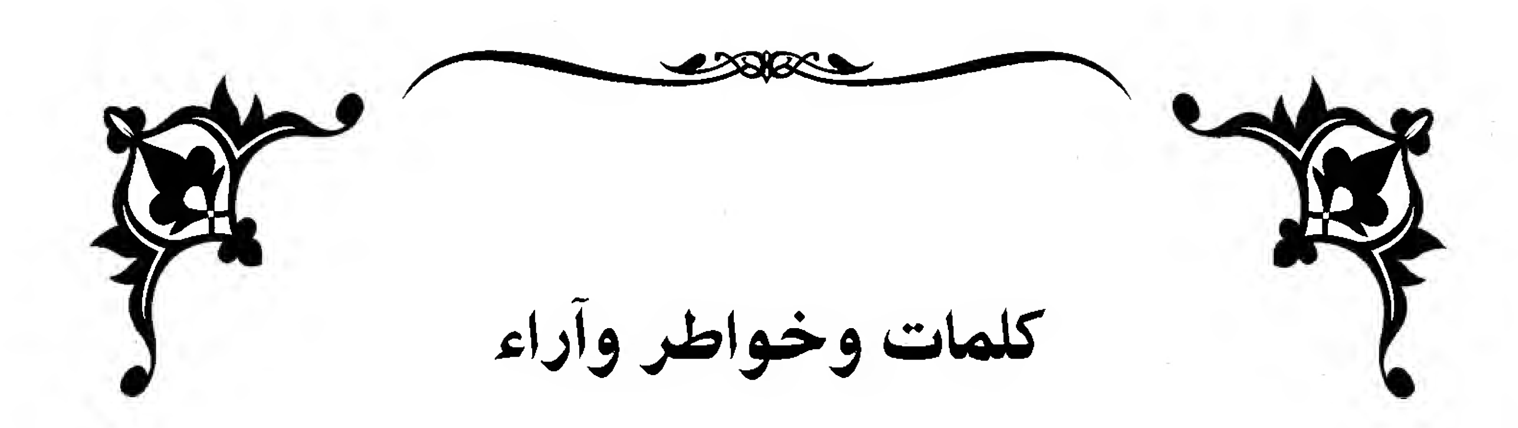
(١) هو أبو القاسم خلف بن عياش الزهراوي الأندلسي، له كتاب في الطب يسمى: «التصريف»، وهو الذي فاخر به ابن حزم، وقال: لو قلنا: إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه، ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع، لنصدقن.

كذلك، وألحق بهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكراه.

ولم يأخذ ابن البيطار فيما ينقله عن هؤلاء طريقة المتابعة المحضة، بل كان يتحرى طريقة النقد، فقال: «وما كان مخالفاً ـ في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية ـ للصواب والتحقيق، أو أن ناقله أو قائله عدل فيه عن سواء الطريق، نبذته ظِهريّاً، وهجرتُهُ مليّاً، وقلت لناقله أو قائله: لقد جئت شيئاً فرياً، ولم أحابِ في ذلك قديماً لسبقه، ولا محدثاً اعتمد غيري على صدقه» ونبه في صدر الكتاب على أغراضه، وجعل من هذه الأغراض: التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط لمتقدم أو متأخر؛ لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل، واعتماد على التجربة والمشاهدة.

وقد دل ابن البيطار في هذه الجمل على مبدأ لا يترقى علم الطب إلا به، وهو نقد الأقوال، وعدم تلقيها بالتسليم إلا أن تكون مصحوبة بدليل من نحو التجربة والمشاهدة. وقدّر الغربيون هذا الكتاب قدره، وأذكر أن الدكتور (لوكير) نقله من العربية إلى اللسان الفرنسي، وطبعت الترجمة بباريس.

❑ ❑ ❑



كلمات وخواطر وآراء

«يطالع القارئ الكريم في الصفحات التالية كلمات لفضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين ـ رضوان الله عليه ـ ألقاها في احتفالات دينية إسلامية رائعة، ومناسبات اجتماعية.

كما يطالع القارئ خواطر وآراء متفرقة نشرها الإمام في مجلة «الهداية الإسلامية».

وقد ضممنا إلى تلك الكلمات والخواطر والآراء القيمة فواتح سنوات المجلة، التي كان يفتتح بها سنتها الجديدة عاماً بعد عام؛ لما في هذه الفواتح من توجيه صادق، ودعوة إلى الإصلاح.

وغايتنا: أن نجمع كل التراث العظيم لذاك الرجل المصلح العظيم؛ خدمة للإسلام، وليعم النفع المسلمين، والله ولي التوفيق».

*** شعور الحاضرين بموضوع الخطبة[1]:**

شعور الحاضرين بموضوع الخطبة ـ قبل أن يشرع الخطيب في إلقائها ـ يجعلهم على بصيرة من أمرها، فيتلقونها بآذان واعية، وأذهان حاضرة، ولاسيما حيث يكون الموضوع عزيزاً شيقاً، وفي إيذان الحاضرين بالغرض الذي ستلقى فيه الخطبة معونة على وقوعها في نفوسهم بصورة منظومة أجزاؤها، موصولة

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الأول.

أوائلها بأواخرها؛ فإن الخطيب قد يفتتح الخطبة بمقدمات لا يظهر القصد من إتيانه عليها إلا عندما يدخل في حديث الغرض نفسه، فإعلام المستمعين بالغرض يجعلهم يتلقون تلك المقدمات على تنبه لوجه المناسبة التي تنتظمها في نفسها، ثم للصلة التي تربطها بالغرض المصوغ من أجله الخطاب.

دل التاريخ على أن العرب قد يأخذون بهذه العادة المعروفة اليوم؛ من تنبيه الملأ للموضوع الذي أزمع الخطيب أن يخوض بيانه.

نجد في التاريخ: أن عبدالله بن الزبير قدم على الخليفة عثمان بفتح أفريقية، وقص عليه كيف كانت الواقعة، فأعجب عثمان بما سمع منه، وقال له: يا بني! أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس؟ فقال: يا أمير المؤمنين! أنا أهيبُ لك مني لهم، فقام عثمان في الناس خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس! إن الله قد فتح عليكم أفريقية، وهذا عبدالله بن الزبير يخبركم خبرها ـ إن شاء الله ـ، وكان عبدالله بن الزبير إلى جانب المنبر، فقام خطيباً. وكان أول من خطب إلى جانب المنبر.

ولا ننسى مع هذا أن هناك أحوالاً تقتضي عدم إشعار الملأ بما يقصد من الخطبة؛ كأن يكون الغرض الذي يرمي إليه الخطيب من الأمور التي عهدوا بإنكارها، أو عدم الاحتفال بشأنها، والخطيب في هذه الحال مضطر إلى أن يبهم الغرض من الخطبة؛ حتى يطرق مقدمات شأنها أن تهيئ نفوس السامعين لقبول ما يقرره من حقيقة، أو يدعو إليه من إصلاح.

*** جمعية الهداية الإسلامية ـ سبب تأليفها[1]:**

إن متانة أصول الإسلام، وحكمة شريعته، ووضاءة آدابه، تجعلنا على

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الأول.

أمن من أن تمسه الدعايات المناوئة له بسوء، فلا نخشى على أصوله أن تزعزع، ولا على شريعته أن يبدو فيها مغمز، ولا على آدابه أن توزن بما هو خير منها، أو مثلها، ولكن قلة العناية بالقيام على هذه الأصول والشريعة والآداب، وتلقينها لنشئنا في أول طور من أطوار حياتهم العلمية، مهد الطريق لنفر يحملون ألقاباً إسلامية، ثم ما يكون منهم إلا أن يأتمروا على الإسلام، ويبثوا سموم دعايتهم في بعض الصحف، ومجامع التعليم.

دعاية سارت في استهواء بعض شبابنا خطوات غير قليلة، ومن أثرها: أن أصبح طائفة ممن يقعدون في مقاعد التدريس، أو السيطرة على جماعة من المسلمين، يطعنون في جانب هذا الدين الحنيف بكل صفاقة، لا يرعون في أهله ذمة، ولا يرقبون لآداب الاجتماع عهداً، ويريدون بعد هذا كله أن يسموا الإلحاد إصلاحاً، والخلاعة حرية.

نحن على يقين من أن دعاية تكيد الإسلام وتناصبه العداوة لا تتقدم بشيء من العلم أو المنطق، وإنما هي عوامل مادية تدفعها، ثم لا تجد أمامها قوة علمية منظمة تكفي الناس شرها، وتحمي الوطن من وبائها.

ولو تمثلت عاقبة هذه الدعاية في أعين أهل العلم يوم أخذت تدرج في أوطاننا، لقضوا عليها قبل أن يقول قائل: «يجب القضاء على الدين الذي تتعدد فيه الزوجات»، ويقول آخر: «سيأتي الوقت الذي تعرفون فيه أن الميراث ليس من الدين»، ويؤلف ثالث كتاباً[1] يخادع فيه المسلمين بزعم أن القضاء ليس من الدين.

---

(١) أشار إلى كتاب «الإسلام وأصول الحكم» تأليف علي عبد الرازق. وقد رد عليه الإمام بكتابه الشهير «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم».

ولو اتخذ أهل العلم الصغائر مرآة يبصرون ما وراءها من الكبائر، لما بلغ بعض رؤساء الشعوب الإسلامية أن يرهقوا ذلك الشعب طغياناً، ويحملوه على عوجاء نهارها كليلها، ثم لا يصغوا إلى توبيخ ضمائرهم حين يسمون الإرهاق حرية، ونور الإيمان غباوة.

لا تستطيع أي قوة أن تقضي على الدين الذي تتعدد فيه الزوجات، ولن يأتي الوقت الذي يعتقد فيه الناس أن الميراث ليس من الدين، ولا ينخدع المسلمون لمن يكيد للإسلام، ويريد أن يخرجه لهم في صورة الدين الذي يمكن فصله عن القضاء والسياسة، ولا يستقيم الأمر لرئيس يجهل على الإسلام، أو يتخذ ممن يجهلون على الإسلام عضداً، فقد تيقظ المسلمون حقاً من خمولهم، وقام أهل العلم يطفئون فتنة الإغواء جهدهم.

وعلى هذا القصد تألفت جمعية الهداية الإسلامية.

مبادئ هذه الجمعية ومساعيها: في اليوم الثالث عشر من شهر رجب سنة ١٣٤٦هـ الموافق ٦ يناير سنة ١٩٢٨م تأسست جمعية الهداية الإسلامية، وهي جمعية علمية أدبية، الغرض من تأسيسها: القيام بما يرشد إليه الدين الحنيف؛ من علم نافع، وأدب رفيع، وخلق كريم، وتعتمد في تحقيق هذا الغرض على الوسائل الآتية:

١ ـ السعي لتعارف الشعوب الإسلامية، وتوثيق الرابطة بينها، ورفع التجافي بين الفرق الإسلامية، والتعاون مع كل جمعية تسعى لهذه الغاية.

٢ ـ نشر حقائق الإسلام بأسلوب يلائم روح العصر.

٣ ـ مقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية في الأوطان الإسلامية بالطرق العلمية.

٤ ـ الجهاد في إصلاح شأن اللغة العربية، وإحياء آدابها.

ويقوم أعضاء هذه الجمعية منذ أنشئت بإلقاء محاضرات في المساجد عقب صلاة الجمعة، ومحاضرات في بعض النوادي عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، وبتحرير هذه المجلة التي ستسير ـ بتأييد الله تعالى ـ على الصراط السوي، وتفتح صدرها لنشر ما تسمح به أقلام البلغاء، ودعاة الإصلاح من المباحث القيمة والنصائح السامية.

الذين قاموا بالدعوة إلى تأسيس هذه الجمعية: السادة: ولي الدين أسعد المدني ـ حسين شكري الشواء ـ أحمد العربي المدني ـ يوسف عبد الرزاق المشهدي ـ محمد الحسن مصطفى ـ عبدالله مصطفى المراغي ـ هاشم دفتر دار المدني ـ محمد البسطامي ـ خلوصي الكيالي ـ صلاح الدين أبو علي ـ عبد القادر عبد العزيز يوسف ـ عبد الحليم علي النجار ـ محمد منجود.

مجلس الإدارة: محمد الخضر حسين: رئيس ـ الشيخ محمد عبد المطلب مدرس بدار العلوم العليا: وكيل أول ـ الشيخ علي محفوظ المدرس بقسم الوعظ والإرشاد بالأزهر: وكيل ثان ـ الشيخ فكري يس مدرس بالأزهر: كاتم سر الجمعية ـ عبد الحميد أفندي مدكور: أمين الصندوق ـ الشيخ مصطفى بدر زيد مدرس بالأزهر: مراقب الجمعية.

الأعضاء: الشيخ عبد ربه مفتاح المفتش العام للوعظ والإرشاد بالوجه البحري ـ الشيخ عبد الجليل عيسى مدرس بالأزهر ـ الشيخ علي مصطفى أبو درة مدرس بالأزهر ـ الشيخ عبد الوهاب النجار مدرس بقسم التخصص بالأزهر ـ الدكتور عبد العزيز قاسم بك ـ الشيخ يوسف حجازي مدرس بالأزهر ـ الشيخ محمد عبد السلام القباني مدرس بالزهر ـ الشيخ أحمد أبو سلامة مدرس

بالأزهر ـ الشيخ محمد سلامة مدرس بالأزهر ـ الشيخ حامد محيسن مدرس بالأزهر ـ الأستاذ محمد الأزهري الهاشمي بك المحامي بالاستئناف العليا.

*** منهج ابن سينا في البحث[1]:**

يرتفع شأن طالب العلم، ويكون أرسخ قدماً في فهم الحقائق، متى أخذ نفسه بأدبين اثنين:

أحدهما: أن لا يعجل إلى قبول ما يتلقاه من طريق الرواية إلا أن يثق بصحتها، ولا إلى تقليد ما يقف عليه من رأي إلا أن تؤيده الحجة.

ثانيهما: أن لا يعجل إلى إنكار ما لم يستبن له أمره، بل يدعه إلى جانب الإمكان إلى أن يقوم له شاهد بامتناع وقوعه.

وقد نبه على هذين الأدبين الفيلسوف ابن سينا في كتاب «الإشارات»، فقال: «إياك أن يكون تكيسك وتبرزك عن العامة هو أن تبرأ منكراً لكل شيء، فذلك طيش وعجز. وليس الخرق في تكذيبك ما لم تستبن جليته دون الخرق في تصديقك بما لم تقم بين يديك بينته، بل عليك الاعتصام بحبل التوقف، وإن أزعجك استنكار ما توعاه سمعك، ما لم يبرهن استحالته لك، والصواب: أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الإمكان ما لم يردك عنها قائم البرهان، واعلم أن في الطبيعة عجائب، والقوى العالية الفعالة، والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب».

يريك ابن سينا أن من الحمق إنكار الشيء الذي لم ينكشف لك وجه الحق منه، وليس هذا الحمق بأشد من حمق الذي يصدق بما لم تقم عليه

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الأول.

بينة، إذن يجب عليك أن تزن ما يرد عليك من رواية أو رأي، فتضع هذا بمكان القبول، وتقابل ذلك بالرفض، وتطرح الآخر إلى جانب الإمكان؛ لعله يعود إليك محمولاً على عاتق الحجة. أما انصرافك عن الأشياء التي لم تستبن جليتها انصراف المنكر لها، فإنه يجعل بينك وبين كثير من الحقائق حجاباً مستوراً، فيخف في العلم وزنك، ويطيش في البحث رأيك، فتفسد أكثر مما تصلح، وتضل أكثر مما ترشد، وما أنت بأقل شراً ممن ينحط في هوى كل ناعق، وكلاكما عضو معتل يبعث من دمه الفاسد إلى جسد الأمة ما ينهك قوته، ويذهب ببهائه.

*** أبناء المسلمين في مدارس التبشير[١]:**

من الذي يستطيع أن يهيئ لولده عيشاً راضياً، وينبته نباتاً حسناً، فينشأ سليم القلب، طاهر اللسان، صديقاً لأسرته، عاملاً على إعلاء شأن أمته، ولكنه يأبى أن يفعل هذا الذي ينصح به لولده، ويجني ثمار الحمد من عواقبه، فيعمد إليه وهو صافي الفطرة، فيلقيه في بيئة يتولاه فيها من لا يرقبون إلاًّ ولا ذمة، فلا يزالون يلقنونه زيغاً، ويبذرون في نفسه شراً، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً.

ذلك مثل المسلم الذي يهبه الله ولداً ليسلك به في هداية، ويعدَّه لأن يكون عضواً يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أسست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة القومية، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يقال لها: «جمعيات التبشير».

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد الأول.

إن الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، لا تكون جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد، ألم يقم الدليل إثر الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية، ويحملونهم على تقاليدها، ويتعرضون للطعن في شريعة الإسلام بطرق شأنها أن تؤثر على الأطفال ومن هم بمنزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفة تقيهم من شر ذلك الإغواء؟! ليس ذلك الذي يزج بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفساً واحدة، ولكنه يقتل خلقاً كثيراً، ويجني بعد هذا على الأمة بأجمعها، ولا أقول هذا مبالغة، فقد يصير هذ الولد أستاذاً من بعد، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم ووطنيتهم، كما أفسد عليه أولئك القسس أمر دينه ووطنيته، وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس من يملك سلطة على قوم مسلمين، فيجدون فيه من الغلطة والمكر وعدم احترام الشريعة ما لا يجدونه في الناشئ على غير الإسلام.

قد ينال الطالب في هذه المدارس علماً، وليس هذا العلم في جانب ما يخسره من دينه، وما يفوته من الإخلاص لأمته، بالشيء الذي يثقل وزنه، ولكنها الأهواء تأخذ القلوب، فتبعث الرجل على أن يأخذ بيد ابنه وهو كالملَك طهراً وطيبة، ويقوده إلى حيث يشهد ازدراء قومه، والطعن في الحنيفية السمحة، فلا يلبث أن ينقلب ذلك الطهر رجساً، وذلك الطيب خبثاً، وتكون العاقبة ما نسمعه عن كثير من المتخرجين في هذه المدارس وما نرى.

عرفت أيام كنت في دمشق أن ذا منصب في العسكرية رفيع، جاء بابنه الصبي إلى الأستاذ صاحب مدرسة التهذيب الإسلامي، وذكر له أنه كان أدخل

ابنه هذا في مدرسة من المدارس الأجنبية، فأزاغوا عقيدته، ويلغ به الحال أن صار يدعوني وأمه إلى النصرانية، ثم رغب إلى الأستاذ وهو مملوء حزناً وندماً أن يعالج قلب هذا الغلام، ويعرض عليه محاسن الإسلام لعله يزكى.

وقد عرف القراء اليوم نبأ ذلك القسيس الذي صدرت صحف هذا الشهر، شهر الصيام، طافحة بإنكار ما قاله وهو في درس يلقيه بإحدى هذه المدارس طعناً في الإسلام، ملأ فمه بالطعن في الدين القيم دون أن يحترم شعور بعض أبناء المسلمين الذين سيقوا إلى الجلوس بين يديه، وقد حملت الغيرة أحد الطلاب الذين لا تزال فيهم بقية من إيمان على أن أنكر قوله، وفضح أمره، وإن في ذلك لعبرة لقوم يؤمنون.

ونحن لا نكثر من الإنكار على ذلك القسيس، ولا على القائمين بشؤون هذه المدارس؛ فإنهم يقضون حاجة في نفوسهم، أو ينفذون خطة رسمت لهم، وإنما نوجه إنكارنا، بل موعظتنا إلى إخواننا المسلمين الذين يقذفون أبناءهم في بيئة لا يخرجون منها إلا وقد غشي نفوسهم ضلال، من فوقه ضلال، ومن فوقه لوثة أخلاق حقيرة: ظلمات بعضها فوق بعض، ولظلماتُ الآخرة أشد وأبقى.

*** مجلة الرابطة تزعم أنها لا تنصر دينا على دين[1]:**

تقول مجلة «الرابطة الشرقية»[2] في عددها الثالث: «وقد أخذت مجلتنا على نفسها بأن تكون لسان الشرقيين جميعاً، لا تفرق بين أديانهم وأجناسهم، ولا تنصر ديناً على دين».

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد الأول.

(٢) مجلة كانت تصدر بالقاهرة.

تقول هذا في الرد على الأستاذ السيد محمد رشيد رضا حين نصح لها أن لا تنشر المقالات ذات الدعايات المناوئة للإسلام، ولقد عرفت لجنة تحريرها أن الناس لا يرجون منها أن تنصر دين الإسلام على دين، وغاية ما يدعوها إليه عقلاء الأمة أن تسير في سبيل علمية أو أدبية أو اجتماعية، تحترس فيها من أن تمس عواطف الشعوب الإسلامية بأذى، وإذا كانت مجلة الرابطة التي يديرها شيخ مشايخ طرق الصوفية تزعم أنها لا تنصر ديناً على دين، فما بالها تبتدئ عملها بنشر أقوال الطاعنين في الإسلام من النصارى الأوربيين، ثم لا تستحي الأدب أن يراها تنشر مقالاً يكتبه بعض المخالفين في شأن مسيلمة الكذاب؛ كالموازنة بينه وبين أصدق الناس لهجة محمد بن عبدالله؟! وهل ضاقت على مجلة الرابطة مباحث الأوربيين العلمية والأدبية والاجتماعية بما رحبت، فرأت نفسها مضطرة إلى أن تملأ صحائفها بمثل هذه المقالات التي لا يخفى القصد من نشرها على القارئ النبيه؟!.

ونحن لا نستطيع أن نفهم كيف يجتمع التصوف وفتح الصدر للدعاية التي يقوم بها أمثال سلامة موسى بارتياح؟! نعم، نستطيع أن نفهم كيف يلتقي هذا وذاك في نفس واحدة، متى استطاعت مجلة الرابطة أن تقنعنا بفساد ما أجمع عليه العقلاء قاطبة من أن النقيضين لا يجتمعان بمكان.

*** النقد التحليلي لكتاب في «الأدب الجاهلي»[١]:**

كان الدكتور طه حسين وضع كتاباً سماه: «في الشعر الجاهلي»[٢]، وارتكب فيه من الخطأ في البحث، ومن مناوأة الإسلام ما دعا طائفة من حملة

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد الأول.

(٢) انظر كتاب: «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» للإمام.

الأقلام إلى نقده وتقويم عوجه، وكان الأستاذ المفضال محمد أحمد الغمراوي ممن نقدوا ذلك الكتاب بمقالات نشرت في جريدة «البلاغ»، وكان أهل العلم والفضل يقرؤونها بإعجاب، واقترح بعض أهل الفضل على الأستاذ الغمراوي جمعها، وإبرازها في كتاب، فلم يسترح لأن يجيب رغبتهم؛ نظراً لأن الكتاب المنقود قد حجز، وفي حجزه أمان من أن يخالط عقولاً فيكدرها، أو يساور نفوساً فيزيغها، ثم إن الدكتور طه حسين حذف من الكتاب المحجوز أجهل جمل نال فيها من الدين الحنيف، وأضاف إليه حديثاً من أوله، وحديثاً من آخره، وسماه: كتاب «في الأدب الجاهلي».

وعند هذا رأى الأستاذ الغمراوي أن تنبيه النشء لما يحمله هذا الكتاب من مزاعم وهمزات، إنقاذٌ لهم من أن يتخبطوا في غير علم، أو يسقطوا في غير هدى، فعاد إلى ما كان قد نشره في جريدة «البلاغ»، واتخذه نواة لنقد كتاب «في الأدب الجاهلي» الذي هو كتاب «في الشعر الجاهلي» روحاً وغاية وطريقة، فطعنه في صميم مباحثه، وأمتع القول في الكشف عن عيوبه.

تناول الأستاذ الغمراوي كتاب «في الأدب الجاهلي» من ناحية العلم والأدب والتاريخ، ثم من الناحية التي تمس الدين الحنيف، فرفع الطلاء عما احتواه من أغلاط، وأقام الشاهد بعد الشاهد على أنه وليد فكر تندفع به الأهواء في غير طريق.

فمن يقرأ كتاب «النقد التحليلي» يأخذه الإعجاب بما وهب الله صاحبه من سلامة الذوق، وأصالة الرأي، ولو أن كل شبابنا الذين يدرسون في البلاد الغربية، أو أكثرهم يعودون إلينا بمثل ما عاد به الأستاذ الغمراوي من علم موزون، وعقل راجح، ونفس مطمئنة، لكان لنهضتنا اليوم من القوة والاستحكام

ما يملأ النفوس أملاً، ويجعلنا من عهد الحياة الآمنة الزاهرة بمكان قريب.

والكتاب متوج بمقدمة محررة بقلم العلامة البليغ الأستاذ الأمير شكيب أرسلان، ولهذه المقدمة حظ عظيم من نقد كتاب «في الأدب الجاهلي» زيادة على ماعنيت به من النظر في كتاب «النقد التحليلي»، ووصفه وصف من قدره حق قدره، حتى قال: «وما لي وللتعليق على كتاب الغمراوي، واستقصاء ما فيه، وهو لم يترك في القوس منزع ظفر، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة من الموضوع إلا وفاها حقها من البحث بطريقة علمية اعتادها من مباحثه في الكيمياء وعلم الطبيعة، وتم فيها حظه بملكة عربية متناهية في البلاغة».

*** الأستاذ متفوخ[1]:**

لقيته في «برلين»، وهو أحد علمائها المستشرقين، وقد ترجم كتباً عربية إلى الألمانية، منها: كتاب «علاج العيون» لعمار الموصلي، وفصل: علاج العيون من كتاب علي بن عيسى في صناعة الطب، وفصل: علاج العيون لابن سينا، وكتاب «وقائع العرب» لأبي عبيدة بن المثنى الكبير والصغير، ونقل إلى الألمانية ترجمة حمزة الأصفهاني، وترجمة ابن سعد صاحب «الطبقات».

*** حول «خطاب مفتوح إلى حضرة محمد»[2]:**

تقصد مجلة «الفتح»[3] الغراء أن تقدم إلى المسلمين ـ كلما اقتضى الحال ـ أمثلة تجعلهم على بصيرة من الحركة التي يقوم بها في البلاد التركية أولئك النفر الذين يعملون على إطفاء نور الإسلام من ديارهم، ومن هذه الأمثلة: ما نشرته

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السادس من المجلد الأول.

(٢) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السادس من المجلد الأول.

(٣) مجلة كان يصدرها بالقاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب.

في عدد ١٣٥ ، وهو : «خطاب مفتوح إلى حضرة محمد» لقومندان أوغلو قاسم توفيق صاحب جريدة «كنج دو شونجه لر» ، وقد دل هذا الخطاب على ما بلغته تلك الحركة من الصفاقة والتلطخ برجس الزيغ والبهتان.

قومندان أوغلو قاسم توفيق أراد أن يؤذي المسلمين بأبلغ ما يستطيع أن يؤذي به رجل أمة ذات دين عزيز، وشريعة حكيمة، فنحت من صميم قلبه أفحش سباب، وقذف به حضرة رسول الله ﷺ، ولم يشف غليله أن يقول سفهاً، حتى أخرج سفهه في صورة خطاب مفتوح إلى حضرة الرسول الذي أخرج العالم من الظلمات إلى النور.

دخل قاسم توفيق سوق الطعن في الإسلام التي فتحها في البلاد التركية رهط لا يبصرون، وعرض من بضائع السباب أفضح ما يروج عند كبرائهم، وبقي يتمتع بهذا السباب، ويطلق فيه قلمه بضعة أشهر، وقلوبُ المسلمين تكاد تميز من الغيظ، حتى قبض عليه البوليس السري وهو يقدم خريطة حربية لدار سفارة أجنبية، ولهذه الجريمة سيق إلى السجن، ولكن مجلة تسمي الخروج على الإسلام إصلاحاً، عجلت إلى أن تخادع قراءها، فزعمت أن لسجن قومندان أوغلو قاسم توفيق صلة بالسباب الذي كان يتهجم به على الحضرة النبوية.

وإن تعجب من بغضاء قوم للدين الحنيف بلغت ما يمثله «خطاب مفتوح إلى حضرة محمد»، فاعجبْ لنفر لا يزالون يسمون أنفسهم المسلمين، يعتبون على صحيفة «الفتح» أن تذيع بين المسلمين حقائق ما يقوله أو يفعله أولئك الرهط من دلائل عدائهم للإسلام، واستماتتهم في محاربته.

ونحن لا نستطيع أن تتصور هؤلاء الذين يتخبطهم الغضب عند نشر

المكائد التي تدبر للإسلام، إلا أنهم قوم لا يكادون يفقهون قولاً، أو أنهم يفقهون، ولكنهم لا ينصحون للقوم المسلمين، وعلى أي حال كان أولئك المحاربون، وهؤلاء الأغبياء أو الخائنون، لابد لأرباب الأقلام الرشيدة من أن ينقذوا العالم الإسلامي من هذه الفتنة العمياء، ويحولوا بينه وبين عاقبة هي الخسران المبين.

*** افتتاح نادي جمعية الهداية الإسلامية[1]:**

أيها السادة! كنا نود أن لا نخطب أو نكتب إلا بحثاً في علم، أو حثاً على فضيلة، أو دعوة إلى إصلاح، وإنا لنكره أن نخوض فيما يمس الأمة من أمراض اجتماعية، أو فيما يبث بينها من زيغ وجحود، ولكنا نرى أنفسنا ملجئين إلى أن نصف حالتنا كما هي، وأن نذكر الحقائق كما يذكرها المؤرخ الذي يحرص على أن تكون نتائجه صادقة، وأحكامه في الأفراد أو الأمم عادلة، وإن الخطر لا يبلغ أن يكون كبيراً إلا أن يسكت عنه الناس يوم يظهر صغيراً.

فإذا عرَّجنا في خطبنا على عوج في الأخلاق، أو مرض في القلوب، فإنما نقصد إلى السلامة من العوج، والحماية من المرض، ولا تنهض الأمة من كبوتها إلا أن تفتح صدرها لرجال ينقذونها على نصح، ويلفتون نظرها

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الأول. انتقلت إدارة جمعية الهداية إلى دار جديدة في شارع سوق السلاح بالقاهرة، واتخذت فيها نادياً لإلقاء المحاضرات، وأقامت لهذه المناسبة في يوم الخميس ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ الموافق ٢٥ أبريل «نيسان» سنة ١٩٢٩م حفلة ألقيت فيها خطب وقصائد تحوم على الغرض الذي أنشئت له الجمعية. وقد حضر هذه الحفلة جمع عظيم من العلماء والفضلاء، وطلاب العلم بالمعاهد والمدارس. وألقى الإمام بصفته رئيس جمعية الهداية الإسلامية هذه الكلمة.

إلى ما يلقى في سبيلها من رجس وفساد.

أيها السادة! ما من أحد في الشرق إلا يشعر بحاجتنا إلى أن ننهض كما تنهض الأمم المستقلة بتدبير شؤونها، نتحد في هذا الشعور، والذي يمكن أن تختلف فيه الأفراد أو الجماعات منا، إنما هو الوسائل التي نسلكها إلى مسابقة تلك الأمم الناهضة، بل إلى لحاقها؛ لأنها تقدمت علينا أشواطاً واسعة المدى.

لا بأس في اختلاف الآراء النابتة في نفوس يعمرها الإخلاص، فإن الباحثين المخلصين لا يختلفون اختلافاً بعيداً، ولا يصرون على رأي شهدت الحجة على أنه غير سديد، وإنما البأس في آراء أو نزعات تقوم على أهواء، فهذه هي التي تطيش في عمى، وتنبذ إلى الأحلام الراجحة على سواء، وهذه هي التي تبعد بين الجماعات، فيتفرقون إلى غير ملتقى.

في العالم الإسلامي اليوم دعايتان بينهما من الاختلاف مثل ما بين بياض النهار وسواد الدجى:

دعاية تقوم على ما أرشد إليه الإسلام من حكمة وفضيلة ونظام، وحجةُ القائمين بهذه الدعاية ـ وهم المسلمون بحق ـ: أن الإسلام لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من وسائل السعادة والعظمة إلا أرشد إليها، أو نبه على مكانها.

وقد حدثت بجانب هذه الدعاية الرشيدة دعاية تقصد إلى صرف القلوب عن الهدى، وتسعى إلى أن تفتح في وجوه فتياننا وفتياتنا طرق المجون والخلاعة، والشبهةُ التي ينصبها القائمون بهذه الدعاية لاصطياد النفوس الغافلة، هي: أن هذه الأمم الباسطة سلطانها على كثير من أوطاننا، لا تتقلد الإسلام ديناً، ولا تبالي أن تذهب في الخلاعة واتباع الشهوات أينما تشاء.

يقولون هذا بأفواههم، كأنهم لا يعقلون أن تلك الأمم القوية إنما تسيطر

علينا بما تملك من القوة المادية، وبما تحوطها به من نحو الصبر وقوة الأمل، أما الجحود وإطلاق العنان في الشهوات، فوصمة في عرض الإنسانية، وعلة لا تشيع في جماعة إلا انقلبت خطواتهم إلى وراء، ولو أن أمة ملكت من القوة المادية مثل ما يملك هؤلاء، ثم استقامت على طريقة الرشد والعفاف، لكان لها من القوة المعنوية ما يجعلها أرجح وزناً، وأشد بأساً، وأرفع لواء، وأعز جانباً.

كنا نشعر بدعاية الجحود والخلاعة، ونسمع لها صوتاً ضئيلاً، ونلمح لها أثراً حقيراً، حتى انطلقت الحرب العامة من عقالها، وفعلت في الحالة النفسية فعلتها، فإذا بعض النفوس التي كانت تغتبط بهدايتها وطهارة سرائرها، أصبحت تباهي بجحودها، وتنحط في أهوائها، وإذا بعض الأقلام التي كانت تدعو إلى خير وإصلاح، أخذت تنزع إلى شر، وتنادي إلى خسار، وإذا بعض من شأنهم أن يكونوا أنصاراً للحق والفضيلة، يتحيزون إلى دعاة الجحود والإباحية، ويضاهونهم في الكيد للدين القيم، ولكن من تحت ستار.

ساعد هذه الدعاية على أن تبلغ ما بلغت، وتفسد من نفوس شبابنا ما أفسدت: أنها تتصل بطوائف من المخالفين، يحرصون على أن لا يبقى لشريعة الإسلام عين ولا أثر، أفلا تنظرون إلى زعمائها كيف يتملقون حلفاءهم، فيلتقطون سيئات العرب وغيرهم من رجال الإسلام بسمِّ الخياط، ويعمدون إلى مباهتة التاريخ، فيجعلون الفضل في كل صالحة إلى غير القوم المسلمين؟!.

أن يسمعوا سُبَّة طاروا بها فرحاً   مني وما سمعوا من صالح دفنوا

عرف فريق من نبهاء المسلمين أن هذه الدعاية لا تستند إلى رجاحة في الفكر، أو رسوخ في العلم؛ فإن زعماءها يبحثون فيخلطون، وينطقون فلا

يصيبون، ولولا مظاهر يأخذون بها أعين الغافلين من الناس، لذهبت مساعيهم كالنقش على الماء عبثاً.

عرف هؤلاء النبهاء منشأ هذه الدعاية، وعرفوا الأيدي التي تشد أزرها، وتنفق عليها بسخاء، وعرفوا أنها تقوم على بهرج من القول، فلم يروا من الصعب عليهم أن يقعدوا لها كل مرصد، ويطاردوها بما استطاعوا من قوة، وما القوة إلا الرمي بالحجة والموعظة، فقاموا يؤلفون الجمعيات، وينشئون الصحف، ويفتحون النوادي، وقد ظهر لهذه المساعي النبيلة ـ بحمد الله ـ أثر عظيم.

وعلى هذا النحو تنهض جماعة من أهل العلم إلى إنشاء جمعية إسلامية علمية أدبية فأنشؤوها، ولقبوها: «الهداية الإسلامية».

فالغرض الأسمى لهذه الجمعية: حماية أبناء المسلمين وإنقاذهم من حفرة تلك الدعاية الغاوية.

فشأن هذه الجمعية أن تعرض حقائق الدين الحنيف، وحكمة تشريعه في صورها الخالصة النقية، وشأنها أن تبحث في تاريخ رجال الإسلام من العرب وغير العرب، تنبه على ما كان لهم من عبقرية في العلم، أو فضل في البيان، أو شرف في الأخلاق، أو رشد في السياسة.

ولا تضل أمة وقفت على حكمة شريعتها، ودرست تاريخ الأعلام من رجالها.

قال محمد بن إسحاق المعروف بأبي العباس: أدركت شيوخ الحي وهم يحضروننا ناديهم ونحن صبيان نسمع ما يتذاكرونه، وكانوا يفتتحون الكلام ويختتمونه بإنشاد هذا البيت:

قد يعلم الناس أنا من خيارهم ... في الدين ديناً وفي أحسابهم حسبا

تعمل هذه الجمعية على إصلاح الأخلاق، ولاسيما خلق كالمداجاة والملق يكون لها في ظهور الباطل على الحق أثر شديد، وقد علَّمنا التاريخ والمشاهدة أن لا خير في نفوس تلقي بمودتها وتملقها إلى من يقطعون سبيل الرشد ويبغونها عوجاً، ويعجبني قول الشاعر الحماسي:

ولست وإن قربت يوماً ببائع خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبُّبِ

تحرص هذه الجمعية على أن ترى في العالم الإسلامي رجالاً بارزين تسمو هممهم، ويجدُّ جدُّهم حتى يتركوا في الدنيا دوياً يمثل قول ابن الحسين:

وتركك في الدنيا دويّاً كأنما تداولَ سمعَ المرء أنمله العشر

دويٌّ، ولكنه يتفجر من نفوسٍ طينتها الإخلاص، وغذاؤها إيثار الشرف الخالد على زهرة هذه الحياة، دويّ، ولكن يتموج فيه صوت الحق، فلا يسع الباطل إلا أن يخر له صعقاً زاهقاً.

ومن علل الضعف الذي دخل في الإسلام: تلكم الاختلافات التي كان مبدؤها اختلافاً في الرأي، ثم صار إلى اختلاف في القلوب، وإذا اختلفت القلوب، فلا شيء سوى التخاذل والتنازع، وإذا تخاذلت الأمة وتنازعت، فإنما هو الفشل، وإنما هي الدائرة التي يتربصها خصومها ليقضوا من سيطرتهم عليها وطراً.

ولهذا أزمعت جمعية الهداية أن تعمل على رفع التجافي بين الفرق الإسلامية، ولعلها تستطيع بتأبيد الله، وبوسيلة مجلتها الضاربة في الشرق يميناً وشمالاً، أن تضع مكان التجافي ألفة وسلاماً، وإذا عزَّ على زعماء هذه الفرق الوصول إلى تقليل مواقع الاختلاف في الآراء، فلا يعز عليهم أن يخففوا وقعه

في القلوب، ويكفوه عن أن يشيع فيها فاحشة التقاطع، والقصد إلى الأذى.

يبدو لنا أن تلك الدعاية التي تأكل الطمأنينة والهمم الخطيرة من نفوس أبنائنا، لم يتيسر لها أن تبلغ ما بلغت إلا بالتفرق الضارب بين علماء الإسلام، فإن من أهل العلم من لا يشعر بهذه الفتنة كما هي، ومنهم من يشعر بها وبسوء مغبتها، ويدري من أين تثور عاصفتها، ولكن تعظم في عينه حتى يأخذه اليأس من أن توجد قوة تطعن في مقاتلها.

نظر القائمون على جمعية الهداية إلى هذه العلة: علةِ تفرق أهل العلمِ، فوضعوا في منهج الجمعية أن تعمل على تعارف العلماء المستنيرين أينما كانوا، حتى يكونوا على بينة من أمر هذه الدعاية، وينهضوا لإطفائها من حول فتياننا وفتياتنا قبل أن يصلَوها وهم لا يعقلون.

لا يهولنا خطب هذه الدعاية النزقة، ولا يخالط أوهامنا أن أمرها قد نفذ، وأنها أصبحت الروح المتفشي في البلاد، فإننا نخاطب الفطر السليمة، والعقول النابهة، وإنما نخاطبها بالحجة. وما وقعت الحجة إلى فطرة سليمة، أو إلى عقل نابهٍ إلا كانت الهداية ثالثهما.

ولقد قام محمد ـ صلوات الله عليه ـ، والروح السائدة في البلاد جحود وخلاعة، فجاهد بما أوتي من حكمة، فقلب الجحود إلى طمأنينة، والخلاعة إلى وقار وعفاف، ولم يقف أمام حكمته ما يملكه خصومه من ألفاظ وأساليب، ولا ما يملكونه من ثراء وزعامة. وهذا ما يملكه أعداء شريعته السمحة في هذا اليوم، فإن أومؤوا إلى الفلسفة، أو تفيقهوا باسم الفلسفة، قلنا: الصادق من نظراتها يخدم القرآن، وسفسافُها لا يلقي الشبهة في كلام البشر، فضلاً عن أن يعترض حكمة علام الغيوب.

وإذا قام اليوم نفر يريدون القضاء على اللغة العربية الفصحى، ويدعوننا إلى أن تتفرق شيعاً، ويزخرفون القول في أن يستعمل كل شعب أو وطن لغته الدارجة، فإن هذه الجمعية ستظل ثابتة على الدفاع عن هذه اللغة العامرة السامية، واضعة يدها في أيدي من يعملون لإعلاء شأنها، وبسط سلطانها على الشعوب الشرقية قاطبة.

تسير هذه الجمعية على حكمة نطق بها أبو العباس المبرّد إذ يقول:

ليس لقدم العهد يفضل القائل، ولا لحدثانه يهتضم المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق.

فهذه الجمعية أكيسُ من أن تتمسك بالقديم على أي حال، أو تنبذ الجديد كيفما كان، بل شأنها أن تحترم الصالح، وإن كان ابن يوم أو ليلة، ولا تعبأ بغير الصالح، وإن بلغ من الكبر عتياً.

فلا نقيم لقدم الزمن ولا لحداثته وزناً:

ألا إنما الأيام أبناء واحد   وهذي الليالي كلها أخواتُ

وإنما نعتمد على أصول العلم الصحيح، وما تقضي به العقول البريئة من الأهواء.

أخذت هذه الجمعية على نفسها أن لا تتعرض لشؤون السياسة؛ فإن الجمعيات التي تحوم على السياسة قد تقصر أعمارها، أو لا تستقر على مبادئها، ونحن نبغي لهذه الجمعية عمراً طويلاً، وجولة واسعة، وخطة قيمة راسية.

أيها السادة! هذه مقاصد جمعيتنا الناهضة نعرضها على حضراتكم في وجه من الإيجاز، وقد أخذنا نعمل لتحقيقها في قرارة جأش، وحرية ضمير، وصراحة في القول، وإنا إن شاء الله لمهتدون.

* تروتسكي «يعتنق الإسلام في بيئة تجهل على الإسلام»[1]:

نقلت الصحف خبر اعتناق تروتسكي الزعيم البولشفي للإسلام، وهو منفي في تركيا، وجاء في حديث إسلامه: «أنه على أثر شفائه من مرضه في الآستانة، دعا مفتي الآستانة، فأجاب دعوته، وشهد اجتماعهما مندوب جريدة «وقت» التركية، فقال تروتسكي: كنت يهودياً، غير أن مبادئي لم ترق لبعض الحاخامين، فحرموني من ديانتي، ولكني لم أعر حرماني هذا اهتماماً كثيراً؛ لأن مبادئ الدين الإسرائيلي لم تكن لتروقني، فلم أحتجّ، ولم أعارض.

وأما الآن، وأنا أتقدم في السن، فإني أشعر كغيري من الناس بأني في حاجة إلى إيمان ودين سماوي، ففكرت في وقت ما أن أصبح مسيحياً، غير أني عدلت عن ذلك؛ لكرهي اعتناق دين القياصرة المستبدين، وراسبوتين الراهب الشرير، فلم يبق أمامي غير الدين الإسلامي الذي دققت في البحث في شرائعه، فوجدت فيه مزايا حسنة، منها: أنه يحض على المناقشة والمباحثة في أصوله، ولذا سأعتنق الإسلام. وسيتناول فضيلة المفتي العشاء معي، ثم يبدأ بتلقيني الشرائع الإسلامية»[2].

مجلة «الهداية الإسلامية»: يحدثنا تروتسكي أنه اعتنق الإسلام بعد أن دقق البحث في حقائق شريعته الغراء، ومن نظر إلى أن تروتسكي نشأ في منبت غير إسلامي، وأشرب مذهباً ذا مبادئ لا تلائم طبيعة الدين الحنيف، ثم وقع في بيئة أخذ مترفوها يفسقون عن الإسلام علانية، وثق بأن مثل تروتسكي إنما يسلم على سلطان من الحجة مبين.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الأول.

(٢) جريدة «الأهرام» عدد ١٩ أبريل (نيسان) سنة ١٩٢٩.

ولا عجب أن يهتدي تروتسكي للإسلام، ويزيغ عنه نفر ترددوا على معاهد شريعته بضع سنين؛ فإن هؤلاء النفر لم ينظروا في حقائقه نظر الباحث النبيه، وما كانت تعاليمه إلا كالصور تقع على ظاهر قلوبهم دون أن تخالط سرائرها، فما هم من أولئك الذين يتجافون عنه بجهالة مطلقة ببعيد.

ولنا الأمل في أن تصلح طرق التأليف والتعليم، فيسهل على كل ناشئ يدرس حقائق الشريعة أن يصل إلى لبابها، وينفذ إلى بالغ حكمتها.

ولو عني القائمون على شؤون الدين بترجمة محفوفة بالاستدلال وبيان الحكمة، لأصبح عدد المعتنقين للإسلام من أمثال تروتسكي غير قليل.

*** حول نقل الكتب العربية إلى الألمانية[1]:**

لقيت في «برلين» شاباً مستشرقاً يقال له: «ريشه»، وكان يقيم في الآستانة، وله اختصاص الأستاذ الشيخ إسماعيل حافظ أمين مكتبة بايزيد.

نقل هذا الشاب من العربية إلى الألمانية قصائد أبي الأسود الدؤلي، «ومقامات الهمذاني»، و«أطباق الذهب» لعبد المؤمن الأصفهاني، و«مقامات الزمخشري»، و«الأدب الصغير» لابن المقفع، وكتاب «أحسن ما سمعت» للثعالبي، وهذا ما ترجمه وتم طبعه، واخبرني أنه ترجم «الأدب الكبير» لابن المقفع، ومقدار الربع من «فتوح البلدان» للبلاذري، وربما طبع الكتاب أو الرسالة كما هي، وعلق عليها بعض بيانات باللسان الألماني، مثل: «شرح ابن الأنباري لمعلقة زهير»، و«شرحه لمعلقة عنترة»، ورسالة «المذكر والمؤنث» لابن جني، ورسالة «بقايا الأشياء» لأبي هلال العسكري.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الأول.

* **للتاريخ[1] :**

تلقى مدير هذه المجلة من أستاذ علامة كبير في رباط الفتح رسالة خاصة، دلت على غزارة علمه، وسعة اطلاعه في التاريخ، وعلو مكانته في الأدب، فنقتبس منها ما يأتي خدمة للتاريخ :

«منذ برهة اجتمعت بحاضرتنا بالشيخ القاصر الصدام «أحد مدرسي جامع الزيتونة»، فكانت مجالس أنس، ومسامرات علم، ومحاضرات أدب، وكان أول ما جرى من الأحاديث مما يتعلق بكم، فاستعبر وبكى على فراقكم. . . وأجبته تسلية له : بأن القاهرة المعزية هي كرسي الإسلام وإيوانه كما يقول ولي الدين الحضرمي، والتاريخ يعيد نفسه، ولذلك تجبى إليها ثمرات كل شيء، وليست هذه الأولى من نوعها، وذكرته بعهد أسد بن الفرات، وسحنون، ورحلتهما للعلم والغنم، والتدوين والتمدين، وعهد ابن خلدن، ثم «بيرم» القريب العهد.

وعلى العكس من ذلك همّ الحافظ زين الدين العراقي بالرحلة لسماع «الموطأ»؛ لعلو خطيب «الزيتونة» بها، فلم يتفق له كما في «طبقات ابن فهد المكي».

على أن فضل «الخضراء[2]» غير قاصر من هذه الناحية على جارتها الشرقية، بل سرى حتى إلى جارتها الغربية، وليس ببعيد ما عقده في العهد السليماني شيخ الإسلام الرياحي تلميذ الشيخ إسماعيل التميمي مع الهيئة العلمية بالمغرب من أواصر الإخاء والصفاء، مما زاد في مفاخر الخضراء. .

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثاني عشر من المجلد الأول.

(٢) من أسماء تونس.

على أن ذلك غير قاصر على الأعيان، بل شامل حتى للبنيان.

وما زلت أسمع أن الملو ... ك تبني على قدِّ خطاها

فإن الجامع الأزهر بمصر إنما بناه القائد جوهر القادم من تونس يوم السبت ٢٤ جمادي الأولى سنة ٣٥٩ كما هو مشهور... وإن جامع القرويين بفاس إنما بنته القانتة أم البنين السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني يوم السبت فاتح رمضان سنة ٢٤٥ لما قدمت مع أبيها وإخوتها في وفد القيروان على مولانا إدريس باني فاس نجلِ الفاتح العظيم.

فاستحسن ما ذكرته في «القرويين»، واستغربه، فأحلته إلى صحف التاريخ المغربي؛ كالقرطاس وغيره، وإنه من الحقائق المقررة في الحقائب، فحاول أن يجعل ذلك من الإنصاف، فقاومت بأن «حقائق الأشياء ثابتة»، وأن العلم رحم بين أهله، وأن الإسلام لا وطنية له، وإنما المؤمنون إخوة».

هذا ما كتبه فضيلة ذلك الأستاذ، وهو أحد أفاضل علماء المغرب الأقصى، ونحن لا ننسى ما للجامع الأزهر بالقاهرة، ولجامع القرويين بفاس من الأثر الكبير في نهضة العلم بجامع الزيتونة؛ فإن الكتب التي تدرس بجامع الزيتونة أغلبها من مؤلفات الأزهر، أو علماء المغرب الأقصى، ولتعاليم الجامع الأزهر، وتعاليم جامع القرويين أثر عظيم في الثقافة الزيتونية، ولا ننسى بعد هذا طائفة من علماء فاس قدموا إلى تونس، واتخذوها دار إقامة، وتلقى عنهم التونسيون من العلوم ما لم يكونوا يعلمون؛ مثل: الشيخ محمد الفاسي المتوفى سنة ١٢٣٢، وأذكر الآن أن أحد الفضلاء من علماء مصر، وهو أبو المكارم هبة الله ابن الحسن المصري، رحل من مصر إلى الأندلس، وولي القضاء بإشبيلية، وانتقل إلى المغرب، وولي القضاء بفاس، ثم استصحبه السلطان يعقوب

المنصور إلى تونس، وولاه قضاءها، واستمر قاضياً بها إلى أن توفي سنة ست وثمانين وخمس مئة، وكذلك كانت البلاد الإسلامية ولا تزال في نظر الذين أوتوا الحكمة وطناً واحداً.

*** فاتحة السنة الثانية[1]:**

أيها السادة! تشعر الأمة بعلل ضعفها، فتلجأ إلى الدواء الناجع، ودواءُ ضعف الأمم: التربية النقية، والعلم الموزون، وإذا ظفرت الأمة من التربية المهذبة بأمنيتها، وملأت من العلم النافع يدها، تقاربت عقولها، وتشابهت قلوبها، وإذا تقاربت الآراء، وتشابهت الهمم، فما هو إلا الوفاق والاتحاد، وبرابطة الاتحاد تبلغ الأمة أشدها، وتملك وسائل نجاتها، والأمة القوية باتحادها، المالكة لوسائل نجاتها، تتراءى لها الغاية الشريفة، فلا تتمالك أن تسعى لها سعيها، ولا ترضى إلا أن تقف عندها:

شعورٌ فعلمٌ فاتحادٌ فقوةٌ فعزمٌ فإقدامٌ فإحرازُ آمالِ

بمثل ذلك كانت الأمة الإسلامية في عزة ضافية، وسلطان مكين، أدركت الأمة ذلك المقام المحمود يوم أخرج الإسلام رجالاً استنارت عقولهم، وخلصت ضمائرهم، فأفاضوا على العالم حكمة ورشداً وإصلاحاً، ويوم كانت معاهدنا العلمية طافحة برجال لا يرضون من العلم إلا باللباب، ولا من المعالي إلا بالسنام، ولا يهابون الرئيس إلا أن يكون تقياً.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الثاني. احتفلت جمعية الهداية الإسلامية بمناسبة مرور سنة على صدور مجلتها في مساء يوم الجمعة ٢٩ جمادى الأول سنة ١٣٤٨ الموافق أول نوفمبر «تشرين الثاني» ١٩٢٩، وألقى الإمام هذه الكلمة.

أعقمت المعاهد إلا نزراً، ونضب معين العلم إلا ثمداً، أخلدت النفوس إلى الأهواء، تفرقت الأمة أيدي سبا، تداعى بناء تلك العزة، تقلص ظل ذلك السلطان، وإذا العاقبة ما ترون بأعينكم، أو تسمعون بآذانكم.

لا أريد أن أتناول في هذا المقام ما يمس جماعتنا من مرض في الأخلاق، ولا ما تقاسيه بعض الشعوب من عسف وإرهاق، وشأني في هذا المقام أن ألفت أنظاركم إلى نزعة لو خلي سبيلها، وألقي حبلها على غاربها، لمزقت الأمة شر ممزق، ولبسطت بها في خسر دائم وشقاء بعيد.

ثلة من المخالفين، وثلة ممن نشؤوا في بيوت المسلمين، تشابهت قلوبهم، وتواطأت آراؤهم على أن يقعدوا للحق في كل مرصد، ويطعنوه في كل مقتل، يعملون على هذا القصد في بعض الصحف، في بعض المؤلفات، في نوادي بعض الجمعيات، بل أخذ الزيغ بمجامع قلوبهم، فلم يبالوا أن يقذفوه في نفوس طلاب العلم، وقد جلسوا إليهم في فطر صافية، وأذهان خالية.

ومما نقضي له أشد الأسف: أن يتخذوا في بعض المعاهد الإسلامية أصابع يومئون بها إلى ما ابتغوا من إباحة منكر، أو استبدال جحود بإيمان.

تخيل القائمون بهذه الدعاية الزائفة أن أولياء الحق في موتة فلا ينتبهون، أو أنهم في رهبة من رؤوس الضلال فلا يكافحون، فهاجموا الدين الحنيف من نواحي شتى، وأوشكت سهامهم ـ لولا وقاية الله ـ أن تنفذ في قلوب النشء، فيرتدوا على أعقابهم خاسرين.

من مظاهر هذه الوقاية: أن كان في نشئنا فطر سليمة تدرك شر ما يوسوس به أولئك المنحرفون عن السبيل، وإن خرجوا في زي المرشد رياء، أو صاغوا دعايتهم زخرف القول غروراً. وقد رأينا بعض المتخرجين في المدارس التي

لا يعنى فيها بدرس شيء من علوم الدين، يقفون أمام من يحاول إغواءهم موقف المزدري بأقوالهم، الضارب بها في وجوههم، وما هي إلا الألمعية المهذبة، أو ما يتلقى في البيت من تربية ناصحة، وأدب حكيم.

وإذا نحن بحثنا عن نشأة هذه الجمعيات التي نهضت لتحول بين دعاة الجحود والإباحية وما يشتهون، نجد أكثر الداعين إلى تأسيسها، والقائمين بعبء ثقيل من أعمالها، هم الشبان الذين سمعوا أو قرؤوا ما يقوله أولئك المجرمون، فعرفوا أن أشرف جهاد في هذه الحياة العمل على إنقاذ الأمة من بلاء يثيره حولها قوم لا يهتدون.

توفق فريق من الشيوخ والشبان إلى أن يدافعوا هؤلاء المنكرين بمثل سلاحهم الذين يحاربون، فألفوا الجمعيات كما ألفوا، وفتحوا النوادي كما فتحوا، وأنشؤوا الصحف كما أنشؤوا، وقد أخذوا من هذه الوسائل بما استطاعوا، فوجدوا لها في إزاحة الشر ودفع الخطر أثراً مشهوداً.

وهذه جمعية الهداية الاسلامية أنشئت، وليس لديها من وسائل الجهاد إلا الثقة بأن الله مع الذين يصلحون ولا يفسدون.

افتتحت الجمعية أعمالها بمحاضرات تلقى لإرشاد الجمهور في مساجد القاهرة وغيرها من القرى، ومحاضرات تلقى عن طريقة البحث العلمي في بعض النوادي الأدبية.

وأخذ مجلس الإدارة مع هذا يسعى لإنشاء مجلة تعمل لتحقيق مبادئ الجمعية.

ظهرت المجلة، ولم نستطع بالنظر إلى مقدار ما تيسر من الوسائل المادية أن نصدرها في مظهر أكبر مما صدرت، وأقدمنا على إظهارها حسب الميسور؛

رجاء أن تكون من المشروعات التي تبدو صغيرة، ثم لا تزال تنمو حتى يتسع نطاقها، ويعظم في الناس أثرها.

سارت المجلة في خطتها المرسومة على نظر وبصيرة، فنالت في البلاد الإسلامية حظوة، ولقيها أهل العلم في كل قطر بأحسن قبول.

خطة المجلة: تتناول الخطة المرسومة للمجلة نواحي متعددة: قد تمكنا في السنة الماضية من التحرير في بعضها، وسنمضي - بتأييد الله تعالى - في هذه الخطة، ونأتي على كل ناحيـة منها كلما مسـت الحاجـة إلى شيء من موضوعاتها.

تبحث المجلة في حقائق الإسلام، وفي كل إصلاح تتناوله أصول الشريعة الغراء، مع اجتناب الآراء المخالفة لما أجمع عليه الأئمة المجتهدون، والابتعاد عن الجمود الذي لا يليق بسماحة الدين الحنيف.

تبحث عن حكمة التشـريع الإسـلامي؛ لتري قراءها أن الإسلام يرفع أولياءه بحق إلى أرقى ما يرام من السعادة في الحياة الأولى قبل الآخرة.

تتصدى لدفع ما يلقى حول الدين من شبه، أو يوجه إليه من مطاعن، وتكشف اللثام عن الضلالة التي تجيء باسم التجديد مرة، واسم حرية الفكر مرة أخرى.

تبحث عما يفعله الناس على أنه من الدين، وما هو من الدين في شيء، تتعرض لتراجم عظماء الرجال، ولاسيما من كان لهم في حياة المسلمين العلمية أو السياسية أو الاجتماعية أثر جليل.

تبحث في الأخلاق والعادات من حيث حسنها، فتحث على التمسك بها، أو من حيث قبحها، فتنصح بتحاميها والإقلاع عنها.

تبحث عما يجري في المعاهد العلمية من أطوار التربية وأساليب التعليم؛ لتتناولها بالنقد، وتميز مساوئها من محاسنها.

ينشر فيها ما يقضي الحال نشره من المباحث العائدة إلى علوم اللغة العربية وآدابها.

وهي ـ بعد هذا ـ تعد صفحاتها لكل مقال يبحث عن شيء من أسرار الكون، أو ما وصل إليه العلم من نظريات ومبتكرات.

هذا هو المنهج الذي تتوخاه المجلة فيما يستقبل من الأيام، وإنا ـ إن شاء الله ـ لمهتدون.

*** ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية[1]:**

ترجم القرآن المستشرق «ركرت» المتوفى في أواسط المئة الماضية، ولكنه توفي قبل أن يتم ترجمته. ثم ترجمه المستشرق «هنينك»، وكان في أيام الحرب الكبرى يعيش في «فرنكفورت». إلا أن «ركرت» كان يراعي في الترجمة بلاغة اللسان الألماني، فيتصرف في الترجمة بنحو التقديم والتأخير، والتعبير بالحقيقة مرة، والمجاز أخرى، وأما «هنينك»، فكان يقصد إلى أن يترجم القرآن ترجمة حرفية، فيحافظ على ترتيب الآية، ويتحرى في الترجمة أداء المعنى الأصلي جهد استطاعته.

وهناك ترجمة أخرى للقرآن لا أذكر صاحبها، وأخبرني بعض من اطلع عليها أنها مملوءة بالخطأ والتحريف، وأخبرني الأستاذ «هردر» أن إحدى الجمعيات راسلته تقترح عليه أن يترجم لهم آيات من سور متفرقة من القرآن،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الثاني.

فاقتبس لهم مما ترجمه المستشرق «ركرت» آيات كثيرة في التوحيد والأخلاق والأحكام، وطبعوها مجموعة وصارت منتشرة بينهم انتشار التراجم الأخرى.

*** قسم التخصص بالأزهر الشريف[1]:**

الغرض من إنشاء هذا القسم: إخراج علماء واسعي الاطلاع، راسخي الفهم فيما أقبلوا على التخصص فيه من العلوم، وهو من أعظم المفاخر التي امتازت بها مصر عن بقية الممالك الإسلامية في هذا العصر، فنحن ننظر إلى هذا القسم كأنه مطلع حياة علمية إسلامية راقية، ولا نعد أنفسنا مبالغين إذا قلنا: إنه يراد من إنشاء هذا القسم: إخراج علماء بالتفسير؛ كالقاضي البيضاوي، ومحدثين؛ كالحافظ ابن حجر، وفقهاء؛ كالقفال في الشافعية، أو الكمال بن الهمام في الحنفية، أو أبي بكر الأبهري في المالكية، أو ابن قدامة في الحنابلة، أو إخراج نظار في الأصول؛ كابن إسحاق الشاطبي، وفلاسفة بلاغة؛ كعبد القاهر الجرجاني، وفلاسفة أخلاق؛ كأبي حامد الغزالي، وأدباء؛ كالجاحظ، وفلاسفة تاريخ؛ كابن خلدون.

ولست من المتشائمين الذين يذهبون إلى أن قسم التخصص أبخل من أن تنبت فيه هذه العلوم نباتاً فائقاً، أو أن هذا الزمن أقصر يداً من أن يخرج لنا أمثال أولئك الأعلام النبغاء، بل أجدني على ثقة من أن هذه المعاهد الإسلامية تحتوي كنوزاً من العلم قيمة، وليس بينها وبين أن تتدفق برجال يبهرون العيون علماً وجلالة، إلا أن تأخذ من إصلاح التعليم حظها، ويكون لأبنائها في نظر أولي الأمر مقام كريم.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثاني من المجلد الثاني.

* **خطب عظيم**[١]:

في الساعة الرابعة من صبيحة يوم السبت ٢٧ ذي القعدة من هذا العام[٢]، فجع العلم والدين والفضيلة بوفاة رجل قلما رأت العين مثله، ذلك هو صاحب السعادة العلامة الكبير أحمد تيمور باشا.

فاجعة قطعت الأكباد حزناً، وأخذت الألباب ذهولاً، فما لي على أن أصف هذا العبقري بما يوفي حقه اليوم من قوة، وما مثلنا ـ وقد بلينا بفقده ـ إلا المدلجون يطلع عليهم القمر ساطعاً، فيستبينون به أعلام الطريق رشداً، حتى إذا ازدهتهم طلعته، وتدفقت حولهم أشعته، توارى بالحجاب، فإذا هم مظلمون.

استأثرت المنون بأحمد تيمور، فخسرت مصر، بل خسر الشرق والغرب عالماً نحريراً، وباحثاً مدققاً، ومثالاً أعلى للخلق الجميل، والأدب الأصيل، تواضع في شمم، وغيرة على الحق لا تكفكفها رغبة في مدح، أو حذر من ذم، ينفق في سبيل الخير، وهو يكره أن تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وإذا اغتبط أهل الدنيا يساراً ووجاهة أو منصباً، فأحمد تيمور لا يرى فخراً في غير علمه ودينه وقوة يقينه.

قام طلاب العلم يدعون لإنشاء جمعية الهداية الإسلامية، وشد أزرهم في هذه النهضة كثير من كبار أهل العلم، ولما أنس فيها الفقيد ـ رحمه الله ـ عزماً ورشداً، أخذ يؤازرها، ويمدها بما يوطد أملها، ويزيدها نشاطاً على

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الثاني. انظر كتاب: «تراجم الرجال» للإمام، ففيه بحث قيم عن العلامة أحمد تيمور باشا ـ رحمه الله ـ.

(٢) عام ١٣٤٨هـ.

نشاطها، حتى جرى انتخابه عضواً في مجلس إدارتها، فتلقى هذا الانتخاب بارتياح، وجعل يسعى في تقدم الجمعية بما لديه من استطاعة حتى يكون لها في خدمة الإسلام واللغة العربية العمل الجليل، وله بعد هذا في كل جمعية أدبية أو خيرية عارفة.

أكتب هذه الكلمات والأسـى يملأ ما بين الجوانـح، والقلم من هول مصابه جامح، وسنقضي حق البسط في مزايا الفقيد بحفلة تأبينه التي أزمعت جمعية الهداية الإسلامية على إقامتها في أجل قريب، رحمك الله أيها الهمام المفضال، وطيَّبَ ثرى تربتك، وقيَّض للعلم والفضيلة والتقوى من يقتدي فيها على أثرك.

*** فاتحة السنة الثالثة[1]:**

الحمد لله الذي جمع على الجهاد في سبيله كلمتنا، ووفق أولي الهمم الكريمة وأنصار الإصلاح لمؤازرتنا، والصلاة والسـلام على سيدنا محمد المبعوث بأحكم كتاب، والداعي إلى أفضل السنن وأشرف الآداب، وعلى آله النبلاء، وصحبه الأجلاء.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلـة حوليـن كامليـن في العمل لمثل ما يعمل له المصلحون، وقد لقيت في سبيلها عقبات فاقتحمتها، ووقعت في أزمات فما زالت تعالجها حتى خرجت منها ـ بتأييد الله تعالى ـ قوية الساعد، محمودة الأثر.

ولا ننسى أن نذكر بجميل الشكر أول من مدَّ يده إلى هذه المجلة بمعونة

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الثالث.

ذات بال، وهو فضيلة الزعيم السوري الكبير الأستاذ الشيخ محمد كامل القصاب، ونذكر ـ والحزن يساور أفئدتنا ـ فقيد العلم والدين العلامة الكبير الأستاذ المرحوم أحمد تيمور باشا، وما كان له من يد في حياة هذه المجلة بيضاء، بل كان له الأثر العظيم في نهوض الجمعية واتساع نطاقها، ونقدم خالص الشكر بعد هذا إلى كل من آزر الجمعية أو مجلتها بماله أو بقلمه، أو بكلمة يدعو بها إلى المؤازرة.

وستسير المجلة بإذن الله تعالى كاشفة عن حقائق الدين جهدها، دافعة لشبه المبطلين بساطع حججها، رافعة للغة العرب وآدابها لواء، ناشرة من تاريخ عظماء الإسلام ما يجد فيه القارئ سنى وسناء، وسيكون معظم موضوعاتها ما يلقى في نادي الجمعية من خطب ومحاضرات، وما يصل إلينا من الدروس التي يلقيها بعض المصلحين من علماء جامع الزيتونة في تونس، وما تجود به قرائح غير هؤلاء من مقالات أو محاضرات. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٣].

*** جمعية الهداية الإسلامية(١):**

أنشئت جمعية الهداية الإسلامية في القاهرة، ووفقها الله تعالى أن كان لدعوتها آثار في نفوس النشء حسنة، وأنشئت بعدها جمعية الهداية الإسلامية في بغداد، فرأينا للقائمين بها علماً وشجاعة لا تخاف في الحق لومة لائم، ولا نشك في أن خيرها كان وسيكون عظيماً، واليوم قد زف إلينا فضيلة الأستاذ

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الثالث. تعليق الإمام على خطاب المرحوم الشيخ محمود ياسين الذي أرسله للمجلة يعلن فيه تأليف «جمعية الهداية الإسلامية» الدمشقية تستمد قوتها من «جمعية الهداية الإسلامية» المصرية.

الجليل الشيخ محمود ياسين هذه الرسالة تبشرنا بإنشاء جمعية الهداية الإسلامية في دمشق.

وقد سبق لنا أن عرفنا الأستاذ الشيخ محمود ياسين، وطائفة عظيمة من حضرات السادة الأساتذة علماء دمشق، فرأينا فيهم من الغيرة على الدين الحنيف، والوقوف في وجه المفتونين الزائغين، ما يقوي أملنا في نجاح هذه الجمعية، وثباتها في سبيل إظهار الحق، وإعلاء كلمة الفضيلة.

وبقي لنا أن نرى في فلسطين وتونس والجزائر ومراكش جمعيات توافق جمعيات القاهرة وبغداد ودمشق في اسمها، والغاية التي تسعى إليه، وما غايتها إلا إرشاد الناس إلى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة.

*** فقيد الإسلام والشرق مولانا محمد علي[1]:**

يصاب الشرق بفقد رجال يواصلون جهادهم في النضال عن حقوقه السياسية، ويصاب الشرق بفقد رجال يجاهدون في إعلاء كلمة الإسلام، وتأكيد رابطته السماوية. أما اليوم، فقد أصيب الشرق بفقد عظيم سياسي حكيم، ومجاهد إسلامي عظيم، هو المرحوم مولانا محمد علي (إنا لله وإنا إليه راجعون).

ولو كانت الزعامة في زخرف من الخطابة أو التحرير، أو في ألمعية تلحق الأعمى بالبصير، لم تتمزق أفندتنا على هذا الزعيم الخطير؛ فإن لدينا من الخطباء والأدباء والأذكياء عدداً غير قليل، وإنما الزعامة الصادقة في السيرة القائمة على العقيدة السليمة، والأخلاق الرصينة، وقد كان هذا الراحل المأسوف

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الثالث.

عليه خطيباً مصقعاً، وكاتباً مبدعاً، ومؤمناً صادقاً، ومجاهداً مخلصاً، وإذا كان لكل وطن زعيم، فمولانا محمد علي زعيم الشعوب الإسلامية بأجمعها.

توفي هذا الزعيم الكبير في «لندن» في منتصف شعبان من هذه السنة، ولما بلغ نعيه إلى فلسطين، بعث سماحة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى إلى آل الفقيد برقية يرجو فيها من أخي الفقيد مولانا شوكت علي أن يوافق على جعل مثوى الفقيد في جوار المسجد الأقصى، فأجاب بالموافقة، ووصلت جثة الفقيد إلى بور سعيد في صباح يوم الأربعاء ٢ رمضان سنة ١٣٤٩، ونقلت إلى القدس الشريف ليلة الجمعة، وشيعت الجنازة في موكب حافل عظيم، ودفن في جوار المسجد الأقصى يوم الجمعة؛ حيث دفن كثير من أبطال الإسلام، وفي دفن هذا الزعيم الهندي بالقدس الشريف رمز إلى أن هذا البلد المقدس وطن لجميع الشعوب الإسلامية قاطبة، فلا يدعون الدفاع عنه إلا أن يرضوا بالصغار، وقد أمرهم دينهم بأن يعيشوا في عزة، أو يموتوا في كرامة، وقد سافرت عند وصول رفات الفقيد إلى بور سعيد، ولقيت مولانا شوكت علي، وأبلغته تعزية جمعية الهداية وأسفها لهذا المصاب الكبير، وكان حديث هذا الزعيم في الجامعة الإسلامية، وأشار وقتئذ إلى ملابسه مفتخراً بأنها من المصنوعات الوطنية ما عدا القفاز[١]؛ فقد اعتذر الزعيم بأن شدة البرد اضطرته إليه، فاشتراه من باريس، وقال: سأرميه عن يدي، ولا ألبسه بعد الآن.

فنسأل الله تعالى أن يفيض على قبر الفقيد رحمة، ويعوض المسلمين منه خيراً.

---

(١) ما يلبس باليد.

*** طريقة جمعية خيرية في مساعدة البائسين[١]:**

كنت عرفت يوم كنت في ألمانيا أن هناك جمعية خيرية تبحث عن البائسين من طرق خفية، وتوجه إليهم على طريق البريد صدقات من غير أن يشعروا بمصدرها، وقص علي الأستاذ (هردر) أن إحدى البائسات كانت ترتزق بصنعة الخياطة، فجاءها ذات يوم أحد السعاة بإدارة البريد بخمس مئة مارك، وناولها إياها، فدهشت فرحاً، وسألته عن مرسلها، فأبى أن يخبرها بالمرسل، وترى هذه الجمعية أن التبرع بقسط عظيم على بائس واحد أنفع من توزيعه على كثير ينال كل واحد شيء يسير.

*** خطاب ترحيب بالزعيم الإسلامي مولانا شوكت علي[٢]:**

أيها الزعيم الكبير، ويا أيها السادة! جمع احتفالنا هذا مثلاً عالية لشعوب شرقية مختلفة البلاد، ولم يكن تلاقيهم هذا على وجه المصادفة كما يلتقون في متنزه أو معرض يشهدون فيه ما تلذ أعينهم، وإنما اجتمعوا إجابة لداعي عاطفة انبعثت من ذلك الكتاب الحكيم الذي يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، ويقول: ﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[الأنفال: ٦٣]. رابطة استحكمت في أسلافنا، فكانت مظهر عظمة وسيادة، ووهنت من بعد قوة، فسقطت مهابتنا من أعين خصومنا، حتى طمع فينا من لا يدفع عن نفسه، ورام

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الثالث.

(٢) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد الثالث. زار الزعيم الهندي الإسلامي مولانا شوكت علي دار جمعية الهداية الإسلامية مساء يوم الأربعاء ١٦ رمضان ١٣٤٩، والتقى بجمع عظيم من أهل العلم والفضل. وألقى الإمام هذا الخطاب.

استعبادنا من كانوا يعيشون في ظل سلطاننا أحراراً. وهنت تلك الرابطة بعد توكيدها، فولدت الليالي غرباناً: ذاك ينعق في بلاد الترك بالطورانية، وهذا ينعق في مصر بالفرعونية، وآخر ينعق في المغرب بالبربرية، خناجر صاغها خصومنا لتمزيق وحدتنا، وطمس عواطفنا، فافتتن بها أحداث يطيرون إلى تقليد كل ناعق، ولولا كتاب الله ينطق بالحق، لكان لتلك الصيحة المشؤومة مدى واسع، وأثر في إفساد النفوس غير قليل.

والفضل ـ بعد كتاب الله ـ في تأكيد رابطة الدين المقدسة، لرجال يجاهدون في الإصلاح بصدق، ويهتدون في زعامتهم بمعالم الشريعة الغراء، ولو أشرب زعماء الشعوب الإسلامية جميعاً النصح للدين، لكان للعالم الإسلامي في حياته المدنية والسياسية غير هذا الشأن.

ويسرنا أن نشهد في هذه الليلة زعمياً يعتصم في زعامته بعروة الدين الوثقى، وهو حضرة مولانا شوكت علي. إن الزعيم الذي يكون سلاحه العزم والإخلاص لا يلبث أن يفتح للحرية باباً كان مغلقاً، أو يقوِّم طريقاً للإصلاح كان عوجاً، وأقل ثمرة يجنيها الزعيم المخلص من جهاده الشريف: أن ينبه شعوراً خاملاً، وإذا شعرت الأمة بحقوقها، فليدعها؛ فإنها لا تسير إلا قدماً.

أيها الزعيم الكريم! لجمعية الهداية الإسلامية في بلاد الهند حاجة، وأن خير من توصيه بقضائها الزعيم المسلم الغيور، هي: أن في تلك الديار فرقاً حديثة؛ كالبهائية والقاديانية تفسد في دين الله علناً، أو من وراء نفاق، فإذا لم تبادروا إلى علاج هذا المرض بالدواء الناجح، انحط بالنفوس إلى هاوية الجهالة، وفتَّ في عضد الزعماء، فلا يجدون من ورائهم قوة الاتحاد الذي تخضع له كل قوة.

والدواء الناجع أن يقف الراسخون في العلم تجاه هذه الفرق الزائغة عن السبيل، ويدفعوا باطلها بالحجة وحسن البيان.

فبغية جمعية الهداية الإسلامية التي تضعها بين يدي حضرتكم: أن تكثروا من حث العلماء هناك على الجهاد في الحق بالطرق العلمية، ولا تدعوا تذكيرهم بأن ينقذوا الناس من وساوس تلك الفرق قبل أن يروج بهتانها، ويكون السواد الغالب في جانبها.

هذا، وجمعية الهداية الإسلامية تغتبط بزيارتكم دارها، وتقدم لكم جزيل الشكر على إجابة دعوتها، ونسأل الله تعالى أن يسدد خطواتكم، ويقرن بالنجاح غدواتكم وروحاتكم.

*** الناشئة والآداب الإسلامية[1]:**

السلام عليكم ورحمة الله.

أما بعد:

فجمعية الهداية الإسلامية رأت في مشروعات تقوم بها وزارة المعارف ما هو مخالف للدين الحنيف، وليس هو من الإصلاح في شيء. أنشأت وزارة المعارف معهداً للتمثيل ورقص الفتيان والفتيات، فكان لهذا النبأ أثر استياء في جميع الطبقات التي ترى سعادة الأمة في المحافظة على آداب دينها القويم. والإسلام - يا صاحب المعالي - يحرم اختلاط المرأة بغير مَحْرَمَ، ولا سيما اختلاط يبعد بها عن واجب الصيانة، وقد عرفت الأمم الغربية بعد التجارب الطويلة مضار هذا الاختلاط، وأصبح عقلاؤهم يرفعون أصواتهم بالتحذير منه.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» - الجزء الخامس من المجلد الثالث - خطاب الإمام بوصفه رئيس جمعية الهداية الإسلامية إلى رئيس مجلس الوزراء بمصر.

جمعية الهداية الإسلامية في مقدمة الداعين إلى الإصلاح، والأخذ بكل جديد نافع، ولكن معهد التمثيل والرقص لا صلة له بالإصلاح في حال، وهو ـ على الرغم من موافقته أهواء طائفة خاصة ـ يجر الأمة إلى مظهر من مظاهر الأخلاق المكروهة، وإذا كان الدين لا يرضى عن مثل هذا المشروع، وأصبح الناصحون لأممهم يشكون من سوء عاقبته، فإن جمعية الهداية الإسلامية تستند إلى ما جاء به الإسلام من تحريم اختلاط النساء بالرجال في لهو، ثم إلى نص المادة من الدستور المصري الصريحة في أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام. ونرجو من دولتكم أن تعدل وزارة المعارف عن ذلك المشروع الذي يعد مقدمة خطر يأتي على خلق الحياء والصيانة، ويجعل آداب الدين في غير رعاية.

ونرفع إلى معاليكم بعد هذا: أن إدخال بعض المعروفين بأنهم دعاة التبشير القائمين عليه صباحاً ومساء في لجنة يوكل إليها وضع السياسة العامة للتعليم، قد جرح إحساس المسلمين، وأبعد آمالهم من أن يكون لمدارسنا صبغة إسلامية.

فجمعية الهداية الإسلامية ترجو معاليكم إبعاد ذوي الآراء المحاربة للدين من النظر في سياسة التعليم العامة، واعتبار الدين الإسلامي الكفيل بسعادة البشر أساساً لتلك السياسة، وإدخاله في مناهج التعليم بجميع أدواره تحقيقاً للإصلاح المنشود، والتهذيب المرغوب فيه. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

*** ارتجال الشعر الألماني[1]:**

كنت شهدت في «برلين» شاعراً يقف في جمع كبير، فيلقي عليه طوائف

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الثالث.

من الحاضرين جملاً منثورة في معان مختلفة، وهو يكتبها في أوراق بيده جملة بعد أخرى، وعقب الفراغ من إلقاء الجمل، ينطق بكل جملة منها في شعر يؤديه بصوت جهوري. ويعد هذا من فكاهاتهم الأدبية.

*** من جمعية الهداية الإسلامية إلـى وزير المعارف[1]:**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فإن جمعية الهداية الإسلامية كانت في مقدمة من استنكروا من وزارة المعارف في العهد السابق بعض تصرفات غير صالحة، وعبرت عن استنكارها في خطاب وجهته إلى حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء.

ومن تلك التصرفات المخالفة للدين الحنيف، الملقية في شر العواقب: إقامة معهد للتمثيل والرقص، وفتح باب اختلاط الفتيان بالفتيات، وقد شاء الله تعالى أن يصرف وزارة المعارف عن هذه الوجهة التي ضاقت لها صدور عقلاء الأمة قلقاً، فنقل زمامها إلى يد معاليكم، فوجدت الرأي الرشيد، والحزم اليقظ، فبادرتم إلى معالجة المرض الذي طرأ عليها لذلك العهد، فوضعتم الدواء مكان الداء، ومن أشد ما يفتك بالأخلاق الفاضلة: أن تهيئ الحكومة غرفاً أو قاعات يختلط فيها الفتيان والفتيات، ولاسيما اختلاط هو عين الاستخفاف بالصيانة، وطعن الكرامة بالنحر.

ومما قابلته الجمعية بالارتياح والشكر، وقوّى في النفوس أمل أن يكون نشؤنا خير نشء يرفعون راية الشرف حتى لا تطاولها راية: ما نشرته الصحف

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد الثالث.

من أن عناية معاليكم قد توجهت إلى إصلاح مدارس الحكومة، بإعطاء التعليم الديني في هذه المدارس حقه، وهي همة طالما سعى زعماء الإصلاح ليظفروا بها من وزير معارف لدولة دينها الرسمي الإسلام، فكنْ - يا معالي الوزير - ذلك الرجل الذي يقدر الدين قدره، ويبذل النصح للأمة جهده، ومن النصح لها: أن تحافظ على ما فيه سعادة أبنائها، وقد أحس زعماء الإصلاح روح الحزم واليقظة في حديث معاليكم، فاطمأنت النفوس، فإذا مرّ على سمع معاليكم صوت يبتغي منكم أن تتبعوا خطوات من جهلوا حكمة الإسلام، وزاغت أبصارهم عن حجته، فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، وسيروا في طريقكم حتى تجعلوا وزارة المعارف مصدر العلم النافع، والتربية الخالصة من كل سوء.

وفي الختام: أقدم إلى معاليكم باسم جمعية الهداية الإسلامية جزيل الشكر على هذه الهمة النبيلة، والله في تأييدكم ما حرستم آداب دينه، وأهل العلم في رضا عن سيرتكم ما حميتم معاهد التربية العامة من كل فساد دخل فيها باسم التجديد، والتجديد النافع بريء منه.

* **فاتحة السنة الرابعة**[1]:

نحمدك اللهم على أن وصلتنا بمعونتك، وحففتنا برعايتك، وحميتنا مما يقطع عن إقامة حجتك، أو يقف عثرة في سبيل إعلاء كلمتك. وأزكى صلواتك وسلامك على سيدنا محمد الهادي إلى مراقي السعادة، وعلى آله وصحبه الذين قادوا الأمم إلى سبيل القيام، فأحسنوا القيادة.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» - الجزء الأول من المجلد الرابع.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة سنتها الثالثة مجدّة في القيام بقسط كبير مما أنشئت له جمعية الهداية الإسلامية: تنقل إلى حضرات القراء ما يلقى في نادي الجمعية من خطب ومحاضرات، ثم ما تجود به قرائح أهل العلم والأدب في مصر وغيرها من البلاد، فكانت خير الوسائل لتعارف العلماء والأدباء في الشرق والغرب، وكانت ـ بحمد الله ـ من أبعد القسيِّ مرمى، وأمضاها في الذود عن حمى الشريعة سهماً، والفضل في هذا ـ بعد توفيق الله ـ عائد إلى حضرات أعضاء الجمعية، وأصدقائها الذين يمدونها بثمرات أفكارهم، وقوة إخلاصهم، ثم إلى حضرات قراء المجلة الذين طبعوا على كرم النفس، وقدروا الغاية التي تعمل لها الجمعية، وعرفوا أن العمل في سبيل الهمم النبيلة لا ينتظم إلا بالمال، فكانوا يسارعون إلى بذل قيمة الاشتراك بباعث من أنفسهم، شاعرين بأن اليسير إذا انضم إلى اليسير صار كثيراً.

قضت المجلة في جهادها ثلاثة أعوام صابرة مصابرة، وظهرت اليوم في مفتتح السنة الرابعة أمتن عزماً، وأوثق أملاً، يزيد عزمها متانة، وأملها وثوقاً: تلك المراحل التي قطعتها في نصرة الفضيلة، والذود عن الحقيقة؛ حتى شهدت ثمار سعيها يانعة على قدر ما أنفقت من مجهودها، ومن شواهد هذا: أن أعضاء الجمعية في نماء، وأصدقاءها في ازدياد، والرسائل العامرة بالعطف عليها ترد عليها في غير انقطاع.

والمجلة تقدم جزيل شكرها إلى كل من آزرها بعلمه، أو بأدبه، أو بذات يده، أو بكلمة طيبة يقصد بها تشجيعاً، أو التوسل إلى ما فيه نفعها، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يرضى، ويكفينا بأس من لا ينهى النفس عن الهوى.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف: ١٠].

* **النهضة الأدبية العلمية في جمعية الهداية الإسلامية[١]:**

أيها السادة! إذا نظرنا إلى الأزهر من ناحية العلوم الأدبية، وجدنا نصيبه من أكثرها فوق كل نصيب، فللأزهر تبريز في مثل: النحو والصرف، والمعاني والبيان، ولكنه منذ حين غير بعيد، قلّت عنايته بصناعتي الشعر والنثر، وأصبح مصلِّياً[٢] فيهما لا مجلِّياً[٣].

ولا نكتم أنفسنا أن في بيئات مصر غير الأزهر أنبتت في العهد الأخير كتّاباً وشعراء تجري أسماؤهم في الصحف والأندية أكثر من أسماء الكتّاب والشعراء الأزهريين، ولم يفت الأزهر أن يكون المجلّي في صناعتي الشعر والنثر؛ لتوقفهما على ذكاء حرم منه، أو اجتهاد يقصر عنه عزم طلابه، وإنما هو الإقبال على العلوم ذات المناهج الفسيحة، والمباحث العويصة، فأخذته بجلالتها عن أن يكون السابق في هاتين الصناعتين، مع علمه بلطف مسلكهما، ولذة مذاقهما، وحسن أثرهما في الإصلاح.

أقول هذا في غير أسف شديد؛ لأني أرى اليوم في شباب الأزهر من ينحو في التحرير نحو البراعة، وينسج في الشعر على مثال الإبداع، ويذهب في المحاضرات مذهب قوة الإقناع، وحسن التنسيق، فلا نلبث - إن شاء الله تعالى -

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» - الجزء الثالث من المجلد الرابع. كلمة الإمام في حفل أقيم في نادي جمعية الهداية الإسلامية لتكوين لجنة تعمل على ترقية ملكة الخطابة والمحاضرة والتحرير بأسلوب راق يلائم حال العصر.

(٢) ثاني خيول الحلبة.

(٣) أول خيول الحلبة.

أن نرى الأزهر يحمل لواء صناعتي الشعر والنثر باليد التي يحمل بها ألوية سائر العلوم الأدبية.

وملاك النبوغ في علم الأدب: كثرة ترديد النظر على المنشآت البليغة، ثم تربية ملكات النظم والإنشاء والنقد، وأخذها بالتمرين العملي حيناً فحيناً.

وتزداد هذه الملكات قوة بإلقاء المحاضرات، وعقد المناظرات، وارتجال الخطب على أعين الناس. وقد دلت خطبتا الأستاذين الداعيين إلى هذا الاجتماع: أن القصد من إقامته النظر في تأليف رابطة أدبية تعمل لترقية الأدب ونفاق سوقه؛ فإن الكتابة والخطابة والشعر هي المظهر العملي لتلك العلوم التي نقضي في دراستها أعواماً، وقد جُرِّبت فكانت أنجح الوسائل إلى إيقاظ الأمة والنهوض بها حتى تبلغ الغاية من حريتها، وتنفي قذى المهانة عن ساحتها.

فنشكر حضراتكم أيها السادة الداعون إلى هذا الاجتماع، والمتفضلون بإجابة الدعوة إليه، ونسأل الله تعالى أن يتولى سعيكم النبيل بالتوفيق، وما بعد توفيق الله إلا الظفر بحسنى العواقب والنجاح.

*** كلمة في تأبين الفقيد الشيخ محمد عبد المطلب[1]:**

الله أكبر! حياة كانت عامرة بالعمل المجيد، وطويت طي السجل للكتاب، تلك حياة فقيد الدين والأدب الأستاذ الشيخ محمد عبد المطلب، سكنت أنفاسه وحسامُه مخضبٌ بدم الجهاد في سبيل الحق، فلم يمت على فراشه ملقي السلاح كما يموت ضعيف العزيمة، أو مزلزل العقيدة، بل كان

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الرابع. كلمة الإمام في حفل تأبين المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب الوكيل الأول لجمعية الهداية الإسلامية.

قلمه ودواته أقرب إليه من قارورة الدواء الذي كان يعالج به مرضه الملقي به يد الموت.

ولي قلم في أنملي إن هززته فما ضرني أن لا أهزّ المهنّدا

انتخب الفقيد وكيلاً أول لهذه الجمعية، واقترح على مجلس الإدارة أن يعقد اجتماعاته في بيته الكريم ريثما نهيئ للجمعية منزلاً، فكان أول عضو شد أزر الجمعية بعد تأليفها، وما زال يمدها برأيه وأدبه وذاتِ يده حتى فجعت برحيله إلى الدار الباقية، فكان مصابها به عظيماً، وحزنها عليه شديداً، فإذا رأيتم اليوم ناديها موحشاً كاسفاً، فلأنه فقد منطقاً طالما وقف على هذا المنبر، فملأ الأسماع حكمة، وأوقد في النفوس حماسة.

وضاءة أخلاق، في متانة دين، في براعة بيان، ثلاث خصال اجتمعت في الفقيد ـ رحمه الله ـ، وإذا رأيت الخلق وضيئاً، والدين متيناً، والبيان بارعاً، فإن هناك عظمة، فانسجْ من برود الثناء ما شئت، وأهدها إلى تلك العظمة.

إذا بكاه الحق، فلأنه كان بطلاً لا يلوي جبينه عن طعان، وإذا بكاه عشاق الأدب، فلأنه كان غوّاصاً على درره الغالية، ونظّاماً لقلائدها الزاهية الرائعة، فكم أخذ الألباب بشعر ألقت عليه البداوة جزالة، وأودعته الحضارة معاني أنيقة!.

وإذا وجد في الشعراء من لا يبالي أن يهيم في وادي الزور، أو يسقط في حفرة من الزيغ، فإن الفقيد ـ رحمه الله ـ قد جعل قوة الخيال تحت سلطان العقل، فاعتصم بحكمة الله من سقطات وقع فيها كثير ممن أوتوا خيالاً وحذقاً، ولم يؤتوا استقامة ورشداً.

ومما امتاز به الفقيد ـ رحمه الله ـ: براءته من التصنع والرياء، فلم يكن بدوياً في شعره فقط، بل كانت البداوة تتمثل في صراحته، وجلاء سريرته؛ كما تتمثل الحضارة في لطف خطابه، ورقة حاشيته.

لقيت الفقيد في كثير في المجالس التي اعتاد الناس في الحديث بها أساليب خاصة، وأذكر أنه كان يجول فيها بلهجة تدل على أن احترام الحقائق في نفسه يفوق كل احترام.

هذه كلمة أفتتح بها هذه الحفلة الموقرة، وستستمعون ـ إن شاء الله تعالى ـ من حضرات الخطباء والشعراء خطباً ممتعة، وقصائد عامرة، ونسأل الله تعالى أن يفيض على جدث الفقيد رحمته، وإن رحمته لقريبة ممن هم بآياته يوقنون.

*** احتجاج جمعية الهداية الإسلامية على حادثة التبشير[1]:**

السلام عليكم ورحمة الله.

أما بعد:

فإن أعز شيء على الأمة دينها، تسالم من يسالمه، وتشتد في مناوأة من يناوئه، وإن دعاة النصرانية الذين يهبطون مصر المسلمة، فيجدون في أهلها سماحة، وفي سياستها رفقاً، لَيندفعون إلى الطعن في الدين الإسلامي علناً، ويقذفون مقام الرسالة العظمى بأشياء يفترونها افتراء، وهاهي تلك الكتب التي يدرسونها في مدارسهم محشوة ببذاء يلمزون به الشريعة السمحة، ولا يتحامون

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد الرابع. وجه الإمام بوصفه رئيس جمعية الهداية الإسلامية هذا الخطاب إلى رئيس مجلس الوزراء المصري.

أن يقرعوا به أسماع التلاميذ المسلمين الذين يلقي بهم آباؤهم الغافلون تحت سيطرتهم.

ولم يقفوا عند هذا الحد، بل تجاوزوه إلى اصطياد نفوس الشبان والفتيات بوسائل تنكرها العقول، ولا تبيحها أي شريعة أو قانون، وما أكثر الحوادث التي يأتونها من هذه الطرق الممقوتة! ولولا أن حادثة يوسف أفندي عبد الصمد حفت بأحوال اقتضت إذاعتها، لذهبتْ كما ذهب غيرها من حوادثهم مطوية على ما يلتهب له قلب الإنسانية جزعاً.

إن الخطر ـ يا صاحب الدولة ـ عظيم، وترك هؤلاء المبشرين يطعنون الدين، ويفسدون القلوب، فتنة لا تصيب من يقع تحت أيديهم من الأطفال خاصة، وإنما هي روح سامة ينفخونها في جسم الأمة؛ ليقطعوا أوصالها، ويلقوا بها في حفرة من البلاء بعد أن أنقذنا الله منها، وإذا كان لموعظة أهل العلم أثر في قلوب قوم يعقلون، فيكفون عن توجيه أبنائهم إلى تلك المدارس، فإن من تأخذهم زهرة الحياة الدنيا، ولا يتدبرون العواقب، غير قليل.

لجمعية الهداية الإسلامية ـ يا صاحب الدولة ـ أمل تضعه بين يدي رئيس حكومة دينها الرسمي الإسلام، هو: أن تحموا البلاد من هذه الفتن، وتضعوا تلك المدارس تحت مراقبة وزارة المعارف، وتتخذوا التدبير الحازم في منعهم من التعرض لعقيدة التلميذ المسلم، أو إلزامهم له بأداء شعائرهم النصرانية، فإن وجهتم همتكم إلى هذا الباب من الفساد فأغلقتموه، كانت هذه الهمة مظهراً من مظاهر يقظة الدولة، وبقيت في الناس كلسان يعبر عن حكمة تدبيركم، ويستدعي جزيل شكركم، وتفضلوا ـ يا صاحب الدولة ـ بقبول عظيم الاحترام.

والسلام عليكم ورحمة الله.

*** كلمة في تأبين الفقيد الشيخ مصطفى بدر زيد[1]:**

عينتُ منذ خمس سنين في إحدى لجان الامتحان بقسم التخصص، فجئت الغرفة المعدّة للامتحان، فوجدت فتى جالساً بها وحده، فسلمت، وجلست حتى انتظمت اللجنة، فإذا هذا الفتى أحد أعضائها، ورأيت من مناقشته للطلاب ما دل على ألمعيته، ورعايته الأمانة فيما يعهد به إليه، ذلك الفتى هو الأستاذ الشيخ مصطفى بدر زيد.

انقضى عهد الامتحان، وقام طائفة من نجباء الطلاب يسعون لتأليف جمعية الهداية الإسلامية، وأخذوا يتساءلون عمن يصلح لمجلس إدارتها، فخطر لي ما رأيته في ذلك الأستاذ من النباهة وحسن التصرف في العلم، فذكرت اسمه، فعرضوا عليه رغبتهم، فأجاب بالقبول، وانتخبوه مراقباً عاماً للجمعية، فقام بما ألقي إلى عهدته أحسن القيام.

ولما قرر مجلس الإدارة إصدار المجلة، اختاره لإدارة شؤونها المالية، فنهض بهذا العمل مضافاً إلى مراقبة الجمعية، وكان له في نماء مشتركي المجلة أثر جليل.

ومنذ عهد قريب ندبه مجلس الإدارة لعمل كاتم السر، فانتدب له بحزم، وما لبث أن زاره الداعي إلى لقاء الله، فرحل وزادُه عمل صالح، ونوره الذي يسعى بين يديه إيمان صادق، فالجنة ـ إن شاء الله تعالى ـ هي المأوى.

فإذا تلظى قلب هذه الجمعية لمصابه، فلأنها فجعت بفقد رجل من رجالها الذين ولدت على أيديهم، وشبت تحت رعايتهم، فساروا بها على

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع والثامن من المجلد الرابع. كلمة الإمام في حفل تأبين الشيخ مصطفى بدر زيد المراقب العام لجمعية الهداية الإسلامية.

الصراط المستقيم، وحنوا عليها حنو المرضعات على الفطيم، ولكن هذه الجمعية قد أنشئت لتذكر الناس بخصال السؤدد والمجد، ومن أعز هذه الخصال: لقاء الرزايا في دروع ضافية من الصبر، فجدير بها أن تتلقى مصيبة فقد الأستاذ في عزاء وسكينة. ولم تقم الجمعية هذه الحفلة لتظهر كما تظهر الثكلى جزعها، وإنما أقامتها لتنبه على فضل ذلك العضو المجاهد، وتدل على شيء من خصاله الحميدة، وليس في ذكر محامد المجاهدين بعد انتقالهم إلى حياتهم الأخرى من بأس.

وستسمعون من حضرات الخطباء والشعراء شيئاً من آثار حياة الفقيد العلمية والخلقية، فنسأل الله تعالى أن يفيض على قبره رحمة، ويعوض الإسلام منه خيراً.

*** حقيقة الدكتور طه حسين[1]:**

حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

عرف الناس منذ سنين أن الدكتور طه حسين يعمل لهدم العقائد الإسلامية، وإفساد الأخلاق الكريمة، فكانوا يأسفون الأسف الشديد على طائفة من شبابنا يدخلون الجامعة ليتغذوا بلبان العلوم الصافية، والتربية الصحيحة، فيقعون بين يدي هذا الرجل الذي يعمد إلى تلك الفطر السليمة،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثامن من المجلد الرابع. خطاب أرسله الإمام بوصفه رئيس جمعية الهداية الإسلامية إلى وزير المعارف في مصر.

فينفخ فيها زيغاً، ويثير فيها أهواء، بل دلت محاضراته ومؤلفاته على أنه ينحو بالطلاب نحواً يبعد بهم عن طريق التفكير المنتجة، وطالما ضجت الأمة ورفعت صوتها بالشكاية من نزعته المؤذية للدين، المفسدة للأخلاق، المعكرة لصفو العلم. وطالما ترقبت أن ترى من ناحية وزارة المعارف ما يحقق أمنيتها، فكنت ـ يا صاحب المعالي ـ ذلك الوزير الذي عرفت حقيقة الدكتور طه حسين كما هي، فأقصيته عن دائرة التعليم، وأرحت ضمائر الأمة، فكفاك مفخرة أن حميت الدين والفضيلة والعلم من لسان شدَّ ما جهل عليها، وأفسد في طريقها.

وإن جمعية الهداية الإسلامية التي تنظر إلى تصرفات وزارة المعارف من ناحية الدين والعلم والأخلاق، لَتقدم لمعاليكم أخلص الشكر على هذه الهمة الدالة على ما رُزقتموه من غيرة وحزم وسداد رأي.

وتفضلوا ـ يا صاحب المعالي ـ بقبول عظيم الاحترام.

*** الدكتور طه حسين أيضاً[1]:**

حضرة المسلم الشهم الهمام الدكتور عبد الحميد سعيد المحترم رئيس جمعية الشبان المسلمين!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فإن جمعية الهداية الإسلامية التي ترى أن المهمة الملقاة على عاتق

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثامن من المجلد الرابع: نص الرسالة التي أرسلها الإمام إلى الدكتور عبد الحميد سعيد عضو مجلس النواب المصري، ورئيس جمعية الشبان المسلمين.

الجمعيات الإسلامية مهمة واحدة، وترى أن الجمعيات الإسلامية بتعاونها على أداء هذه المهمة تؤلف خط جهاد واحد، تسجل لكم بقلم الفخر والشكر موقفيكم الأخيرين في مجلس النواب يوم ذكرتم الحكومة بواجبها تجاه عدوان دعاة النصرانية، ثم يوم وقفتم أخيراً تعربون عن شكوى الأمة الإسلامية من عدوان الملاحدة على الإسلام، وعلى رأسهم عدو الله طه حسين، فكنتم موفقين من الله في كل ما أدليتم به من حجج نواصع، وحقائق روائع.

وقد كلفني مجلس إدارة جمعية الهداية الإسلامية أن أبلغكم شكره على هذا الموقف المحمود.

وتفضلوا بقبول جزيل الاحترام.

*** كلمة في الاحتفال بالمولد الكريم[1]:**

كان العالم يتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض: ظلمة من الجهل، ظلمة من دناسة الأخلاق، ظلمة من منكر الأعمال، فبعث الله المصطفى ﷺ ليخرج الناس من هذه الظلمات إلى نور يسعى بين أيديهم في الحياة الأولى، ويهديهم السبيل إلى السعادة في الحياة الأخرى.

طلع محمد ـ صلوات الله عليه ـ بكتاب ممتع بالحكمة، مقوِّم للأخلاق، مصلح للأعمال، منظم لشؤون الحياة، تدبرته فئة قليلة، واتخذته قائدها المطاع، فكانت خير أمة جاهدت في الله فانتصرت، وغلبت فرحمت، وحكمت فعدلت، وساست فأطلقت الحرية من عقالها، وفجرت المعارف ينابيع بعد

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع، احتفلت جمعية الهداية الإسلامية بذكرى مولد المصطفى ﷺ مساء السبت ١٢ ربيع الأول ١٣٥١هـ. وألقى الإمام هذه الكلمة.

نضوجها. واسألوا التاريخ؛ فإنها قد استودعته من مآثرها الغر ما بصر بضوئه الأعمى، وازدهر في الأرض ازدهار الكواكب في كبد السماء.

هذه حقائق لم أنحُ فيها نحو المبالغة؛ فإن المصطفى ـ صلوات الله عليه ـ قد قضى على عبادة الأوثان، والغلو في الخضوع لغير الواحد القهار، وقضى على الإلحاد وإنكار الإله، فأصبح المؤمنون أمماً بعد أن كانوا أفراداً، وأنتم تعلمون أن الغلو في تعظيم غير الله رجس من عمل الشيطان، وأن الإلحاد داعية الفسوق والطغيان، فلدعوة محمد ﷺ الفضل الأكبر في رفع النفوس من حضيض الشرك إلى سماء التوحيد الخالص، ولها الفضل في تطهير النفوس من خبث الإلحاد الذي يشوه فطرتها، ويوفر أسباب شقوتها.

جاهد المصطفى ﷺ الجهل، وشرُّ الجهل عدم معرفة مبدع الكائنات بحق، وجاهد الأخلاق الرذيلة، فكرَّه للنفوس الجزع، والجبن، والبخل، والصغار، والكبر، والقسوة، والأثرة. وعلَّمها الصبر، والشجاعة، والكرم، والعزة، والتواضع، والرحمة، والإيثار.

علَّمها الصبر، فهان عليها كل عسير، وعلمها الشجاعة، فحقر أمامها كل خطير، وعلمها الكرم، فجادت في سبيل الخير بكل نفيس، وعلمها العزة، فسمت إلى كل مقام مجيد، وعلمها التواضع، فتألفت كل قلب سليم، وعلمها الرحمة، والرحمةُ رباط التآزر والتعاون على تكاليف الحياة، وعلمها الإيثار، والإيثارُ أقصى ما يبلغه الإنسان من مراتب الكمال.

رفع المصطفى ﷺ أعلام العلم، وهدى إلى مكارم الأخلاق، ثم علم الإنسان كيف يعمل صالحاً، ويعيش آمناً، وهو الذي أوحي إليه بأصول تجعل المدنية محكمة البناء، وآداب تكسوها رونقاً وبهاء.

فإذا احتفلنا بذكرى مولد الرسول الأكرم، فإنما نحتفل بذكرى منقذ العالم من ظلماته الثلاث، وستستمعون من حضرات الخطباء والشعراء شيئاً من تفاصيل هذا الذي لوحت إليه بكلمتي الموجزة، والسلام عليكم ورحمة الله.

*** فاتحة السنة الخامسة[1]:**

الحمد لله الذي هدانا إلى أقوم السبل، وأمدنا بعزم لم يأخذه فتور ولا ملل، ونفى من قلوبنا اليأس فقوي الأمل. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بأجلى آية، وأسطع برهان، والداعي إلى الدين الحق بأبلغ بيان، وعلى آل بيته السادة الأمجاد، وصحبه الذين فتحوا بحكمتهم القلوب، وبأسنتهم الوهاد والنجاد.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة أربع سنين وهي تجاهد في سبيل الدين والعلم واللغة العربية خير جهاد، تعرض على قرائها ما يلقى في الجمعية من محاضرات نافعة، وخطب باهرة، وقصائد عامرة. أو ما تجود به قرائح أهل العلم والأدب في مصر أو في غير مصر من مقالات بارعة، ودروس محررة. فكانت ـ بتوفيق الله تعالى ـ في الصف الأول من صفوف المجلات العلمية الأدبية الداعية إلى الإصلاح، وإذا أدركها النقص من بعض النواحي، فأية الصحف أو الرسائل تظهر مبرأة من كل عيب؟ وإذا ألقيت عليها تبعة ذلك النقص، احتملتها وحدها، واستحيت أن تلقي على قرائها أو أصدقائها قسطاً من هذه التبعة.

وقد نظر أستاذ مخلص من أعضاء الجمعية في حال هذه المجلة، فنقدها،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الخامس.

وكتب مذكرة تشتمل على مقترحات ذات بال، وطرحها أمام مجلس الإدارة، فتلقاها منه بالقبول والشكر، وعقد مجلس الإدارة عزمه على العمل لتحقيق هذه الرغبات ما استطاع.

دخلت المجلة في سنتها الخامسة، حامدةً حزم إدارتها، مغتبطة بإقبال الشيوخ والشبان على قراءتها، آملة نجاحاً فوق نجاحها، ومظهراً أسمى من مظهرها، فإن نشاط أعضاء الجمعية اليوم في ازدياد، وصدق عزمهم أورث المجلة أنصاراً في كثير من البلاد، وفي كثرة الأنصار قوة وعزة، ونصر الله أكبر وأبقى.

ولا نضع القلم من أيدينا حتى نقضي واجب الشكر لحضرات الأساتذة الذين خصوا المجلة بنتائج بحثهم العلمي أو الأدبي أو اللغوي، خصوصاً الذين واصلوها على بعد ديارهم، وآثروها بمنشآتهم: من الشام وفلسطين وتونس وحضرموت وجاوة وغيرها، فأصبحت بما يجودون به ملتقى أفكار الناهضين من الشعوب الإسلامية، وفي التقاء الأفكار صلة التعارف والتعاون على تحقيق الموضوعات العلمية، وإصلاح الشؤون الاجتماعية، نسأل الله تعالى أن يزيد هذه الصلة تأكيداً، ويمنحنا رحمة من لدنه وتأييداً.

*** تكريم أعضاء الجمعية الذين أكملوا دراستهم العليا[1]:**

يحرز الإنسان في كمال النفس منزلة قاصية، فيحس في صدره ارتياحاً، ويكون ارتياحه أشد وأبلغ متى عرف أنه يعيش بين قوم يقدرون تلك المنزلة

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثاني من المجلد الخامس. أقامت جمعية الهداية الإسلامية مساء يوم الخميس ٦ جمادى الآخرة عام ١٣٥١هـ حفلة تكريماً لأعضائها الذين أكملوا دراستهم العليا في ذاك العام. وقد ألقى الإمام هذه الكلمة.

قدرها، وتقديرُ المنازل في العلم والفضل شأنه خطير، وأثره في انتظام الحياتين المدنية والعلمية كبير؛ فإنه يعين على العدل في المعاملة، ويشجع الناشئين على التنافس في سبيل المجد، والأمةُ التي تنظر إلى النبغاء بالعين التي تنظر بها إلى غير النبغاء جديرة بأن لا يكون بين أرضها وسمائها عبقرية، وإذا أنبتت على خلاف طبيعتها ألمعياً بارعاً، لم يجد من العزم ما يجعل ألمعيته البارعة كالشجرة المباركة تؤتي في كل حين ثمراً زاكياً، قال علامة نحرير يعتذر عن فتور همته بكساد علمه بين قومه:

غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد ... لغزليَ نسّاجاً فكسَّرت مغزلي

وقال ابن حزم يشكو قلة إقبال قومه عليه، وزهدهم فيما لديه من علم:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ... ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

وقال:

وإن مكاناً ضاق عني لضيق ... على أنه فُسْح مَهامهه سُهْب

وإن رجالاً ضيعوني لَضُيَّع ... وإن زماناً لم أنل خصبه جدبُ

وأذكر أن أحد كبار العلم بدينور قيل له: العلم لك، والصيت لأبي حامد، فقال: رفعت أبا حامد بغداد، وخفضتني دينور.

والتاريخ يحدثنا وهو صادق فيما يحدث: أن النبوغ في العلم، والإبداع في العمل، لا يصلان إلى الذروة إلا في ظلال أمة أو دولة تزن رجالها وزن المثقال.

عهد الناس تكريم العلماء والأدباء والأبطال منذ زمن بعيد، ولا أريد بتكريمهم تلكم البيضاء أو الصفراء يبذلها بعض الرؤساء أو الوجهاء لعالم

شهير، أو شاعر قدير، أو بطل خطير؛ فإن السخاء بالبيضاء والصفراء قد يكون مبعثه العطف والشفقة، وكثيراً ما يعطف الرجل أو يشفق على من لا يكون في نظره أهلاً للتوقير والإجلال، وإنما أريد من تكريم الرجل الماجد: مظاهرَ يؤذن بما له من مكانة تجلها القلوب.

نظم ابن خميس التلمساني قصيدة يقول في طالعها:

عجباً له أيذوق طعمَ وصالها ... من ليس يأمل أن يمر ببالها

ولما وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة ابن دقيق العيد، قام إجلالاً لها، فقيام قاضي القضاة بالديار المصرية لشعر ابن خميس الجزائري تكريم لابن خميس.

ورحل أبو علي القالي صاحب كتاب «الأمالي»، «والنوادر» إلى بلاد الأندلس، ولما دخلها، ابتهج لمقدمه الحكم بن عبد الرحمن الناصر ـ وكان كالوزير لوالده الخليفة عبد الرحمن ـ، وأرسل إلى أحد عماله أن يتلقى أبا علي في وفد من وجوه الناس، ويجيء معه إلى قرطبة تكرمة له.

وقد قصدت جمعية الهداية الإسلامية أن يكون في سيرتها ما يدل على أنها تقدر النجابة والنبل، فجعلت من مبادئها: الاحتفال بتكريم العاملين المخلصين من أعضائها متى سابقوا في علم أو فضل، فسبقوا.

وعلى هذا المبدأ أقامت هذه الحفلة تكريماً لهؤلاء الأساتذة؛ إذ أحرزوا شهادات عالية، وهم من العاملين في الجمعية بحزم وثبات. ولا أخالهم في حاجة إلى أن أصوغ كلمة في الثناء على حضراتهم؛ فإحرازهم لهذه الشهادات العالية نطق بألمعيتهم، وسمو هممهم، وانتظامهم في جمعية الهداية شاهد بطهارة قلوبهم، ورقي آدابهم، ومن ضم إلى الألمعية همة سامية، وإلى طهارة

القلب آداباً راقية، كان حظه من خصال الحمد عظيماً.

وفي هذه الحفلة دليل صادق على أن جمعية الهداية سائرة في خطة تنشرح لها صدور الناشئين على اختلاف معاهد تثقيفهم ومناهج تعليمهم، وفي هذه الحفلة ما يبشر بأن الجمعية قد نجحت في سعيها لبث روح الدين الحق في نفوس الشبان، وإراءتهم أن العلوم الكونية تجتمع مع الإيمان والتقوى في نفس واحدة.

وأختم كلمتي بشكر هؤلاء الأساتذة المحتفَل بهم على ثباتهم في مؤازرة الجمعية، وأسأل الله تعالى أن يزيدهم هدى، ويجعل وجه الحياة في أعينهم مستبشراً، والسلام عليكم ورحمة الله.

*** فقد عالم نحرير ببلاد الجزائر[1]:**

نعت إلينا صحف «الجزائر» الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحليم بن سماية من أفضل العلماء بعاصمة الجزائر، وقد كان الأستاذ مدرساً بالمدرسة الثعالبية، وبالجامع الجديد، وقد تخرج من دروسه كثير من العلماء الذين تولوا مناصب القضاء والفتوى، والإمامة والتدريس، توفاه الله تعالى يوم الأربعاء السابع من رمضان سنة ١٣٥١، وشيعت جنازته بعد ظهر يوم الخميس في مشهد عظيم جامع للعلماء، ورجال الدولة، وأرباب الصحف، ورؤساء الجمعيات، وغيرهم من أهل الفضل، ولما وضعت جنازته، خطب في تأبينه مدير أمور الوطنيين، ومدير المدرسة الثعالبية، وخطب من تلاميذه: الشيخ حمود حمدان المدرس بالمدرسة الثعالبية، ثم السيد سامح فاتح بالنيابة عن جمعية التلاميذ، ثم الشيخ عبد القادر حاج حمو المدرس بالجامع الكبير، ثم السيد أحمد بن

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الخامس.

يحيى الأكحل، ثم السيد عبد الرحمن الجلالي، ثم الشيخ قدور الحلوي، ثم أودعت جثته المكرمة في قبره، والعبرات دافقة، والقلوب محزونة (إنا لله وإنا إليه راجعون).

وكنت لقيته ـ رحمه الله تعالى ـ عندما زرت عاصمة الجزائر في رمضان سنة ١٣٢١، فلقيت به عالماً بحاثاً شاعراً بمقتضيات العصر، ومسلماً غيوراً، وأديباً مهذباً، وشهدت درساً كان لقيه في ليالي رمضان بأحد المساجد، فأعجبت بحسن تصرفه، وبراعة بيانه، فنسأل الله تعالى أن يفيض على قبره رحمة، ويعوض الأمة منه خيراً.

*** افتتاح فرع الجمعية بالعباسية[1]:**

نحمدك اللهم على أن هديتنا سبيل الفلاح، ونستعين بك على إعلاء كلمة الحق والدعوة إلى الإصلاح، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم، ونطق بأبلغ المواعظ وأبدع الحكم، وعلى آله الذين قاموا على سنته فأحسنوا القيام، وأصحابه الذين جاهدوا في سبيل إسعاد البشر بالحجة والحسام.

أيها السادة! كان العالم في فساد يملأ ما بين جوانبه، فقضت حكمة علاَّم الغيوب أن نزل الروح الأمين بالكتاب الكريم، على الرسول العظيم، فبلغ ﷺ ما أنزل إليه من ربه، وبينه أحسن بيان، وقام على إنفاذ أوامره بحزم وقوة، فأنار بدعوته بصائر كانت مغبرَّة، وأيقظ بدعوته قلوباً كانت عن طريق

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء العاشر من المجلد الخامس. أنشأت جمعية الهداية الإسلامية فرعاً لها في حي العباسية بالقاهرة. وهذه كلمة الإمام في أولى حفلاتها في ليلة الاثنين ٢٧ محرم عام ١٣٥٢هـ.

السعادة غافلة، وزجر بماضي عزمه نفوساً كانت إلى الشر فازعة، فتألف حزب الله رويداً رويداً حتى فتحت مكة المكرمة، وأصبح الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وما أكمل الله الدين، وطوى بساط الوحي بوفاة خاتم النبيين، حتى نبت في مهابط الحكمة الإلهية رجال عرفوا السعادتين: الدنيوية، والأخروية، وأتقنوا علم السياستين: الحربية، والمدنية، فقاموا بتلك الفتوح التي رفعوا بها لواء العدل، وأقاموا بها قاعدة المساواة، وأطلقوا ريح الحرية يتنسمها الضعفاء والأقوياء على سواء.

ساد الإسلام في البلاد، وتفيأت ظلاله في الأغوار والأنجاد، والباحث في التاريخ بإنصاف يشهد أن تلك السيادة كانت تقوى وترسخ في الممالك على قدر استضاءة الأمة بعلوم الدين، وعملها بنصائحه، وتحليها بآدابه.

ضعف المسلمون بعد تلك القوة، وانحدروا بعد الصعود، واستخف بهم أعداؤهم بعد أن كانت مهابتهم تملأ الصدور، فوقعوا فيما ترونه بأعينكم، وتسمعونه بآذانكم.

وكان من سنة الأمم التي تصعد إلى ذروة العز والمجد، ثم تنحط إلى درك الهون والخمول: أن تقوم طوائف منها يبحثون عن علة ضعفها وانحدارها، ثم ينظرون في الوسيلة التي تعيد إليها شباب مجدها، وتملأ الصدور بمهابتها.

قامت طوائف يرمون بخطبهم وأقلامهم إلى هذا الغرض، فمنهم المصيبون، ومنهم المخطئون، ولا أريد بسط القول في بيان من أصابوا منهم ومن أخطؤوا، بل أختصره اختصاراً، فأقول:

وجد بين الباحثين عن علة ضعفنا واستضعافنا طائفة اهتدت إلى أن العلة هي انصرافنا عن نصائح الكتاب العزيز، ونكث أيدينا من الاعتصام بشرعه،

فنهضوا يخطبون ويكتبون في بيان حقائق الدين الإسلامي، ويقيمون الحجة على صدق لهجته، وبديع حكمته، وعلى هذا المبدأ المقدس تألفت جمعية الهداية الإسلامية.

تألفت هذه الجمعية في شهر رجب سنة ١٣٤٦، وافتتحت عملها بإلقاء المحاضرات في المساجد والنوادي، ثم عزمت على إصدار مجلة ينشر فيها ما يلقيه حضرات أعضائها من الخطب والمحاضرات، وما تجود به أقلامهم من الرسائل والمقالات، وقرنت عزمها بالعمل، وقرن الله عملها بالتوفيق والنجاح، فأصدرتها في غرة جمادى الثانية سنة ١٣٤٧، وما زالت تصدر بانتظام وهي تغالب الأزمات، ولا تهاب ما يقف في وجهها من العقبات.

وما زالت الجمعية تجاهد بمحاضراتها نحواً من ست سنين، وبمجلتها نحواً من خمس سنين، فقطعت في تحقيق أغراضها النبيلة مراحل بعيدة المدى.

ولنذكر لحضراتكم أمثلة من نزعات الطوائف التي حاربتها الجمعية في قوة وحكمة:

وجدت الجمعية رهطاً نشؤوا في عماية، وتخبطوا في سفاهة، فزعموا أن سبب سقوط الأمة الإسلامية من مكانتها تمسكُها بدينها، ووقوفها عند حدود شريعتها، حتى قالوا: إن سبب فقدها لسلطانها الغالب ربطُها للسياسة بالدين.

وقد أرتهم الجمعية أنهم قد قلبوا الحقيقة رأساً على عقب، وكانت تذكرهم بالتاريخ الصادق، وتعرض عليهم أحوال الشعوب المختلفة في العصور، فتناديهم بأن قوة الدولة وعزتها على مقدار إقامتها للشريعة السمحة،

وارتباطها بأحكامها العادلة.

وجدت الجمعية فريقاً آخرين اشتدت عداوتهم للإسلام، وحدثتهم أنفسهم بالعمل لهدمه من أساسه، فابتدعوا نحلاً يخدعون بها الضعفاء والجهّال، ويزعمون أنها الإسلام، ومن أخبث هذه النحل: نحلتا البهائية، والقاديانية، وقد كشفت الجمعية عن سرائر هاتين النحلتين، وأقامت الحجة على أن مؤسسيها ملاحدة يخادعون الله والذين آمنوا، ولو ألقت حبلهما على غاربهما، وخلت لهما السبيل، لأضلوا كثيراً.

وجدت الجمعية فريقاً لا يبحثون في علم، ولم يرزقوا فطراً سليمة تعينهم على السير في رشد، فاندفعوا إلى محاكاة غير المسلمين، حتى فيما تتبرأ منه الفضيلة، ويلعنه الدين الحق لعناً كثيراً، وقد عنيت الجمعية بحال هذا الفريق، وأخذت تنظر إلى ما يحاكون فيه الأجانب، وتزنه بميزان الحكمة، فتميز الخبيث من الطيب، وتدعوهم بالتي هي أحسن إلى أن يكونوا نابتة صالحة، وأغصاناً مثمرة.

وجدت الجمعية فئة لا يفرقون بين ما هو من حقائق الدين، وما هو من المحدثات الملصقة به، فقد تعدُّ بعض ما تسعه أصول الدين بدعة، وتعدُّ بعض ما لا يقبله الدين سنَّة، فوقفت الجمعية في هذا الشأن على بصيرة، وجعلت مرجعها في الفرق بين السنة والبدعة، الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

وجدت الجمعية بعد هذه الفرق جماعات من الأجانب يهبطون أوطاننا، ويفتحون مدارس ومستشفيات يتخذونها حبائل لإفساد عقائد أبنائنا، وإخراجهم من نور الإسلام إلى النصرانية، فكان لمحاضرات الجمعية ومجلتها حظ عظيم

من مقاومة هذا النوع من التضليل.

ولم تقصر الجمعية في محاضراتها أو منشآت مجلتها على هذه الموضوعات الدينية أو الاجتماعية، بل خدمت اللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي أجل خدمة. وألقيت على منصة خطابتها محاضرات في بعض الفنون أو المخترعات العصرية، تسمح بذلك حيث ترى في إلقائها زيادة تنوير للأذهان، أو تمريناً لشبانها على صناعة المحاضرة والخطابة.

ومن مقاصد الجمعية: تأكيد رابطة التعارف بين رجال العلم والفضل في مختلف الأقطار الإسلامية، وقد أقامت لتحقيق هذا المقصد النبيل حفلات أتت بثمرات طيبة، وإن عزمها على أن تقيم أمثال تلك الحفلات كلما سنحت الفرصة لَشديد.

ومن أعمال الجمعية: تحرير مذكرات تقدمها لأولي الشأن عندما تقتضي المصلحة تقديمها؛ كمذكرتها في إلغاء البغاء، ومذكرتها في طلب العناية بالتعليم الديني في مدارس الحكومة، وإعطائه حقه.

هذه مساعي الجمعية التي أنشأت هذا الفرع في حيكم الكريم، وترجو من الله تعالى المعونة والتوفيق، ومن حضراتكم الإقبال والمؤازرة، وإنكم - إن شاء الله - لفاعلون.

*** نداء من جمعية الهداية الإسلامية إلى كل مسلم يحب العمل في سبيل الله[1]:**

لقد انكشف الغطاء عما كان مستوراً من خفايا المدارس التي تريدها جمعيات التبشير، وما لهذه الجمعيات من ملاجئ ومستشفيات، وثبت

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» - الجزء العاشر من المجلد الخامس.

للجمهور أن ما ارتكبه هؤلاء المضللون في بناتنا وأبنائنا مخالف للقوانين والمروءات وأصول الديانات، فضلاً عن إهانتهم الأمة بتحاملهم على دينها، واستخفافهم بقرارات الحكومة، ومحاولتهم مخالفة النظام.

وقد رأى المسلمون بعيونهم، ولمسوا بأيديهم الخطر المحقق من إدخال أبناء المسلمين وبناتهم مدارس هؤلاء المعتدين على الإسلام، ومن تردد الرجال والنساء على مستشفياتهم وملاجئهم.

إن المبشرين لم يأخذوا أبناء المسلمين وبناتهم بالقوة من بيوت آبائهم، وإنما الذي قذف بهؤلاء البنات والأبناء إلى هذه المدارس هم آباؤهم، وولاة أمورهم، فجنوا بذلك على الوطن، وعلى الدين، وعلى رجال المستقبل وأمهات المستقبل، أعظمَ جناية.

إن جمعية الهداية الإسلامية توجه هذا النداء إلى كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بأن يعمل ما استطاع لإنقاذ هذه الضحايا من هذه الأماكن الخطرة. فمن وصل إليه هذا النداء من المسلمين والمسلمات، وله ابن أو بنت، أو قريب أو قريبة في أية مدرسة غير إسلامية، يجب عليه أن يبادر في الحال إلى إنقاذه منها، لاسيما والسنة الدراسية انتهت، فيجب أن لا يتجدد دخول تلميذ مسلم أو تلميذة مسلمة مدرسة غير إسلامية بعد الآن مهما كانت الحال.

وكل من يصل إليه هذا النداء من المسلمين والمسلمات، وهو يعلم أن لصديقه أو جاره أو زميله أو مواطنه ولداً أو بنتاً في مدرسة غير إسلامية، عليه أن يبذل ما استطاع من إقناع لحمل هؤلاء على إخراج أولادهم وبناتهم من ذلك الوسط الذي رأى الناس جميعاً شدة ضرره وخطره.

لا ريب أن المسلمين في ألم عظيم من الإهانات الواقعة على الإسلام في جهات كثيرة، وكل مسلم يسأل عن العمل الذي يستطيع أن يقوم به، فجمعية الهداية الإسلامية توجه نظر كل من يقع نظره على هذا النداء من المسلمين إلى هذا النوع من أنواع الجهاد، وتؤكد لهم أن العمل فيه له عند الله ثواب العبادة.

أيها المسلمون! يجب أن لا تبدأ السنة الدراسية الجديدة وفي مدارس المبشرين مسلم أو مسلمة، وإذا مضى سنتان أو ثلاث على مدارسهم، وليس فيها مسلم، فإنها ستقفل من نفسها، وتستريح الأمة منها.

هذا ميدان من ميادين العمل، والله يحب العاملين.

*** فاتحة السنة السادسة[1]:**

الحمد لله الذي أنطق الألسنة بالحكم الرائعات، وشرح القلوب بالعظات البالغات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى سبيل الرشاد، والمبعوث بالشريعة الخالدة إلى يوم التناد، وعلى آله المستقيمين على الطريقة المثلى، وأصحابه العاملين لإعلاء كلمة الحق، وجعلِ كلمة الباطل هي السفلى.

أما بعد:

فقد قضت مجلة «الهداية الإسلامية» سنتها الخامسة وهي ثابتة على مبادئ الجمعية، عاملة لتحقيق مقاصدها، تضع بين يدي قرائها محاضرات أو مقالات تكشف عن حقائق دينية، أو تحرر مباحث علمية، أو تلم بشؤون

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد السادس.

اجتماعية، أو تدني قطوف فوائد لغوية أو أدبية، وسيكون عزمها ـ بتوفيق الله تعالى ـ في هذه السنة أمتن، وجهادها أكبر، ونظامها أحكم، وما ذلك من أعضائها وأنصارها ببعيد.

والمجلة تشكر لمن شدَّ أزرها بما آتاه الله من علم وحسن بيان، أو مدَّها بقيمة الاشتراك، أو بما طابت به نفسه من تبرع، عالماً أن المال ينفد، وما عند الله خير وأبقى. وتعتذر لحضرات من كانت ترسل إليهم في كل شهر، ولم يرعوا حقها، بأن حالتها المالية اضطرت إدارتها لأن تكف عن إرسالها إلا إلى من تكرموا بدفع قيمة الاشتراك في السنة الماضية، أو رغبوا في الاشتراك فيها، وعرضوا رغبتهم على إدارة المجلة مباشرة، أو على طريق بعض وكلائها.

وأما من بقي في ذممهم شيء من قيمة الاشتراك بعد الاطلاع على الخطاب الذي وجهته لتذكيرهم بهذا الحق، فقد وكلتهم إلى ضمائرهم، فمن وجد ضميره مرتاحاً لاهتضام جمعية تخدم الدين والعلم والأدب، فليبق على ذلك الارتياح ما شاء.

هذا، وقد استحسن حضرات أعضاء مجلس الإدارة أن يكون أول سنة المجلة شهر رجب؛ لأنه مبدأ النصف الثاني من السنة، والشهر الذي أسست فيه الجمعية.

ونرجو من الله تعالى أن يكون التوفيق رائدنا، وتأييد الحق في كل حال نصب أعيننا:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

*** كلمة في حفل تكريم المتبرئين من القاديانية[1]:**

فضيلة الأستاذ الأكبر، وأصحاب الفضيلة! ويا أيها السادة الكرام: أقدم لحضراتكم جميعاً عظيم الشكر على ما تفضلتم به من قبول دعوة الجمعية وتشريفها بالحضور.

ساعة مباركة أقف فيها مغتبطاً بهذا الاحتفال البهيج، ومهنئاً حضرات إخواننا الذين استكشفوا دخيلة النحلة القاديانية، ثم عادوا إلى وطنهم الذي هو الإسلام، وقلوبهم تتلألأ إيماناً خالصاً.

وقد كان في اتصال هؤلاء الإخوان بتلك النحلة الزائفة، وإعلان براءتهم منها على رؤوس الأشهاد فائدتان عظيمتان:

أما الأولى: ففائدة علمية؛ فإنهم اطلعوا على سريرة ذلك المذهب المنافق، وتركوه على بينة من أمره، ومن طريقهم اطلعنا على كتب ومقالات لغلام أحمد كانت عوناً لنا على سعة العلم بزيفه وسخف عقله، وقوة على نقض ما يورده هو وأتباعه من شبه وأباطيل.

وأما الثانية: فخلقية؛ فإن حضرات الإخوان عندما وقفوا على فساد تلك النحلة، وخروجها على الدين الحنيف، حملتهم فضيلة الإنصاف والرجوع إلى الحق على أن يعودوا إلى صفوف المسلمين، ويجاهدوا في سبيل الرشد مع المجاهدين، وقليل من الناس من يرجع إلى الحق بعد الابتعاد منه،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد السادس. كلمة الإمام في حفلة جمعية الهداية الإسلامية التي أقامتها مساء الخميس ١٩ شعبان من عام ١٣٥٢هـ تكريماً لإعلان رئيس طائفة القاديانية في مصر، والأذكياء البررة من أصحابه براءتهم من هذه النحلة.

وقليل من الناس من يعلـن براءته من مذهب اتصل به، واسـتبان أنه مذهب غير رشيد.

نحن نعلم أن القاديانية كالبهائية، فرع من تلك الشجرة الخبيثة؛ أعني: نزعة الباطنية، والباطنية ـ أيها السـادة ـ نِحْلَة، بل مكيدة بيَّتها طائفـة من المجوس؛ ليأخذوا ـ في زعمهم ـ بثأر المجوسية من الإسلام، ومن درس تاريخ الباطنية، وجد مبادئها تتمثل في النحلتين القاديانية والبهائية في أجلى صورة، ومن مبادئها: أن يتظاهر زعماؤها بالدعوة إلى الإسلام، وهم يعملون في الخفاء لتقويض أركانه، ولا يبوحون بما في صدورهم إلا لمن استدرجوه حتى وقع في حبالتهم، وأصبحت نفسه قريبة من نفوسهم، وكذلك يفعل دعاة هاتين النحلتين الخاسرتين.

ليبث أولئك المضلون في غير بلاد الإسلام ما شاؤوا من سموم قاتلة، وحرام على مصر وغير مصر من بلاد الإسلام أن يتخذ فيها أذناب غلام أحمد، وأذناب عباس البهائي سوقاً ينادون فيه على بضائعهم الموبئة.

ولا لوم على من يتصل بطائفة يزعمون أنهم دعاة إصـلاح، حتى إذا وقف على خفي أمرهم، وضاق صدره من ظلمات إلحادهم، صرف وجهه عن وجوههم، وحذر الناس من الاتصال بهم، والإصغاء إلى هذيانهم، وإنما اللوم، بل غضب الله على من لم يسلَّ يده من أيديهم، ويرضى أن يكون من عُمّار مجالسهم، ومكثّري سوادهم.

وأعـود فأقـول: إن حضـرات إخواننا المحتفَل بهم، قد خدموا بهذه البراءة الدين الإسلامي أجلّ خدمة، ورفعوا صرح فضيلة قلّ من يفي بحقها، وهي فضيلة الرجوع إلى الحق، فإذا احتفلنا بتكريمهم، فإنما نحتفل بتكريم

جنود الحق، وأنصار الفضيلة، وتكريم الله لهم في هذه الحياة، وتلك الحياة خير وأبقى.

*** خطبة الإمام في حفل افتتاح فرع جمعية الهداية الإسلامية بالجيزة[١]:**

أيها السادة! من الذي لا يدري أن المسلمين كانوا أقوم الأمم سيرة، وأسعدها حياة، وأشرفها مظهراً، يفجرون ينابيع العلم إذا فكروا، ويرفعون لواء الظفر إذا دافعوا، ويبسطون ظلال العدل إذا حكموا، وهم الذين أحكموا صناعة السياسة الممزوجة بالرفق، المحوطة بالحزم، يعرف ذلك شبانهم كما يعرفه شيوخهم، ويشهد به خصومهم كما يشهد به أعقابهم. فلست في حاجة إلى أن أعرض على حضراتكم صفحة من تاريخهم المجيد، وإنما أريد أن أذكركم بأن ذلك الانقلاب الخطير، بل الإصلاح الذي لا يعرف له التاريخ من نظير، لم يكن صنع مفكر عبقري، ولا نتيجة تدبير بشري، وإنما هو أثر الحكمة التي نزل بها القرآن الكريم، وجرت على لسان ذلك الرسول العظيم ﷺ.

فتح المسلمون الشرق والغرب، وحملوا إلى الأمم إصلاحاً لم تحمله إليها أمة من قبل ولا بعد، وحدث بعد هذا أن تزعزعت أركان عظمتهم، وكسفت شموس فخارهم، فإذا هم في ظلمات بعضها فوق بعض، فلم تبق لهم عين تبصر ماذا تعده الأمم الأخرى من قوة، ولم تبق لهم أذن تحس ما تبيته تلك الأمم من خطط الهجوم، فصاروا في غفلة وغيرُهم في يقظة،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثاني عشر من المجلد السادس. احتفلت الجيزة بافتتاح نادي فرع جمعية الهداية الإسلامية فيها مساء الأحد ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٥٣هـ، وألقى الإمام هذه الخطبة.

صاروا في بطالة وغيرهم في عمل، صاروا في لهو وغيرهم في جد، صاروا في تفرق وغيرهم في اتحاد، صاروا في تخاذل وغيرهم في تعاون، صاروا في خمول وغيرهم في ظهور، فكانت عاقبتهم شقاء بعد سعادة، ذلة بعد سيادة:

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر عليه فإن الله ينزعه

أطلق أولو الألباب أنظارهم ليتعرفوا أسباب هذه الحالة الممزقة للأفئدة، فاهتدوا إلى أن العلة التي أكلت اللحم، وشربت الدم، وأوهت العظم، هي انصرفنا عن أوامر الدين الحنيف، ونبذنا لوصاياه العالية وراء ظهورنا، فتهاوناً بالواجبات، وانقدنا إلى الشهوات، ولم ننتفع بالعظات البالغات.

قام دعاة الاصلاح يصفون تلك العلة القاتلة، وينادون بالرجوع إلى الدين الحق في غير تباطؤ، ويبينون كيف تنطبق أصوله الصحيحة وآدابه السنية، على قوانين مكارم الأخلاق، ومقتضيات المدنية الفاضلة، فأخذ الناس ينتبهون من سباتهم، ويفتحون لنصائح أولئك الدعاة قلوبهم، فقلنا: حياة جديدة، ونهضة مباركة.

وحدث بعد هذا أن خرج بعض الزائغين في ثوب الدعوة إلى الإصلاح، وصاروا يقلبون الحقائق، ويدسون السم في الدسم، وبدت الزندقة والإباحية على أفواههم، حتى نعق غراب من غربانهم قائلاً: إن سبب تأخر المسلمين ربطُهم السياسة بالدين، ولا ندري متى ربط المسلمون السياسة بالدين فتأخروا، ولا متى فصلوها عنه فتقدموا!.

وما كفى هؤلاء الزائغين أن يكونوا في أنفسهم ملاحدة إباحيين، بل تصدوا للدعاية إلى اللهو والباطل والفجور تحت اسم: الحرية والتجديد.

اتصلتْ هذه الدعاية الخائنة بشبان لم ينبتوا نباتاً حسناً، ولم يتعدوا قشور العلم إلى لبابه، فتزلزلت عقائدهم، وساءت أخلاقهم، وأصبحت الأمة تذكرهم في أسف، وتتمثل بقول الشاعر:

وإخـــوان حــسبتهم دروعـــاً فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادي

وخلـــتهم ســـهاماً صـــائبات فكانوهـــا ولكـــن فـــي فـــؤادي

وقـالوا: قـد صـفت منّـا قلـوب نعم صدقوا، ولكـن مـن ودادي

وبلي المسلمون بعد طاعون الإلحاد بدعايات أخرى مضلة عن السبيل؛ كدعاية البهائية والقاديانية، ومن يسمون أنفسهم: المبشرين.

ولحماية أبنائنا من مرض الإلحاد، وإنقاذهم من شرور تلك الدعايات، أسست جمعية الهدايـة الإسـلامية، ويضـاف إلى هذا: عنايتها بإحياء اللغة العربية، وترقية آدابها، ثم سعيها في عقد رابطة التعارف بين الشعوب الإسلامية، ولا سيما رجال العلم والأدب، ومن لهم سابقة في خدمة الإسلام والمسلمين.

تعمل الجمعية لهذه الأغراض السامية بما يُلقيه حضرات أعضائها أو مؤازريها من خطب ومحاضرات، وبما يحررونـه في مجلتها من مقـالات، وبما تقيمه لتكريم العلماء أو الفضلاء المخلصين من حفلات، وقد قطعت - بتأييد الله تعالى - في العمل لهذه الأغراض أشواطاً بعيدة، وهي صحيحة العزم، رشيدة الرأي، ثابتة الخطا.

ومن أسباب نجاح الجمعية - بعد توفيق الله تعالى -: أنها تتوخى في دعوتها سبيل الرفق والحكمة، وتتحامى أن تخوض في أمور تثير عداوة طائفة من الطوائف الإسلامية، فإن دعاها الحال إلى تقرير حقيقة يخالف فيها بعض الطوائف، بيناها بقول لين، دون أن نمس الطائفة المخالفة بكلمة جافية،

نفعل ذلك امتثالاً لنصيحة القرآن، وحذراً من أن نحدث تقاطعاً بيننا وبين قوم مسلمين.

ومن أسباب نجاح الجمعية: أنها لم تحد عن الخطة التي أخذتها على نفسها من العناية بالشؤون الإسلامية والعلمية والأدبية والاجتماعية، وعدم التدخل في الشؤون السياسية والإدارية، والسياسةُ الرشيدة بناء أساسُه الإيمان الراسخ والآداب السنية، والعلوم الصحيحة، واللغة الراقية، ويكفي الجمعية أن توجه همتها لإصلاح الأساس حتى يكون البناء مستقيماً محكماً.

هذه أغراض جمعية الهداية الإسلامية، وهذه سيرتها، وقد تعرفها نخبة من شباب الجيزة النجباء، فارتاحت لها نفوسهم الطيبة، ورأوا أن الجيزة في حاجة إلى جمعية تسير هذه السيرة، وتعمل لهذه الأغراض، فزاروا مركز الجمعية العام، وعرضوا رغبتهم في إنشاء فرع لها في هذا البلد الكريم، فرأينا سيماء الإخلاص في وجوههم، فأكبرنا همتهم، وبادرنا إلى إجابة رغبتهم، فأنشؤوا هذه الجمعية المحتفل بافتتاحها، وألفوا مجلس إدارتها من أساتذة أجلاء، وفتيان مخلصين نبهاء، فجمعوا إلى تجارب الأساتذة ورويتهم، نشاطَ الفتيان ومضيَّ عزائمهم.

ونحن على ثقة من أن هذه الجمعية ستسير بجانب الجمعية القائمة بالقاهرة، تقصد قصدها، وتنسج على مثالها، فنراهما ـ بتوفيق الله تعالى ـ متعاونين على الدعوة إلى الحق والفضيلة، يرودهما الإخلاص، ويحالفهما الثبات، وما كان الإخلاص رائده، والثبات حليفه، فذلك العمل الصالح الذي يكتب الله له النجاح، وينفع به الناس.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

*** فاتحة السنة السابعة[1]:**

نحمدك اللهم حمد من هديته السبيل، وحميته من سوء التأويل، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الداعي إلى أقوم حجة، بأبلغ محجة، وعلى آله الأخيار، وصحبه الأبرار، وكل من أخلص في طاعتك، واعتز بهدايتك.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة سنتها السادسة في جهاد لا يحوم عليه فتور ولا ملل، أما سلاحها، فالحكمة والموعظة الحسنة، وأما غايتها، فظهور الرشد على الغيّ، وإقامةُ معالم المدنية الطاهرة، وتربية النشء على سموّ الهمة، والطموح إلى المعالي، والاعتماد على النفس، بل غايتها النهوض بالشرق إلى ذروة المجد، حتى تكون له العزة من بعد، كما كانت له من قبل.

جاهدت المجلة في هذا السبيل، فكان لجهادها أثر لا يستهان به، والفضل في هذا النجاح ـ بعد توفيق الله تعالى ـ لحضرات المشتركين فيها، وأعضاء الجمعية وأنصارها، هذا ينفق عليها من علمه الغزير، وذلك يؤازرها بقلمه البارع الحكيم، أو رأيه الراجح الأمين، وآخر يمدها بما استطاع من مال كثير أو قليل، وقد اتصلنا على طريق المراسلة بطائفة عظيمة من أكابر العلماء ونوابغ الأدباء، في مصر وغيرها من البلاد، نستنهض أقلامهم المشهود لها بالبلاغة والإخلاص؛ لتحرير مباحث علمية، أو مقالات أدبية، أو قصائد إصلاحية، وإهدائها للمجلة، حتى يتحقق ما نسعى له في كل وقت، وهو أن تكون هذه المجلة كمعرض لآراء علماء الشعوب الإسلامية وزعمائها،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد السابع.

وفي مثل هذا التعاون خير كثير.

وأختم كلمتي هذه بشكر حضرات أولئك العلماء والأدباء والفضلاء الذين جردوا أقلامهم، أو أنفقوا شيئاً من أموالهم، أو قالوا كلمة طيبة في مؤازرة هذه المجلة، فلولا هذه المؤازرة، لما استطاعت القيام بشيء من الواجب الذي تؤديه اليوم في روية وحزم وتؤدة. والله المستعان على بلوغ المرام، وله الحمد في البدء والختام.

*** شعبة شباب الإصلاح لجمعية الهداية الإسلامية[1]:**

تألفت جمعية الهداية الإسلامية منذ سبع سنين لمقاصد هي: بيان سماحة الإسلام، وبث آدابه العالية، والتحذير مما ألصق به من بدع وأباطيل، والعمل لتعارف الشعوب الإسلامية، وتوثيق الرابطة بينها وبين أفرادها وجماعاتها، والمحافظة على اللغة العربية، وترقية آدابها، والنظر في أحوال الاجتماع ومقتضيات المدنية، لترشد إلى ما كان صالحاً، وتحذر مما كان سيئاً. .

سارت الجمعية في سبيل هذا الإصلاح، وبلغت ـ بحمد الله تعالى ـ غاية بعيدة، فعرفت بالإخلاص في الدعوة، والاستقامة على الطريقة، وما زالت تتبع علل الفساد، وتجتهد في مداواته، حتى ألقت على حال الشباب نظرة خاصة، فرأت في كثير منهم غفلة عن تعاليم الإسلام، وقلة احتفال بتاريخ عظمائه، وعدم إعطاء اللغة العربية حقها، وذلك ما بعثها على أن أنشأت في مركزها بالقاهرة شعبة سمتها: «شعبة شباب الإصلاح»، ووضعت لها

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد السابع. قرر مجلس إدارة جمعية الهداية الإسلامية إنشاء شعبة تدعى: «شعبة شباب الإصلاح» لجمعية الهداية الإسلامية. فوجه الإمام هذا النداء.

نظاماً يدور على إرشاد طلاب العلم إلى العقائد الصافية، والآداب السنية، وأخذهم بالأساليب الحكيمة إلى القيام على اللغة العربية وآدابها، وتمرينهم على الخطابة والتحرير والنقد، وإلقاء المحاضرات في العلوم والأخلاق، وآداب الاجتماع، ومساعدتهم على القيام برحلات علمية أو تاريخية، وفتح قاعة يجلب إليها من الكتب القيمة ما ترى فيه عوناً على تحقيق هذه الأغراض الشريفة، علاوة على ما تحتويه مكتبتها من الكتب الدينية والتاريخية والأدبية، فغرض الجمعية من إنشاء هذه الشعبة: أن تعد للمستقبل رجالاً يكونون مُثلاً كاملة للاعتزاز بالدين، والتحلي بالاستقامة، والاحتفاظ بالكرامة، والإخلاص في الدعوة إلى الإصلاح، والخبرة بطرق الإقناع.

وأدرك فريق من أذكياء الطلبة خلوص الجمعية في إنشاء هذه الشعبة، ووثقوا بكفاية رجالها للقيام بالمشروعات الجليلة، فأقبلوا على الانتظام في سلكها، والسير على منهجها، وأقبلت عليهم الجمعية فسيحة الصدر، آخذة بالحزم في إنجاز الأمر، وأملها أن ينضم إلى هؤلاء الأذكياء كثير من أمثالهم، وما كثرة أعضاء هذه الشعبة إلا قوة تملأ سبيل الإصلاح ضياء، وتدع الدعايات الباطلة هباء، وعلينا الثبات واقتحام العقبات، ومن الله التوفيق والهداية لأقوم طريق.

*** فاتحة السنة الثامنة[1]:**

حمداً لمن أنزل القرآن المجيد في أفصح لسان، وعلمنا كيف ندفع الشبهة بالبرهان، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد الذي أنشأه الله في حصن من العصمة، وأرسله إلى الناس رحمة، وعلى آله النبلاء، وأصحابه الأجلاء،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الثامن.

وكل من جاهد في الحق على سواء، ولم يتخذ من المضلين أولياء.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة سنتها السابعة في سيرة راضية، وجهاد حازم، تأخذ في دعوتها بالموعظة الحسنة، وتتحرى في مباحثها العلمية الأساليب السائغة، ترشد إلى الحقائق الدينية، وما يرجع إلى إصلاح حال المجتمع، وتتجاوزهما إلى موضوعات لغوية أو أدبية أو تاريخية، وتسع صفحاتها جانباً كبيراً من مباحث العلوم الكونية، وتلم بشؤون مما يجري في البلاد الإسلامية، ويتصل بالحركة الإسلامية، وتنقد ما تراه في بعض الصحف من الآراء المنحرفة عن أصول الدين، أو قوانين العلم، وتناقشها في حدود أدب البحث، ولا تبالي ما تلاقيه في سبيل ذلك من أذى.

ومما زاد بعزم القائمين بهذه المجلة قوة: رغبة كثير من أهل العلم والأدب والفضل في الاتصال بها، وإقبالهم على اقتنائها، وشهادتهم لها بأنها صافية الموارد، بعيدة من لغو الحديث، آخذة في نقدها بقانون المنطق السليم.

وقد حافظت المجلة على ما وصفت به نفسها من أنها مجلة العالم الإسلامي، فكانت ملتقى أقلام العلماء والأدباء في الشرق والغرب، وربما احتوى الجزء الواحد منها على مقالات واردة من أقطار مختلفة؛ كمصر والشام وتونس والمغرب الأقصى.

وحقيق علينا أن نقدم خالص الشكر إلى حضرات أولئك العلماء والأدباء على ما تفضلوا به من تلك المقالات، أو المحاضرات، أو القصائد التي تزينت بها صفحات هذه المجلة، وكانت جهاداً في سبيل الدين والعلم والأدب والفضيلة.

وحقيق علينا أن نشكر أولئك الذين يقدرون ما تقوم به الجمعية من أعمال نافعة، ويشعرون بأن هذه الأعمال تستدعي نفقات غير قليلة، فيبادرون إلى مؤازرتها بإرسال قيمة الاشتراك فيها أو في مجلتها، ونعتذر لمن أرسلت إليه المجلة نحو السنتين، ولم تسمح له نفسه بإرسال قيمة الاشتراك على ضآلته، فأوقفت الإدارة إرسالها إلى حضرته، نعتذر إليه بأن تباطؤه عن مساعدة الجمعية بتلك القيمة الزهيدة، يشعر بضعف الرغبة في الاتصال بمجلتها. ونحن لا نحرص على أن نبعث بها إلا لمن يضعها موضع العناية.

هذا، وقد اتصل بالجمعية رجال من أفاضل العلماء والكتاب، وسيكون للمجلة من منشآتهم ومحاضراتهم ـ إن شاء الله تعالى ـ حظ عظيم.

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[يونس: ٢٥].

*** نداء جمعية الهداية الإسلامية لمساعدة منكوبي فلسطين[1]:**

منذ تدفق سيل الهجرة الصهيونية على أرض فلسطين، وإخواننا العرب يلاقون أياماً قاسية، ولا أشد قسوة من هذه الأيام التي يذوقون فيها الشدائد ألواناً، ولا أظن ذا قلب يسمع أنباء ما يجري في تلك الأرض المقدسة من الحوادث المرهقة، ولا يذوب قلبه حزناً على ما يتجرعه أولئك المنكربون من غصص، إلا أن يكون هذا القلب مخلوقاً من الحديد أو الحجارة.

وإذا كان الرجال يصبرون على الشدائد، ويخوضون الخطوب من غير مبالاة، فلنضع أمام أعيننا أطفالاً يتضورون جوعاً، ونساء فقدن القوت بفقد من كان يقوم عليهن، وهذا أشد ما يهز عواطفنا، فيبسط كل منا يده

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن.

بما يستطيع من معونة، عسى أن تخفف عن أولئك المنكوبين وقع الكارثة التي غَلَّت أيديهم، وأكلت لحومهم، وشربت من دمائهم.

يكفينا في إثارة عواطف الأمة المصرية الكريمة لمساعدة منكوبي فلسطين أن نعرض عليها حال أولئك الأطفال والنساء والمستضعفين من الرجال؛ لأننا نعلم أن بين جوانحها أفئدة رقيقة، ونفوساً سباقة إلى الخير، ولكننا نذكِّرها ـ بعد هذا ـ بحق الجوار، وبواجب الدين الذي يدعو إلى التراحم والتعاون عند الشدائد، وإذا كان لرضا الخالق وسائل، فالتراحم من أقرب وسائله، وإذا كان للتراحم مظاهر، فمعونة المنكوبين من أجلِّ مظاهره.

ونذكّر الأمة المصرية الكريمة بتاريخها المجيد؛ فإنه يشهد بأن لها في رعاية الجوار، والعطف على شعوب الشرق مواقف محمودة، والأمة المشهود لها بالزعامة، والطامحة إلى أن تكون أعلى ذروة من المجادة كالأمة المصرية، يسرها أن تعمر حاضرها كما عمرت ماضيها بالهمم العظيمة، والأيادي البيض، والمكارم التي تلبسها أطواق الشكر والثناء.

وستشارك جمعية الهداية الإسلامية في هذا السبيل بما يتيسر جمعه من حضرات أعضائها وأصدقائها معتبرة بقوله تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

*** فاتحة السنة التاسعة[1]:**

نحمدك اللهم على أن أريتنا سبيل الرشد واضحاً جلياً، والصلاة والسلام

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد التاسع.

على سيدنا محمد الذي أنزلت عليه قرآناً عربياً، ورفعت ذكره مكاناً علياً، وعلى آله الذين اقتبسوا من سيرته أدباً سنياً، وصحبه الذين جاهدوا في الحق، وعلى كل من كان للحق ولياً.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة سنتها الثامنة، وهي تستمد من الله تعالى المعونة فيمدها، وتطلب من أولي العلم والأدب أن يهبوها من منشآت قرائحهم المبدعة، فتجدهم عند طلبها، فشكراً لهم على ما وهبوا من مقالات حكيمة، أو قصائد بليغة، أو محاضرات رفيعة.

وستأخذ المجلة ـ بتوفيق الله تعالى ـ في عامها التاسع مظهراً أرقى من مظاهرها الأولى، وتضع بين أيدي قرائها مباحث غزيرة الفائدة، مختلفة الفنون، ومما يساعدنا على تحقيق هذا الأمل: أن شعبة الهداية قد التحق بها أعضاء من كليات الجامعة والمدارس العالية، اتصل هؤلاء الأعضاء بالجمعية اتصال شباب صفت فطرهم، وطابت منابتهم، والتهبت حماستهم، فأقبلوا يعملون في كل ناحية من نواحي الإصلاح الذي أنشئت له الجمعية، في حكمة وتؤدة. ومما عقدوا عليه عزمهم: أن يمدوا هذه المجلة بمقالات سامية المقاصد، يحررونها، أو ينقلونها بالتعريب من صحف أو مؤلفات غير عربية.

وحيث انضم إلى الجمعية أعضاء قدروا سمو الغاية التي تدعو إليها، وأخذوا على أنفسهم النهوض بكل وسيلة من وسائل دعوتها، ستنتظم ـ بتأييد الله ـ المحاضرات على طريقة تجعلها أرقى طبقة، وأعظم فائدة.

وسنبذل مجهودنا في إصدار المجلة أول كل شهر، ويساعدنا على هذا: أن عمل طبعها أصبح تحت إشراف الجمعية نفسها، والله المستعان في كل حال،

والمعتصم في بلوغ الآمال.

*** حفلة تكريم رئيس مجلس الشيوخ[1]:**

سادتي! هذه جمعية إسلامية أدبية، وقد أخذت على نفسها منذ نشأت أن لا تتعرض للشؤون السياسية، ولا سيما شؤون السياسة المصرية، وقد مضى على إنشائها تسع سنين، وهي سائرة على الخطة التي رسمها أعضاؤها المؤسسون، ولا أكتمكم أن أعضاء الجمعية ـ شيوخاً أو شباباً ـ قد تختلف آراؤهم في بعض المسائل السياسية، وقد تذهب عاطفة هذا إلى ناحية، وعاطفة ذاك إلى أخرى، ولكنهم يدخلون دار الجمعية برأي واحد يرمي إلى غاية واحدة هي إعلاء شأن الثقافة الإسلامية الصحيحة، والجهاد في سبيلها بالحجة وحسن البيان.

وإذا أكبرت الجمعية ذا شخصية بارزة، فإنما تقدر فيه صدق الإسلام وأدبه، فإذا قامت اليوم تحتفل بتكريم الأستاذ الكبير محمود بسيوني، فلأنها عرفت فيه نفساً نشأت على هدى وسيرة نقية، ولأن سعادته يحمل عاطفة شريفة، عاطفة من يقول:

وأتعب إن لم يمنح الناس راحة ... وغيري إذا لم يَتْعَب الناس يَتْعَبُ

وتلك العاطفة هي التي جعلته يسعد ذوي الحاجات، ويبذل جاهه ووقته في قضاء مآربهم من غير سآمة ولا منة.

نعم، نحتفل اليوم بتكريمه؛ لأن لنا الأمل الوثيق أن يصرف جانباً من

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد التاسع. أقامت جمعية الهداية الإسلامية حفلة تكريم للأستاذ محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ المصري. وألقى الإمام هذه الكلمة.

حكمته وشجاعته في نصح مصر بأن تقف موقف الرصانة، ولا تطيش مع الطائشين، أو تزيغ مع الزائغين، فتغضب الخالق، ولا ترضي المخلوق، ينصح لها أن تحافظ على روح الدين، وبهذه الروح يصدق قول الشاعر في القديم:

من لم ير مصر ولا أهلها   لم يبصر الدنيا ولا الناسا

هذه أمنية جمعية الهداية الإسلامية، بل أمنية العالم الإسلامي من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

هذا، وأقدم خالص شكري لسعادة رئيس مجلس الشيوخ على التكرم بإجابة دعوة الجمعية، كما أقدم خالص شكري لحضرات السادة الذين أجابوا دعوتنا، وشاركونا في هذه الحفلة الموقرة.

*** الاحتفال بعودة الإمام من سورية[1]:**

سادتي! رأى حضرات السادة أعضاء جمعية الهداية أن يقيموا حفلة بمناسبة عودتي من البلاد السورية، فقلت: إن الجمعية قد مرت على تأسيسها عشرة أعوام، وهي تجاهد في سبيل الإصلاح بإخلاص وثبات وروية، فلنقم الحفلة على هذه المناسبة وحدها، فلم يحظ اقتراحي لدى حضراتهم بالقبول، ولم يسعني أمام رأيهم القاطع إلا أن سكتُّ، ووضعت رأيي تحت قدمي.

ولكني قرأت في ورقة الدعوة إلى الحفلة: أني رفعت ذكر الجمعية في البلاد السورية، فوجدت في نفسي شيئاً من الارتياح، ذلك لأن رفع ذكر

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد العاشر. أقامت جمعية الهداية الإسلامية حفلة تكريم للإمام بمناسبة عودته من سورية مساء الجمعة ١٦ شعبان ١٣٥٦ الموافق ٢٢ أكتوبر تشرين الأول ١٩٣٧، تحدث فيها عدد كبير من العلماء والأدباء عن فضل الإمام وعلمه وجهاده. وقد أجاب بهذه الكلمة.

الجمعية إنما هو بالحديث عن جهادها، واستقامة سيرتها، وسمو غايتها، وهذا الحديث في معنى ذكر مقاصد حضرات أعضاء الجمعية، وما يقومون به من جلائل الأعمال.

فبرحلتي ازداد أهل البلاد السورية خبرة بأن في مصر شيوخاً وشباباً يعتزون بالدين الحنيف، ويقدرون اللغة العربية، ولا يبالون في سبيل إعلاء كلمة الحق، ورفع شأن لغة القرآن، أن يجاهدوا بأموالهم وأقلامهم، وبكل ما يملكون من قوة.

فما أحرى هذه الحفلة أن تكون حفلة تكريم لحضرات أعضاء الجمعية وأصدقائها الذين يؤازرونها بمعارفهم ومنشآتهم وجاههم، ونفوذ كلمتهم، وإذا لم تسمَّ هذه الحفلة حفلة تكريم أعضاء جمعية الهداية وأصدقائها، فإنها لا تصلح إلا لهذا الاسم، ذلك أن نصيبي من العمل في الجمعية لا يزيد على عمل أي عضو من أعضائها، ولو بمثقال ذرة.

ولكن إخواني الذين وضعت يدي في أيديهم للنهوض بأعباء الدعوة إلى الحق، يبالغون في حسن الظن بي، فيرون الصغير من عملي كبيراً، وربما عدوا في حساب عملي أعمالاً جليلة لم تكن إلا وليدة آرائهم وأيديهم.

وإذا اغتبطت بشيء في الحياة، فإنما أغتبط بالعمل مع أمثال هؤلاء الرجال الذين يعملون في سكينة، والإخاء الصادق أو البنوة البارَّة تملأ ما بين جوانحهم.

وإذا كان من المناسب أن أذكر لحضراتكم على وجه المثل أثراً من آثار دعوتهم الحكيمة الحازمة، فهو أن كثيراً من طلاب العلم في المدارس العالية وكليات الجامعة، قد اتصلوا بالجمعية ليتعرفوا حقائق الدين وآدابه من محاضراتها،

ومجلتها، ومحاورات علمائها، وأصبحوا يقومون بجانب من أعمال الجمعية، ويتسابقون إلى تحقيق أغراضها بجد وحماسة. ومن الذي لا يشعر بأن أبناءنا الذين سيتولون مقاليد الأمور السياسية والإدارية والقضائية، في حاجة إلى تربية دينية صحيحة؟ وبغير هذه التربية لا تجد فيهم الأمة خيراً، بل يكونون بانحرافهم عن هداية الله عقبات في سبيل فلاح الأمة في الدنيا، وسعادتها في الآخرة.

هذا وأقدم خالص شكري لحضرات السادة الذين أجابوا الدعوة، وصرفوا جانباً من أوقاتهم النفيسة في حضور هذه الحفلة، كما أقدم خالص شكري لحضرات أعضاء الجمعية بمركز القاهرة، وفرع الجيزة، على كرم هممهم، وسمو عواطفهم، وإذا ارتحت لهذه الحفلة، فلأنها مظهر رضا إخواني عن أن أعمل في صفوفهم، ولأنها محققة لغرض من أغراض الجمعية، وهو العمل لتعارف أهل الفضل والأدب، وتأكيد روابط الصداقة الفاضلة بينهم، ولأنها تسدي إلى بعض الجماعات أو الأفراد نصيحة، هي أن صلة الإخاء الإسلامي هي الصلة النى يدور عليها التعاون على الدعوة إلى خير الأوطان وإصلاح شؤونها.

*** الاحتفال ببعثة الإخاء الإسلامي[1]:**

سادتي! كانت الأمة الإسلامية في قوة وعزة وسيادة، فسقطت إلى ضعف وذلة واستعباد، وإن من يسمو بنظره إلى تاريخنا أيام كنا نقول فنفعل، ثم يرجع

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد العاشر. أقامت جمعية الهداية الإسلامية حفلة تعارف إسلامي بمناسبة زيارة بعثة الإخاء الإسلامي، وبعثة فاروق الأول الصينيتين في يوم الجمعة ١٣ محرم ١٣٥٧ ـ ٢٥ مارس ـ آذار ١٩٣٨م. وقد ألقى الإمام هذه الكلمة.

بصره إلى حالنا الحاضـر، ويرى ماذا تقاسـيه الشعوب الإسلامية في الشرق والغرب من إهانة وعذاب، سال قلبه دماً قبل تساقط عبراته.

أروني شـعباً إسـلامياً يتمتع بالحرية في إقامة شعائر دينه، والتقاضي إلى شريعته السـمحة، وعنده من القوة ما يجعله في أمن من سطوة الأجنبي الغاشم!.

من الأقطار الإسلامية ما يشكو بلاء الاحتلال الجائر، ومنها ما يتخبط تحت سلطان الإلحاد الفاجر، ومنها مالا يزال في استقلاله أو شبه استقلاله ماسكاً بجانب من إيمانه، إلا أنه لا يملك من القوة ما يرهب به عدوه المتخفر، أو يدافع به عدوه المهاجم.

إذاً كل الشعوب الإسلامية في مرض وبلاء، وليس بينها شعب إسلامي يستطيع أن يزعم أنه في سلامة وأمن من سوء العاقبة.

هذه حقيقة مُرَّة، يجب أن نقولها، ثم نقولها، ثم نقولها؛ لعلنا نضعها نصب أعيننا، ونبذل كل مجهود في علاجها.

تسقط الأمم بالجهل والتفرق، وإذا اجتمع الجهل والتفرق، قال لهما البؤس: إني معكما، وقد ضرب الجهل بين الشعوب الإسلامية خيامه، وتفرقوا تفرق عِقد تقطَّع خيطه، فانتثرت حباته لا تقف حبة بجانب أخرى.

سادتي! دواؤنا أن نتفقه في حكمة القرآن المجيد، ونجري على ما يرشد إليه من وسائل القوة والحياة الطيبة؛ فإنه لم يترك وسيلة من وسائل الخير إلا دل عليها، ولا باباً من أبواب الشر إلا حذر منه.

ومن أعظم وسـائل الفلاح في الأولـى والآخـرة: أن نتعارف ونتوادَّ، ونتعاون، وقد أرشد إلى هذه الوسيلة العظمى قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾[الحجرات: ١٣].

وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠].

وقوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢].

إذاً يجب أن نتعارف، وإذا تعارفنا، توادَدنا، وإذا توادَدنا، تعاونا، وإذا تعاونا، لن تقف دون آمالنا الكبيرة عقبة.

سادتي! لا نيئس، ولا نجبن؛ فقد خلق الله شيئاً آخر خيراً من اليأس والجبن، هو الحزم والإقدام في حكمة، ولنوجه عنايتنا إلى تأكيد رابطة الإخاء الإسلامي، تلك الرابطة التي ألف الله بها بين أقوام اختلفت قبائلهم وأوطانهم، وامتن بهذا التأليف، فقال تعالى:

﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[الأنفال: ٦٣].

وإذا كانت الشعوب الإسلامية مسؤولة عن هذه الرابطة المقدسة، فإن نصيب مصر من هذه المسؤولية فوق كل نصيب، ذلك أن موقعها في وسط البلاد الإسلامية، ثم إن ما امتازت به من غزارة العلوم، وكثرة المعاهد الدينية وغير الدينية، قد جعلها مورد الراحلين على تباعد أوطانهم، ومقصد طلاب العلم على اختلاف رغباتهم.

ولعل ضيوفنا الكرام إذ يرون في هذا الاحتفال أساتذة وطلاباً من الجامعتين: الأزهرية والمصرية، وغيرهما من معاهد العلم، يلاقونهم في سرور، ويعبرون في خطبهم عما تحمله ضمائرهم لأبناء الأقطار الأخرى من عطف ووداد، يشعرون بأن في مصر روحاً إسلامية لا تلبث أن تكون

كلمتهـا هـي العليـا .

سادتي! إذا أقمنا هذا الاحتفال لتأكيد رابطة التعارف والصداقة بيننا وبين حضرات إخواننا الصينيين وغيرهم من أبناء الأقطار الإسلامية، فإنما نعمل لناحية من نواحي الإصلاح، فنقدم جزيل الشكر لحضرات أعضاء بعثة الإخاء الإسلامي، وبعثة فاروق الأول، وسائر من أجابوا دعوتنا، فلجميعهم الفضل في هذه الحفلة القائمة على صفاء، المشرقة بنور الإخاء، والسلام عليكم ورحمة الله .

*** مصاب تونس بوفاة عالم جليل[١]:**

أصيبت تونس بوفاة العلامة الجليل صديقنا الأستاذ الشيخ السيد محمد الصادق النيفر قاضي القضاة في تونس سابقاً، فقد كان الأستاذ ـ رحمه الله ـ أحد النوابغ الذين أنبتتهم الجامعة الزيتونية نباتاً حسناً، وكان له فضل كبير في النهضة العلمية الحديثة .

وقد قدرت الجمعيات العلمية والأدبية في تونس قدر الأستاذ الراحل، فأقاموا له عند مرور أربعين يوماً على وفاته حفلة تأبين ألقى بها كثير من العلماء والأدباء خطباً وقصائـد أتوا فيها على ما كان للفقيد من غزارة علم، وسـمو أخلاق، وجهاد في سبيل الحركة الوطنية السياسية .

وكانت لجنة هذه الحفلة أشعرت رئيس تحرير هذه المجلة بما عزمت عليه من تأبين صديقه الأستاذ، فاختار أن يشترك بتلك الحفلة بكلمة في صلة الصداقة التي انعقدت بينه وبين الأستاذ ـ رحمه الله ـ، وبعث إلى اللجنة بالكلمة الآتية :

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد العاشر .

طالعت المجلة الزيتونية الزاهرة، فوقع نظري على عنوان: «رثاء فقيد العلم الإمام محمد الصادق النيفر»، فرماني هذا العنوان بسهم من نار، فإذا الفؤاد يتلظى، والفكر يتقلب في ذكريات العهد الذي كنت أتمتع فيه بصحبة الأستاذ الفقيد، ورابطة الصداقة بيني وبينه خالصة محكمة.

تقدمت الأستاذ الراحل في تلقي العلم ببضع سنين، وكنت أراه فيمن أرى من طلاب العلم وهو يشار إليه بأنه حفيد العلامة القاضي في ذلك العهد الشيخ محمد الطاهر النيفر، وكنت ألاقي الفقيد في الطريق، فيبادرني بالتحية، فأقدر له ذلك الأدب السنيّ.

واللبنة الأولى في بناء صداقته المتين: أني كنت جالساً يوماً بالجامع الأعظم، فأقبل ـ رحمه الله ـ وجلس يحييني في تواضع زاده في عيني رفعة، وأبدى رغبة في دراسة علمي العروض والقوافي، وأذكر ـ إن لم تخني الذاكرة ـ أنا قرأنا على وجه المذاكرة فصلاً أو فصلين من علمي العروض والقوافي بالحجرة القائمة على يمين المصلى بالمعهد الزيتوني، فعرفت في ذلك الفتى يومئذ نباهة الألمعي، وأدب الماجد السريّ، وانتظمت الصداقة بيني وبينه في صفاء وسماحة.

وما زال ذلك الفتى البارع مجداً في طلب العلم، حتى رأيته أستاذاً يدرس الكتب العالية بالمعهد الزيتوني، وطلابُ العلم يزدحمون على دروسه، ويردونها ورود الظِّماء للماء الزلال.

وأذكر أني أديت صلاة بعض الجمعات في جامع باب البحر، وكان الأستاذ الراحل ـ رحمه الله ـ يلقي على منبره خطباً بليغة، يراعي في اختيار مواضيعها ما يستدعيه الحال، وكنت أعجب بما أسمع، وآنس من تلك الخطب فواتح

إصلاح الخطابة المنبرية في تونس.

ولا أنسى الليالي ـ ليالي الجمعة من كل أسبوع ـ إذ كان الأستاذ يتفضل فيها بالزيارة، ونقضيها في أسمار ممتعة، يجاذبنا أطراف أحاديثها فريق من طلاب العلوم والآداب.

ثم لا أنسى أوقاتاً عصفت فيها رياح بعض الرياسات، وأدارت وجوه بعض الإخوان إلى ناحية غير ناحيتنا، ورأيت الأستاذ الراحل من أشد الإخوان احتفاظاً بحقوق الصداقة، شأن من يعتز بعلمه ومجده، ولا يرضى أن يكون لاتجاه بعض الرياسات أثر في وصل صداقته وقطعها.

كانت ذكريات ذلك العهد تخطر، فتجد في النفس أمل لقاء ذلك الصديق الراحل، وتجديد ما درس من عهد الأنس به، فلا تثير من الأسى ما يجرح الفؤاد من كل ناحية، أما اليوم، وقد ذهب ذلك الأمل، فأراها تخطر فتثير أشجاناً يذوب لها القلب، وتتساقط لها العبرات.

أجل! ذهب ذلك الأمل المروِّح على القلب، وأصبحت ذكريات تلك الصداقة تبعث الحسرات فتجعلها ركاماً، وإن كان هناك ما يخفف من وقع هذا المصاب، فهو أملنا أن يكون لعلم الأستاذ الراحل وفضله ورثة من أنجاله النجباء، يحفظون التالد، ويعززون التالد بالطريف.

ويوطد هذا الأمل: أن بيت آل النيفر قد عرف بأنه منبت العلماء الراسخين، والأدباء البارعين، وإني ألمح في شباب هذا البيت اليوم همماً طماحة للمعالي، وجهوداً من أصدق الجهود التي تبذل لإعلاء شأن العلم والأدب والفضيلة. وأقدم لآل الفقيد على هذه الفاجعة خالص التعزية، وأسأل الله تعالى أن يفيض على ضريحه نوراً ورحمة، ويحسن جزاءه على ما بذل في سبيل الخير من همة،

وما غذَّى به العقول من علم وحكمة.

* **تأبين الدكتور ستومو[1]:**

إن في الموت والحياة لعبرة، ولكن أين المعتبِر؟ روح ينزل من علا، ويتصل بجسد مصور من طين وماء، فإذا العقل يفكر، واللسان ينطق، واليد تعمل.

يتصل الروح بالجسد إلى أجل مسمى:

يجـــوز أن تبطـــئ المنايـــا والخلـد فـي الـدهر لا يجـوز

حتى إذا جاء الأجل، صعدت الروح إلى السماء، ونزل الجسد إلى باطن الثرى:

نـور تـردد فـي طـين إلـى أجـل فانحار علواً وخلَّى الطين للكفن

والسعادة لمن فكر في رشد، ونطق في صدق، وعمل للكفن في استقامة.

سادتي! ما زلنا نذكر يوماً غير بعيد، يوماً زار فيه هذا النادي زعيم من زعماء الشرق، وألقى في موقفي هذا خطاباً يفيض حماسة وحزناً على ما صار إليه الشرق من وهن واستعباد، خطاباً يدعو إلى تقوية رابطة الإخاء والتعاون بين الشعوب الإسلامية قاطبة، ذلك الخطيب هو الدكتور (ستومو).

فارقنا ذلك الزعيم متقلباً في البلاد حتى عـاد إلى وطنه، وقد ترك في قلوبنا أملاً لذيذاً، هو أن يعود إلى النهضة الجاوية، ويزيدها بجهاده قوة،

---

(١) مجلة «الهداية الإسـلامية» ـ الجزء الثاني عشر من المجلد العاشر. أقامت جمعية الأندنوسيين والملاويين بدار جمعية الهداية الإسلامية حفلة تأبين للزعيم الأندنوسي الدكتور ستومو. وألقى الإمام هذه الكلمة.

وما زلنا نتلقى خبراً بعد آخر عن جهاد ذلك الزعيم وثباته، حتى طرق أسماعنا اليوم نبأ هزَّ أفئدتنا هزاً عنيفاً، هو نبأ وفاته، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكيف لا تهتز أفئدتنا فزعاً لفقده، ونحن في أشد الحاجة إلى رجال عرفوا حقوق الأمة، وتحلوا بمزايا الإخلاص والإقدام والغيرة على الحقوق؟!.

إن أرضنا ـ وأريد من أرضنا: الشرقَ كله ـ لم تزل فقيرة من وسائل النبوغ، ولم ترزق من العلم الصحيح والتربية الصادقة ما يجعلها منبتاً خصباً لعظماء الرجال، حتى إذا فقدنا رجلاً مجاهداً، قلنا في غير حسرة:

إذا مات منا سيد قام سيد ... قَؤولٌ بما قال الكريم فعولُ

حقاً إن أرضنا لا تنبت من المجاهدين المخلصين إلا قليلاً، ولا يغرنا كثرة أسماء الزعماء، فإن فيهم المرائي والجبان، وصاحب الذمة التي تباع بثمن بخس، ومن هؤلاء من ترونه ينوح على الإسلام علانية، ويقتل دموعه، ولكن بأنامل تبيت تطعن في مقاتله خفية، ولا عجب أن تروا الأنامل الملطخة بدم الجريح مبتلة بدموع البكاء عليها، فإن الذي يستطيع أن يلاقي الناس بوجهين، ويحادثهم بلسانين، يستطيع أن يتخذ دموعاً ليست من نوع الدموع التي تبعثها حرارة الإيمان والغيرة على الحق.

ففي الزعماء ناصح للأمة يجاهد لسلامتها ورفعة شأنها، وفي الزعماء مخادع للأمة يتخذ زعامتها حبالة يصطاد بها مطعماً لذيذاً، أو ملبساً أنيقاً، بل يتخذ زعامتها معولاً يهدم به الباقي من صرح سيادتها، وفلاحُ الأمة في ممايزتها بين المخلص الأمين، والمداهن الأثيم، ولا تطمع الأمة أن تسير سيرة رشيدة، أو ترقى في عزة راسخة، إلا أن يكون في صدر سائسها إيمان بخالقها، وغيرة على حكمة شريعتها.

وفي الختام: أقدم بالنيابة عن جمعية الهداية الإسلامية أخلص التعزية للأمة الأندنوسية والملايوية، ونسأل الله أن يملأ قبر الفقيد رحمة، ويعوض العالم الإسلامي منه خيراً.

*** فاتحة السنة الحادية عشرة[1]:**

هديتنا اللهم صراطاً سوياً، وكنت لحماة الحق ناصراً وولياً، فنحمدك على نعمة هدايتك، راجين الفوز بنصرك وولايتك، رفعت سيدنا محمداً مقاماً علياً، وأنزلت عليه قرآناً عربياً، فبلغ الرسالة، وأنقذ من الضلالة، فصلِّ اللهم عليه صلاة زاكية سابغة، وسلِّمْ عليه وعلى آله وصحبه، ما نفذت عزيمة صادقة، وسطعت حجة بالغة.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة عشر سنين متتابعة، وهي تدعو إلى الخير والإصلاح، وتواصل البحث عن الحقائق الدينية والعلمية والأدبية، سالكة في جهادها سبيل الحكمة، لا تجمد عن حق، ولا يطيش لها قلم في باطل، تهزها الغيرة على الحق أن تدفع عنه بقوة، ويأبى لها العلم أن تخرج عن أدب البحث، أو تجادل بغير حجة، تسير في خطة آمنة إلى غاية سامية، وما خطتها إلا الاقتداء بكتاب الله المجيد، والسنَّة النبوية الصحيحة، والاستضاءة بفتاوى الأئمة الذين سبقوا إلى إقامة الأصول، واستنباط الأحكام في عبقرية وخشية من الله، وما غايتها إلا أن تسلم العقيدة، ويستنير الفكر، ويسمو الخلق، وتستقيم السيرة، وتتأكد روابط الإخاء، وتبلغ الأمة أسمى درجات العزة، ويعظم مقام الشريعة في أعين الخاصة والعامة، وتظهر لغة

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الحادي عشر.

القرآن في الشرق على كل لغة.

تسير المجلة على هذه الخطة، ومن ذا يجحد أنها أقوم الخطط؟ وتعمل لتلك الغاية، ومن ذا يشك في أنها أشرف ما تتوجه إليه النفوس من الغايات؟.

طالما نبهت المجلة لسنن الله في الخليقة، وأقامت الحجة بعد الحجة على أن جهاد المخلصين لابد أن يؤتي ثمرته، فنفذ صوتها في قلوب كانت في يأس، فأصبحت ترجو الخلاص والتمتع بنعيم الحرية الفاضلة؛ رجاء من يبصر بها، وليس بينه وبينها إلا شبر أو ذراع، استطاعت برفقها وبراعة بيانها أن تصل إلى أفئدة شباب كانت في غفلة عن حكمة الدين، فأصبحت عامرة بالإيمان والاعتزاز بهداية الله، وصار لهداية الله شباب يجمعون إلى النباهة رشداً، وإلى النشاط حسن الأناة، واستقادة الشباب بمعرفة الحق تدفعهم إلى الجهاد في سبيله، كما أن غيرة الشيوخ على الحق تبعثهم على تدبير خطط الدعوة إليه، والذود عن حياضه، فالفريقان من أسرة الهداية، يؤلفان جنداً دروعه الاستقامة، وسلاحه العزم وقوة الحجة.

هذه كلمة في خطة المجلة وغرضها الذي تعمل لها ليلها ونهارها، سقناها لنذكر أن المجلة ستسير في المستقبل على خطتها، متجهة إلى غايتها، آملة أن تكون خطاها في السير أسرع، وأثر جهادها في النفوس أعظم.

وقد دل التاريخ على أن الأمة قد تنحدر في غواية أو فسوق أو استعباد، حتى إذا أراد الله إنقاذها من الشر الذي تتخبط فيه، وضع مقاليد أمرها في يد ذي سلطان مصلح، قوي الإرادة، يرضي الخالق، ولو بما يغضب المخلوق، فإذا هي عائدة إلى رشدها، متمتعة بعزها وكرامتها.

هذا وقد رأينا أن نفصل الموضوعات التي تبحث فيها المجلة

على الوجه التالي:

١ ـ أسرار التنزيل: وينشر تحت هذا العنوان: تفسير آيات من الكتاب العزيز على طريقة يختار فيها أقرب الوجوه إلى البلاغة، ويعنى فيها بما تدل عليه الآية من أحكام وآداب، وما ترمي إليه من إصلاح أحوال الأفراد والجماعات.

٢ ـ السنَّة والحكم النبوية: وينشر تحت هذا العنوان: شرح بعض الأحاديث النبوية الصحيحة.

٣ ـ أصول الدين: وينشر تحت هذا العنوان: مقالات في علم الكلام وأصول الفقه.

٤ ـ الفتاوى والأحكام: وينشر تحت هذا العنوان: المسائل التي ترد إدارة المجلة وأجوبتها، وما يستدعي الحال بيانه من أحكام شرعية علمية.

٥ ـ المقارنة بين الشريعة والقوانين الوضعية: وينشر تحت هذا العنوان: مقالات تعقد فيها مقايسات بين أحكام شرعية، وقوانين وضعية، على طريقة البحث عن وجود المصالح والمفاسد.

٦ ـ السيرة، وينشر تحت هذا العنوان: مقالات في سيرة رسول الله ﷺ وشمائله ودلائل نبوته، وحال دعوته وغزواته.

٧ ـ الأخلاق والاجتماعيات: وينشر تحت هذا العنوان: مقالات في الأخلاق؛ كالشجاعة والسخاء، والأمانة وصدق اللهجة، أو في مقتضيات الاجتماع؛ كالبحث في الحرية والمساواة، وأسباب أزمة الزواج، وأسباب ارتقاء الأمم وسقوطها.

٨ ـ البدع والعادات: وينشر تحت هذا العنوان: مقالات في المحَدثات المذمومة بلسان الدين؛ كصلاة الرغائب، وليلة النصف من شعبان، أو ما تجري

به عادة بعض الأقوام، وإن لم يكن من قبيل المحدثات في الدين؛ كوصف عادات بعض الجماعات في مساكنهم، أو ملابسهم، أو مطاعمهم، أو مراكبهم، أو مجالسهم، أو حروبهم، أو مظاهر فرحهم، ونحو هذا مما تختلف فيه العادات، وتسعه دائرة الإباحة الشرعية.

٩ ـ دفع الشبه: وينشر تحت هذا العنوان: مقالات تدفع بها الشبه التي تعرض لبعض الشبان، أو يوردها بعض المخالفين على الدين.

١٠ ـ اللغة وآدابها: وينشر تحت هذا العنوان: ما يقتضي الحال نشره من المباحث العائدة إلى علم من علوم اللغة وحسن بيانها، وينشر تحت هذا العنوان أيضاً: قصائد أو خطب، أخذت من البراعة حظاً وافراً، سواء أكانت من منشآت القدماء، أم كانت من منشآت المحدثين.

١١ ـ التاريخ الإسلامي: وينشر تحت هذا العنوان: مقالات في ماضي الإسـلام؛ من نحو: الفتوحات، أو الوقائع الهامة، أو الشؤون السياسية أو الاجتماعية.

١٢ ـ تراجم عظماء الإسلام: وينشر تحت هذا العنوان: تراجم العظماء من رجال العلم والسياسة والأدب والفضيلة.

١٣ ـ العلوم والفنون: وينشر تحت هذا العنوان: ما نرى في نشره فائدة من المباحث العلمية أو الفنية؛ كالمباحث العائدة إلى حفظ الصحة، أو الدالة على حكمة سنن الله في مخلوقاته.

١٤ ـ الأحاديث الموضوعة: وينشر تحت هذا العنوان: الأحاديث التي تنسب إلى النبي ﷺ كذباً؛ للتنبيه على وضعها.

١٥ ـ المزاعم الباطلة: وينشر تحت هذا العنوان: ما يدور بين الناس

من أخبار أو آراء يظنونها صحيحة وهي باطلة.

١٦ ـ نصائح إسلامية: وينشر تحت هذا العنوان: رسائل مفتوحة توجهها الجمعية إلى بعض مشهوري الرجال عندما يصدر منهم مقال أو عمل، يعلنونه في الناس، ويكون مخالفاً لأمر من أوامر الدين التي أجمع العلماء على أن مخالفتها منكر يجب نصح من ارتكبه، وإرشاده إلى ما فيه الخير والسعادة.

١٧ ـ النقد والتقريظ: وينشر تحت هذا العنوان: المقالات التي يوصف فيها كتاب، أو مقال، أو خطبة، أو شعر، ويثنى عليه، أو ينبه لما فيه من خلل.

هذا تفصيل الموضوعات التي ستجول فيها أقلام حضرات أعضاء الهداية وأصدقائها، ونرجو من الله تعالى أن يجعل جولاتها سديدة الخطا، عظيمة الأثر، وكذلك وعد الله المجاهدين المخلصين بالهداية إلى أقوم السبل، فقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج: ٤٠]. ومن سلكوا أهدى السبل، وظفروا بتأييد الله، وصلوا بلا ريب إلى أمجد غاية، وأسعد عاقبة.

*** بدعة فصل الدين عن السياسة[١]:**

اطلعنا في عدد ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ من جريدة «المصري» على مقال تحت عنوان: «من محام عاقل» تعرض فيه صاحبه لمسألة إسلامية عظيمة الشأن، هي منزلة السياسة من الدين الحنيف، وزعم أن الدين لا صلة له بالسياسة، فقال: «هذا فضلاً عما في هذا من خلط الدين بالسياسة، وقد اتفق الجميع على فصلهما، وقال به كثير من علماء المسلمين القدامى والمحدثين، أقربهم إلينا الشيخ علي عبد الرازق مؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم»

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الحادي عشر. انظر البحث القيم للإمام: «ضلالة فصل الدين عن السياسة» في كتابه «رسائل الإصلاح».

الذي أوضح فيه أن الخلافة ليست من الدين الإسلامي في شيء، وهو ما قاله ابن خلدون في «مقدمته» من قبل».

يقول حضرته: إن الجميع اتفقوا على فصل الدين عن السياسة، ولم يبين لنا من هؤلاء الذين اتفقوا جميعاً على فصل الدين عن السياسة، أهم المسلمون، أم غير المسلمين؟ فإن أراد بالمتفقين على الفصل: غيرَ المسلمين، فاتفاقهم ليس بدليل ولا شبه دليل، وأن أراد جماعة المسلمين، فمثل هذا الاتفاق يراعى فيه آراء علماء الإسلام، وعلماء الإسلام مجمعون على أن للشريعة أحكاماً وأصولاً تتعلق بالقضاء والسياسة، يفرض على أولي الأمر تطبيقها وتنفيذها ما استطاعوا.

ثم إن حضرة المحامي بعد أن حكى الاتفاق على فصل الدين عن السياسة، جعله رأي الكثير من علماء المسلمين، فقال: وقال به كثير من علماء المسلمين القدامى والمحدثين.

لندع البحث في رأي الشيخ علي عبد الرازق[1]، ونقول لحضرة المحامي: أن ابن خلدون لم يقل قط بفصل الدين عن السياسة، وهذه «مقدمته» بين أيدينا، فليدلنا حضرته على العبارة التي تصرح أو تلوِّح إلى فصل الدين عن السياسة، بل نرى ابن خلدون يصرح في مقدمته تصريحاً ليس وراءه تصريح: أن السياسة الرشيدة إنما هي السياسة الدينية؛ إذ يقول: «فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها، كانت السياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة»، ويقول: «مقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم»،

(١) انظر كتاب الإمام: «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» في الرد على علي عبد الرازق.

ويقول: «الخلافة حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا».

فالحقيقة أن بدعة فصل الدين عن السياسة لم يقل بها ابن خلدون، ولا أحد من العلماء المسلمين، فننصح لحضرة المحامي المسلم أن يصرف نظره عن هذا الرأي الذي نسبه إلى اتفاق المسلمين، أو إلى كثير من علمائهم، وهم بريئون منه، ونذكره بأن هذا الرأي يفضي إلى إسقاط قسم عظيم من حقائق الدين، وهل يرضى حضرة المحامي المسلم أن يؤمن الناس ببعض الكتاب ويكفروا ببعض؟.

*** تكريم أعضاء البعثة المغربية[١]:**

سادتي! نحتفل هذه الليلة بإخوان تربطنا بهم أشرف صلة تربط بين الجماعات والأمم، وهذه الصلة هي صلة الدين الحنيف، وهؤلاء الإخوان هم نخبة من أبناء المغرب الأقصى، وردوا مصر لغاية تعد من أنبل الغايات، وهي الارتواء من مناهل العلوم والآداب.

ونحن نبتهج بكل بعثة ترد مصر؛ لما في هذه البعثات من تأكيد رابطة التعارف والإخاء، ولأن تلقِّي هذه البعثات العلوم في معاهد مصر، يساعد على غرض طالما نادى إليه المصلحون، وهو تقارب الشعوب في ثقافتها

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الحادي عشر. احتفلت جمعية الهداية الإسلامية بأعضاء البعثة العلمية المغربية في القاهرة مساء الأربعاء ١١ شعبان ١٣٥٧هـ. وهذه كلمة الإمام.

العلمية، وآدابها الاجتماعية.

حق على أهل كل قطر أن يعملوا لتأكيد الرابطة الإسلامية، وكل عمل في هذا السبيل عمل لخلاص المسلمين، وإعادة سيادتهم، ولا ريب أن دائرة العمل في مصر أوسع، ونتائجه أسرع وأعظم، ولمزايا اختصت بها مصر أصبحت زعيمة العالم الإسلامي، وستنهض إن شاء الله تعالى بهذه الزعامة، وإن كره قوم لا يفقهون أو لا يؤمنون.

ولي كلمة أوجهها إلى أبنائنا أعضاء البعثة المغربية على وجه التذكرة؛ لعلهم يضعونها نصب أعينهم، لا وراء آذانهم.

أيها الأبناء النجباء! لا نقول لكم: فارقتم أوطانكم وعشائركم؛ فإن المسلم أينما حل من بلاد الإسلام فذلك وطنه، وبأي قوم من أهل العلم والفضل اتصل، فأولئك عشيرته، بل أقول: أنكم كنتم في بلاد هي المغرب الأقصى، وستعودون ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى تلك البلاد بعد أعوام تقضونها في التردد على المعاهد العلمية والأدبية.

وأذكركم بأنكم ستعودون إلى تلك البلاد، وأن علماءها وفضلاءها وأدباءها سيحاسبونكم على ما كسبتم في رحلتكم هذه، سيزنون معارف كل واحد منكم، وينقدون أخلاقه وسيرته، فإن وجدوا عنده من العلوم والأخلاق الفاضلة والإيمان الصادق ما يملأ العين، ويثلج الصدر، حمدوا رحلته، وغمروه بالإجلال، ويستطيع بعد هذا أن يكون داعية إصلاح، وزعيماً سياسياً، يقول فيسمع لقوله، ويفعل فيتسابق الناس لأن يكونوا أنصاراً له.

أيها الأبناء النجباء! ليستحضر كل منكم أباه أو عمه أو أخاه الأكبر يناجيه بمثل ما كتب به بديع الزمان الهمذاني إلى ابن أخت له يحثه على الجد في

طلب العلم إذ يقول: «أنت ولدي مادمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والقلم أليفك، والدفتر حليفك، فإن قصرت ـ وما أخالك ـ، فغيري خالك، والسلام».

أيها الأبناء النجباء! إن في مصر خيراً كثيراً، وفيها شر غير قليل، وأريد من الشر نفوساً تنتمي إلى العلم، ولكنها ضلت السبيل، ولم تتزود من هدى الله كثيراً ولا قليلاً. فشأنها أن تخادع طلاب العلم، وتلقي بهم في ضلالة أو حيرة، فاستضيئوا بكتاب الله، وسنة رسول ﷺ، تروا وجه الحق جميلاً مشرقاً، ووجه الباطل قبيحاً مظلماً.

نرجو من الله تعالى أن يشرح صدوركم للعلوم النافعة، ويوفقكم جميعاً للسيرة التي تكسبكم رضا الله ورعايته، والسلام عليكم ورحمة الله.

*** وفاة علامة مجاهد كبير[1]:**

فجعت المقامات الدينية والعلمية بوفاة علامة جليل، ومصلح خطير، هو الأستاذ الشيخ محمد شاكر، فقد كان ـ رحمه الله ـ عالماً محققاً، ومجاهداً في سبيل الإصلاح مخلصاً.

ولد ـ رحمه الله ـ في مدينة جرجا في شوال ١٢٨٢، وتلقى العلم بالأزهر الشريف، ثم تولى أمانة الفتوى يوم كان المفتي الشيخ العباسي المهدي، ثم تولى نائب محكمة مديرية القليوبية، وعين بعد قاضياً لقضاة السودان، وهو أول من تولى هذا المنصب، ثم صار شيخاً لعلماء الإسكندرية، وعين بعد وكيلاً لمشيخة الجامع الأزهر، واختير عضواً في الجمعية التشريعية.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي عشر.

وعندما قامت الحركة الوطنية حوالي سنة ١٣٣٧، وجدت من الأستاذ غيرة متقدة، ونظراً حكيماً، وجأشاً قوياً، وقلماً بليغاً، فكان في مقدمة القائدين لهذه الحركة، وامتلأت الصحف بمقالاته، وكان لها في نفوس الشعب أثر عظيم. وكان الأستاذ يجاهد في سبيل القضية الوطنية، وإذا تعرض كاتب لطعن في الدين، أو إنكار لبعض حقائقه، كان الأستاذ أول من يتصدى للرد عليه، لا يبالي الأذى الذي يلحقه من أولئك الكاتبين وأذنابهم، وكانت هذه الناحية من النواحي التي يمثل بها الأستاذ مقام العالم الناصح الأمين، وهكذا كانت مقالاته في الصحف، ما بين مقالات سياسية وطنية، ومقالات دينية علمية.

وكان الأستاذ ـ رحمه الله ـ على خلق حميد، وأدب سني، يرى منه إخوانه وزائروه تواضعاً وحسن لقاء، ومن أجلِّ الخصال التي يحمد عليها: الشجاعة الأدبية، وقلة مسايرة الوجهاء في غير حق، وهي خصلة قد أخذت في التقلص حتى بين أهل العلم، وأصبحت سوقها خاملة، على أن العالم الديني لا يسمو مقامه، ويلاقي ربه طاهر الذمة، إلا أن يعطي هذه الخصلة حقها.

وكنت أود أن لا أتعرض في تأبين عالم ديني لسلامة عقيدته، ولكن بلية الضلال والانحراف عن قصد السبيل قد انتشرت حتى وصلت إلى طائفة ممن يخرجون للناس في زي رجال الدين، فأخشى أن تستشرف نفس القارئ الذي لا يعرف الأستاذ بحق إلى كلمة تنبه لناحية الروح الديني الذي كان يعمر نفس الأستاذ، فأقول: إن الأستاذ ـ رحمه الله ـ كان صحيح العقيدة، قوي الإيمان، صادق اللهجة، ولم يكن من أولئك الذين يقصدون للعبث بالدين الحق، ويذهبون به مذهب التأويل الذي يدل على جهل مرتكبه قبل أن يدل

على ضعف إيمانه وانحلال عقيدته، فكان الفقيد ـ رحمه الله ـ يجمع بين الإيمان الصادق، واستنارة البصيرة في مقتضيات العصر الحاضر. ومن هنا كان النظام الذي وضعه للمعاهد الدينية أيام كان شيخاً لعلماء الإسكندرية أساساً صالحاً لأن يقوم عليه التعليم في المعاهد الدينية.

وجه الأستاذ همته يومئذ لإصلاح نظام التعليم، ووجه همته لغرض آخر لا يقل شرفاً عن الأول، هو الاحتفاظ بكرامة أهل العلم من أساتذة وطلاب، وكان يبذل ما له من جاه في أن لا يلحق أستاذاً أو طالب علم بالمعهد، ما لا يناسب عزة العلم، كما يبذل بما له من سلطان في أن لا ينحرف أحد عن السيرة التي ينبغي أن يكون عليها طالب العلم، وإذ لم يكن للأستاذ ـ رحمه الله ـ غاية يعمل لها إلا إعلاء شأن العلم والعلماء، كان الأساتذة كما كان الطلاب أمام عاطفته الدينية العلمية على السواء.

وقد جئت مصر في آخر سنة ١٣٣٨، ووجدت ألسنة العلماء لا تزال تلهج بذكر النهضة الإصلاحية الدينية التي قام بها في عهد توليه شيخاً لمعهد الإسكندرية، ووكالة الجامع الأزهر. وكان الأستاذ ـ رحمه الله ـ يشد عزائم طلاب العلم على ما فيه خير للدين والعلم، ولا ننسى أن الطلاب الذين قاموا بإنشاء جمعية الهداية الإسلامية قد وجدوا منه تشجيعاً على المضي في سبيلهم، وها هو ذا قانونها الأساسي المشتمل على أسماء حضرات المؤسسين للجمعية يباهي بذكر اسم هذا الأستاذ العظيم.

وما زال الأستاذ يجاهد في سبيل الدين والعلم وحرية الوطن حتى أصيب بفالج ألزمه الفراش، وكانت وفاته في يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٥٨، فإلى مقام كريم، ونعيم مقيم.

وأسرة جمعية الهداية الإسلامية ترجو من الله تعالى أن يملأ ضريح الراحل العزيز نوراً ورحمة، وتقدم إلى حضرات أبنائه وأسرته أخلص التعزية.

*** الشيخ عبد الرحمن قراعة[1]:**

في اليوم الرابع من شوال سنة ١٣٥٨ فقد العلم والأدب والمجد رجلاً يعد من أكابر العلماء والأدباء والفضلاء، هو العلامة الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الرحمن قراعة، فحزن لفقده كل من عرف قدره، أو شهد مجالسه العامرة بالفوائد العلمية، واللطائف الأدبية.

ولد الراحل الكريم بمدينة أسيوط في أسرة علم ومجد، وتلقى عن والده ـ بعد أن حفظ القرآن العزيز ـ جانباً من العلوم الدينية والعربي، ثم رحل إلى الأزهر الشريف، وأقبل على الازدياد من العلم، وظهر نبوغه في العلم، وبرع في صناعة القريض والإنشاء، فكان من أركان النهضة الأدبية المصرية، ومن أساتذته: الشيخ الأنبابي، والشيخ المهدي العباسي، والشيخ حسن الطويل، وحضر بعض مجالس للشيخ جمال الدين الأفغاني، وأدى الامتحان في عهد مشيخة الشيخ حسونة النواوي، فأحرز شهادة العالمية.

وتقلب الأستاذ في مناصب كثيرة إلى أن عين وكيلاً لمشيخة الأزهر الشريف، ومديراً عاماً للمعاهد الدينية، ثم تقلد منصب الفتوى بالديار المصرية.

كان الفقيد ـ رحمه الله تعالى ـ غزير العلم، واسع الاطلاع في الأدب العربي، بارعاً في صناعتي الشعر والنثر، ومن ثم كان مقامه جليلاً عند العلماء والأدباء، وكانت مجالسه أينما حل رياض علوم وآداب، أما آدابه النفسية،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الخامس من المجلد الثاني عشر.

فتمثل أدب العلماء الناشئين في بيوت مجد وتقوى، وأما غيرته الدينية، فتريك ما ينبغي أن يكون عليه علماء الشريعة من الإخلاص للدين، والاعتزاز به، وكانت له ـ رحمه الله ـ مواقف يغضب فيها للحق، ويواجه فيها بعض أولي الوجاهة بالنهي عما يأتونه من عمل تنكره الشريعة.

وكنت أيام تحريري وطبعي لكتاب «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم»، ثم كتاب «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» أقدم للأستاذ ـ رحمه الله ـ كل كراسة يتم طبعها من الكتاب إلى أن ينتهي الطبع، وكان ما يبديه من الرضا عن أسلوب الرد يزيدني قوة على التحرير والطبع.

وأذكر أن للأستاذ مؤازرة على نهضة جمعية الهداية الإسلامية؛ إذ كان يتكرم بحضور بعض حفلاتها أو محاضراتها، مع موالاته للاطلاع على مجلتها.

هبطت مصر سنة ١٣٣٩، وكان الأستاذ وكيلاً للأزهر الشريف، فكنت أزوره، وأجد بيته مورداً لأهل العلم على اختلاف طبقاتهم، وأراهم يجلونه بحق؛ إذ يشهدون في مجلسه وقار العلماء الأجلاء، ورقة حديث الأدباء النبلاء.

وكان الأستاذ يسير في الفتوى سيرة عالم يخشى الله، ويوقن بأنه سيسأل عما كتبت يداه، وكانت همته التي نشأت في حجر الإيمان الصحيح، تأبى له أن يتخذ من ضعفاء الإيمان جليساً أو عضداً.

*** شعبة الأدب العربي لجمعية الهداية الإسلامية[1]:**

سادتي! من أغراض جمعية الهداية الإسلامية: أن تنهض باللغة العربية،

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثامن من المجلد الثاني عشر. أنشئت في جمعية الهداية الإسلامية شعبة الأدب العربي، وأقيمت لها حفلة افتتاح ألقى الإمام فيها هذه الكلمة.

وتنشر محاسنها وآدابها، وذلك أن للمحافظة على هذه اللغة، والقيام على أساليب بلاغتها، أثراً عظيماً في فهم مقاصد الدين الحق، وشأناً بالغاً في نجاح الدعوة إلى الإصلاح.

أما أثر المحافظة عليها في معرفة مقاصد الدين، فلأن القرآن المجيد نزل في أعلى طبقة من طبقات الفصاحة والبلاغة، ولأن النبي ﷺ كان يبين الكتاب، ويعلِّم الحكمة في أساليب واسعة يقف البلغاء دونها بمراحل.

وأما أثرها في نجاح الدعوة، فلأن الكلام المصوغ في أحسن بيان، يقع من النفوس موقعاً أشد من وقع الكلام الذي يؤدي المعنى، وهو مجرد من حلية كل بلاغة.

ويضاف إلى هذا: أن بليغ القول من منظوم ومنثور يروِّح عن الخاطر، ويزيح عن النفوس ما قد يخالطها من قلق وضجر، ويجدد نشاطها للجد إن كانت من أصحاب الجد.

وكان العلماء الأجلاء ـ وما زالوا ـ يقدرون أدب اللغة قدره، وينظرون إلى الكاتب البارع والشاعر المبدع باحترام.

فهذا العلامة ابن دقيق العيد لما بلغته قصيدة ابن خميس التلمساني التي يقول في مطلعها:

عجباً لها أيـذوق طعـمَ وصـالها ... مـن لـيس يأمـل أن يمـر ببالهـا

اهتز لجودة سبك هذا الشعر، وقام من شدة طربه له.

وعزم القاضي أبو البركات التلمساني على الرحلة إلى الشرق، فكتب إليه ابن خاتمة أحد شعراء تلمسان أبياتاً يقول فيها:

أشمس الغـرب حقـاً مـا سـمعنا ... بأنـك قـد سـئمت مـن الإقامـهْ

وأنك قد عزمت على طلوع ... إلى شرق سموت به علامهْ
لقد زلزلت منا كل قلب ... بحق الله لا تقم القيامهْ

فقال أبو البركات: لا أرحل من إقليم فيه من يقول مثل هذا.

ولما في أدب اللغة العربية من فضل وجمال، تلقينا رغبة نخبة من الأدباء في إنشاء شعبة للأدب العربي بالإجابة، وارتحنا له جد الارتياح.

ويتناول عمل هذه الشعبة: البحث في علوم الأدب، وصناعة الكتابة والشعر والخطابة، وفي تراجم الأدباء من كتاب وخطباء وشعراء، ولا يفوتها ـ مع هذا ـ أن تخوض في نقد المنشآت القديمة والحديثة؛ لتمييز جيد القول من رديئه.

وتقوم ـ بعد هذا ـ بإقامة حفلات تكريماً للأدباء الذين سلكوا بالأدب طرقاً حكيمة، واتجهوا به إلى غايات شريفة، وجادت قرائحهم بثمار بهيجة.

وستنهض هذه الشعبة ـ إن شاء الله ـ بإلقاء محاضرات، ومناظرات، وتحرير مقالات في الصحف، وإذا تعدى بعض الناس باسم الأدب معناه اللائق به، وأطلقوه على ما يعده أهل الفضيلة دعوة إلى الرذيلة.

وإذا ساغ للأديب أن يطلع على كل ما يتناوله اسم الشعر أو النثر الفني في عصر من العصور، فإن الأديب الصادق لا يرضى لنفسه إلا أن يكون من طبقة النبلاء الذين يستمدون معانيهم من منابع الحكمة، ويؤلفون أقوالهم من الألفاظ التي تجري في بيئة الطهر والنزاهة.

وإنشاء هذه الشعبة في جمعية الهداية الإسلامية، يدلنا على أن المؤسسين لها لا يقصدون بإنهاض الأدب العربي قصداً واحداً، هو أنه فن فيه جمال وسلوة، بل يقصدون ـ مع هذا ـ قصداً أنبل وأعلى، هو التوسل بالأدب إلى

إصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، وهو القصد الذي يستحق أن يجعل نصب العيون، وتبذل فيه الجهود.

*** فاتحة السنة الرابعة عشرة[1]:**

الحمد لله الذي دعانا إلى دار السلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا صراطها السويّ، ولا صراط لها اليوم غير الإسلام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المصلحين، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في سبيل الحق، وكان أعظم سلاحهم براعة البيان، وقوة اليقين.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة ثلاث عشرة سنة وهي تجاهد في سبيل الدعوة إلى الله، والذود عن حقائق الدين الحنيف، وتعمل لنشر الفضيلة والآداب الزاهرة، ومحاربة الضلالات والبدع الخاسرة، ولم تدع أن تضع يدها في أيدي العاملين لترقية اللغة العربية، وإظهار فضلها وروعة بيانها، وستمضي ـ إن شاء الله ـ في هذا السبيل، راجية منه ـ جل شأنه ـ التوفيق والتأييد.

*** مهمة جمعية الهداية الإسلامية[2]:**

سادتي! كان المسلمون على إيمان صادق، وطاعة لله خالصة، إلا نفراً لا يخلو منهم عصر، غلبت عليهم شقوتهم، فأصيبوا بمرض الإلحاد والإباحية، وكان هؤلاء النفر لا يتحدثون بإلحادهم وإباحيتهم إلا إذا خلا بعضهم إلى

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع عشر.

(٢) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع عشر. احتفلت جمعية الهداية الإسلامية مساء يوم الجمعة ٢٧ شعبان ١٣٦٠ بدار فرعها في الجيزة بمناسبة مرور سبع سنين على هذا الفرع. وألقى الإمام هذه الكلمة.

بعض، أو غمزوا بها غمزاً خفيفاً في بعض خطبهم، أو أشعارهم، أو مؤلفاتهم، وكان هؤلاء النفر يلاقون ـ بعد مقت الله تعالى ـ احتقار الأمة، والنظر إليهم كحيات سامة يجب الحذر منها.

كان هذا شأن المسلمين، إلى أن بليت الشعوب الإسلامية بالاحتلال الأجنبي، وكان من أغراض الأجنبي: صرف قلوب الأمة عن إيمانها، والتمسك بشريعتها، فأخذ يرمي إلى هذا الهدف بكل ما أوتي من قوة ودهاء، حتى صارت معاهد العلم تخرج لنا أفواجاً من الملاحدة والإباحيين، ووقعت مناصب ذات بال في أيدي هؤلاء، فأخذوا يشجعون على المروق من الدين، ويعملون لإبعاد الدين عن معاهد التعليم، ومظاهر السياسة، فأخذ الإلحاد يرفع رأسه، ويحاول أن يرفع صوته، ولكنه يجد قوة إيمان من سواد الأمة، فيخشى سطوتها، ويختفي حيث لا يشعر به إلا النبهاء من المؤمنين.

وعقب الحرب السابقة، ظهرت حركات وطنية ودعايات قومية، وقد يكون فيها خير، ولكنها لم تقف عند حد الاعتدال، وأخذت تنظر إلى الرابطة الإسلامية بعين الاستخفاف، بل مدت يدها إلى تمزيق أوصالها، ونالت منها شيئاً كثيراً، ووجد الملاحدة والإباحيون في هذه الدعايات مرتعاً، فأخذوا ينادون بإزالة الفوارق بين جماعات الشعب، ويريدون بإزالة الفوارق أن تهمل الجماعات أمر دينها، وتنكث يدها من شريعتها.

وفي تلك الأيام ظهرت كتب جاهر مؤلفوها بالطعن في الدين، ووجدوا من بعض ضعفاء الإيمان القابضين على طرف من زمام الأمر مناصرة ومؤازرة، ووقعت الأمة يومئذ في دهشة، وتخيل أولئك الزائغون أن المسلمين انسلخوا من إيمانهم، وأن القرآن المجيد أصبح مودعاً في الخزائن ككثير من الآثار

العتيقة، فتقدموا في مناوأة الدين ومباهتته شوطاً واسعاً.

ولما أسرف هؤلاء في التهجم على الدين الحق، وحاربوه في خطة مكشوفة، أخذ الشعور الذي يهتز وينمو في نفوس الخاصة والعامة من المسلمين، حتى اتقد في نفوس شباب موفقين، وقام بعض دعاة الإصلاح يفكرون في وسائل يدافعون بها عن الحق، ويردون بها هؤلاء الجاحدين على أعقابهم، فسعوا في تأليف جمعيات، وإصدار مجلات، وكان في مقدمة هذه الجمعيات والمجلات جمعية الهداية الإسلامية ومجلتها.

فخطة جمعيتنا ومجلتنا: الجهاد في إعلاء كلمة الحق، والرد على هؤلاء المنكرين والإباحيين على طريقة آداب البحث، وقوانين المنطق الصحيح.

الجمعية ـ بعد هذا ـ تعمل لتهذيب الأخلاق، وإصلاح شؤون الاجتماع، وتبذل مجهوداً كبيراً في ترقية اللغة العربية، وفي الاحتفاظ بها حفظ القرآن الكريم، وسنّة رسول الله ﷺ، وفي ذلك صيانة الدين الحق، والشريعة الغراء.

هذه أغراض الجمعية، ونحن في حاجة ملحة إلى من يؤازرنا عليها، ويرافقنا في طريق الوصول إليها، وإنما تقوم الأعمال الجليلة، وتدرك الغايات النبيلة، بالتعاون والتعاضد، واعلموا أن أفراداً قليلين ملئت قلوبهم غيرة على الحق، وإخلاصاً يثبتهم على الذود عنه، خير من كثير يتظاهرون بالغيرة، وأفئدتهم منها هواء.

أيها السادة! إن هدى الله في خطر، وقد أصبحنا محاطين بشياطين الإلحاد والإباحية من كل جانب، ولو قلت: قد أصبحت الضلالة، وتقويضُ أركان الشريعة السمحة يأتيان من حيث كنا نرجو المناصرة، لم أكن مخطئاً، فليكثر هؤلاء الزائغون، وليدعوا ما شاؤوا من أمثالهم إخوان الشياطين، ولتكن مظاهر

الدعاية ووسائل التأثير في الأفكار بأيديهم؛ فإن يد الله فوق أيديهم، وإن عشرة من دعاة الحق يغلبون آلافاً من دعاة الباطل، وإنما يظهر الباطل عند غيبة الحق؛ أي: عند غيبة من يجدّ ويثبت في إعلاء كلمة الحق.

ومما يقوي أملنا في وصولنا إلى الغاية الشريفة التي نرمي إليها: أن الذين بعثوا هذه النهضة الدينية المباركة من خمولها، هم شباب من طلبة الجامعة المصرية وغيرها من المدارس العليا، وشبان يتولون اليوم أعمالاً في دائرة الحكومة، فإذا سار هؤلاء الشبان الموفقون بجانب شيوخ درسوا شؤون الاجتماع، وتقلبت بهم التجارب أطواراً، وآثروا رضاء الله على منافعهم الشخصية، فهناك نرى النصر المؤزر، ونرى هداية الله في سمو وإشراق.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

*** الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية[1]:**

كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب ﷺ كتاباً يقول فيه:

«إنه يأتينا منك كتب ليس لها تأريخ»، فجمع عمر الناس ليستطلع رأيهم فيما يكون به التأريخ، فقال بعضهم: أرّخ بالمبعث، وقال بعضهم: أرّخ بالهجرة، فقال عمر: «الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها».

يقول عمر بن الخطاب: «الهجرة فرقت بين الحق والباطل»، وهذا إشارة منه إلى المزية التي استحقت بها الهجرة أن تكون مبدأ التأريخ العام في الإسلام؛

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع والثامن من المجلد الرابع عشر. احتفلت جمعية الهداية الإسلامية في مساء يوم السبت ٣٠ من ذي الحجة ١٣٦١هـ بذكرى هجرة النبي ﷺ. وهذه كلمة الافتتاح للإمام.

فإن الدعوة إلى الإسلام كانت تلاقي في مكة معارضة وعقبات توضع في سبيلها، وأخذت بعد الهجرة حريتها كاملة، ولم يستطع أحد أو جماعة الوقوف في طريقها، وكانت الدعوة بمكة تسير في طريق النجاح رويداً رويداً، وأخذت بعد الهجرة تنتشر بسرعة، فلم يمض عليها عشر سنين حتى عمت الجزيرة، وانضوى إلى الإسلام ملوكها ورؤساؤها وقبائلها فوجاً عقب فوج، وكان المشركون يسطون ألسنتهم وأيديهم إلى المسلمين بالأذى، وبالهجرة تخلصوا من ذلك الأذى، وأصبحوا في أمن ليس لذي قوة عليهم من سبيل.

وكانت الدعوة في مكة تتدرع بالصبر، واحتمال المكروه من أولئك الطغاة، أما بعد الهجرة، فقد رفعت الدعوة رأسها، وأذن للقائمين بها أن يجردوا الحسام في وجه كل من يناوئها، ويروم إطفاء نورها.

فبالهجرة ظهر الإسلام في ثوب عزته الصافية، وتمكن من أن يفيض على العالم هداية ورحمة.

ومن مآخذ العبرة في قصة الهجرة: أن الداعي إلى الإصلاح متى أوتى حكمة بالغة، وإخلاصاً نقياً، وعزماً صارماً، هيأ الله لدعوته بيئة طيبة فتقبلها، وزينها في قلوب قوم لم يلبثوا أن يسيروا بها في البلاد، ويطرقوا بها الآذان، فتسيغها الفطر السليمة، والعقول التي تقدر الحجج حق قدرها.

*** الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف[1]:**

سادتي! لا يوجد في سير العظماء ما يوجد في سيرة سيدنا محمد ﷺ

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء العاشر من المجلد الرابع عشر. احتفلت جمعية الهداية الإسلامية مساء يوم الجمعة ٩ ربيع الأول ١٣٦١ بذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ. وقد افتتح الإمام الحفل بهذه الكلمة.

من خصال الشرف، ومظاهر الكمال، فلا شرف يذكر، ولا كمال ينعت، إلا أخذ في السيرة النبوية مكاناً أوسع، وكان له أرفع شأن، وليس في الوقت كفاية، ولا في اللسان مقدرة على أن أتحدث عن هذا الشرف والكمال بما يشفي غليل السامعين، وقصارى ما يستطيعه الخطيب أن يقول كلمة يلمح بها إلى شيء من خصال كماله ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقد يقف الخطيب البارع وقفة المدهوش لكثرة ما يتراءى له من الأخلاق الباهرة، والآداب الرائعة، والهمم الفائقة.

ولا أكتمكم أني وقعت في هذه الدهشة عندما استقبلت السيرة النبوية لأقتبس منها كلمة ألقيها في هذه الحفلة المباركة، وكدت أنقطع عند التكلم، لولا أن الاعتذار بهذا الوجه من العجز لا يجد عند كثير من الناس قبولاً.

وقد أخذت ـ مع هذه الروعة ـ أروض الفكر إلى أن يملي على لساني شيئاً أضرب به في هذه الحفلة بسهم، عسى أن يكون لنا فيه قدوة حسنة، فما كان إلا أن ذكرت قول ابن الخطيب:

أيروم مخلوق ثناءك بعد ما ... أثنى عليك الواحد الخلاّق

فقلت: أكتفي بتلاوة آية من الآيات التي أثنى بها الواحد الخلاَّق على رسوله الأكرم ـ صلوات الله عليه ـ، وتلك الآية هي قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فمن واجب هذه الآية علينا أن ندرس السيرة النبوية حتى نعلم ما هو الخلق العظيم الذي كان عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لنعمل لتربيته في نفوس نشئنا، ونأخذ به أنفسنا ما استطعنا.

ونحن إذا درسنا السيرة النبوية، نجده ﷺ قد تجمل بأكمل الأخلاق

وأسناها، فنجحت دعوته، واستقامت سياسته، وتألفت القلوب على محبته، والتفاني في حسن طاعته.

إن كل ما جاء به النبي ﷺ حق، ولكن الحق لا يطرق الأسماع، أو يتجاوزها إلى القلوب بنفسه، وإنما يطلع على الناس بوجهه الجميل، وتتملاه العقول لا تبغي عنه بدلاً، إذا كان القائمون بعرضه على الناس ذوي أخلاق عظيمة محكمة، تسعدها ألسنة تضع الكلم مواضعه.

فلندرس السيرة النبوية؛ لنخرج للناس دعاة إلى الإصلاح وهم على خلق عظيم، ودراية بالأساليب التي تدخل بالدعوة إلى القلوب، فتنفي عنها الغواية وخواطر السوء، وتعمرها بالهداية والرغبة البالغة في فعل الخير.

*** تأبين الأستاذ الشيخ علي محفوظ[1]:**

هما السهمان يشتبهان مرمى ... وما كلُّ السهام يصيد عُمرا

وما سهم المنون كسهم قوسٍ ... إذا جريا إلى الأهداف قسرا

فسهم القوس كالعشواء يعدو ... فيخطىء مرة ويصيب أخرى

ولا ترمي المنون بغير سهم ... يهبّ بنصله ويصيب نحرا

وأحزم من رأت عيني أريبٌ ... يقدم قبل أن يغشاه ذخرا

ولا مثل امرئ يدعو بجدٍّ ... إلى طرق السعادة مستمرا

تلين به قلوبٌ لو مددت الـ ... ـبنانَ يجسُّها للمست صخرا

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثامن والتاسع من المجلد الخامس عشر. أقامت جمعية الهداية الإسلامية حفلة تأبين كبرى لوكيلها الأول المرحوم الأستاذ الشيخ علي محفوظ، وذلك يوم الخميس ١٥ المحرم سنة ١٣٦٢هـ الموافق ٢١ يناير كانون الثاني سنة ١٩٤٣ . وقد ألقى الإمام هذه الكلمة.

يـــذكرنا بمنطقـــه وتهـــدي لنـــا أقلامـــه عظـــة وذكـــرى
كـذلك كـان فـي الـدنيا علـيٌّ وعاقبـة التقـى رُحمـى وبُـشرى

سادتي! في يوم الخميس الرابع من شهر ذي القعدة الحرام، طويت صحيفة حياة كانت مليئة بالهمم السامية، والأعمال الفاضلة، هي حياة العالم الكبير، والواعظ البليغ، الأستاذ الشيخ علي محفوظ.

ولا أقصد في هذا المقام إلى الحديث عن سيرته، فأفصل القول في سماحة أخلاقه، وغزارة علمه، وامتلاء أوقاته بالمساعي الحميدة، وإنما أريد أن أقول في صدد هذه الحفلة: إن جهاد الفقيد ـ رحمه الله ـ في جمعية الهداية الإسلامية كان جهاد الموقنين بحكمة مبادئها، واستقامة اتجاهها؛ فقد انتخب ـ رحمه الله ـ وكيلاً للجمعية في أول جلسة عقدت لتأسيسها سنة ١٣٤٦هـ، ومنذ انتخب ـ رحمه الله تعالى ـ لوكالتها، وهو يشد أزر الجمعية بإلقاء المحاضرات في دارها، أو في بعض فروعها، أو في بعض المساجد والنوادي باسمها.

وهذا كله إنما هو نصيب الجمعية من مجهودات الفقيد التي ضربت بأشعته في أكثر الجمعيات والمساجد والنوادي، بعد أن أخذ التدريس بالجامع الأزهر نصيبه منه كاملاً.

وسيعرض عليكم حضرات الخطباء والشعراء جانباً من تاريخ حياة الراحل الكريم، ويتحدثون عن علمه وخلقه وجهاده، ولا أدع مقامي هذا حتى أشهد للفقيد بخصلة من خصال المجد والحمد، هي خصلة الوفاء بالعهد، فقد تقبل الفقيد وكالة الجمعية، وأخذ يحمل لنهوضها بما أوتي من قوة، ومرت على الجمعية ظروف رأى فيما المتصلون بها أعذاراً لقطع صلتهم بها، ولكن الفقيد

ـ رحمه الله ـ استمر ثابتاً أمام تلك الظروف، ولم تأخذ من عزمه وإخلاصه فتيلاً.

والواقع أن الجمعية قد خسرت بوفاته رجلاً غزير العلم، عظيم الخلق، صافي السريرة، قوي العزم، وكان أسفها بمصابه أسف القافلة، تهتدي بالقمر في مهمه مغبرة أرجاؤه، فيخسف القمر خسوفاً كلياً، ويدعها في ظلمة لا تدري كيف تتقدم فيها إلى الأمام، ولو خطوة قصيرة.

هذا، ونسال الله تعالى أن يفيض على قبر الفقيد نوراً ورحمة، وأن يعوض العالم الإسلامي منه خيراً.

*** تكريم إنكليزي دخل الإسلام[1]:**

سادتي! أقدم إلى حضراتكم جزيل الشكر على ما تفضلتم به من إجابة دعوة الجمعية إلى هذه الحفلة، التي أشعر كما تشعرون، أن روح الإخاء والإيمان تهب فيها من كل جانب.

تحتفل الجمعية احتفاء بحضرة الأديب الأستاذ نور الدين جورج، وإنما تحتفل بشاب دخلها وهو يحمل بين جنبيه سراجاً من الهداية التي تدعو إليها، وتجاهد في سبيلها؛ أعني: هداية الإسلام.

فلحضرة الأديب نور الدين مزية في اتجاهه إلى البحث عن دين يرتاح إليه ضميره في الدنيا، ويدرك به السعادة في الأخرى، ولله المنّة في أن وفقه

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء العاشر والحادي عشر من المجلد الخامس عشر. أقامت جمعية الهداية الإسلامية حفلة تكريم للأديب والشاعر الإنكليزي نور الدين جورج بمناسبة إعلان دخوله في الدين الحنيف. وقد افتتح الإمام الحفلة بهذه الكلمة.

للدين الحق، وأراه إياه في صورته النقية، وحليته التي يبتهج لها العقل السليم:

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

ودخول شاب اليوم في الإسلام دخولاً صادقاً، وهو لم ينشأ في بيئة إسلامية، يدل على أن في الشاب مزيتين فاضلتين:

مزية اليقظة والحزم؛ حيث إنه لم يرض لنفسه التمادي في التقليد، واتجه إلى البحث عن السعادة من طريق الأدلة المقنعة.

ومزية صفاء الفطرة، والسير على قانون المنطق المعقول؛ حيث اتجه في بحثه عن الدين إلى النظر في حقائقه وآدابه، ولم يزن الدين بحال من ينتسبون إليه.

وإذا كانت سيرة جمهور المسلمين فيما سلف، تصلح أن تكون مرآة لدينهم الحكيم، فلا نكتم أحداً أن سيرتهم اليوم في ناحية، وحقائق الإسلام وآدابه في ناحية أخرى.

ولا عجب أن نرى الإسلام، وهو صاحب الحجة الباهرة، والحكمة البالغة، قد وقف في انتشاره عند حد، أو صار يسير في المعمورة سيراً بطيئاً؛ فان قلة احتفاظ المسلمين بما أرشد إليه من الأخلاق الكريمة، والهمم السامية، والأعمال الصالحة، قد تكون عقبة في سبيل نجاح الدعوة إليه، هذا مع عدم نهوضهم بواجب الدعوة إليه في نظام وحكمة وحزم.

سادتي! منذ خمس سنين احتفلت جمعية الهداية الإسلامية بتكريم فيلسوف كان إسرائيلياً، ثم دخل في الإسلام، وهو الدكتور أحمد سوسه أحد الموظفين بالعراق، واليوم تحتفل الجمعية بتكريم شاعر كان مسيحياً، ثم دخل في الإسلام، وهو الأستاذ نور الدين أحد الموظفين بالجيش الإنكليزي.

ولم يكتف الدكتور أحمد سوسه بارتياح ضميره، وابتهاج نفسه بالدين الجديد، حتى ألّف كتاباً قارن فيه بين الموسوية الحاضرة والإسلام، ودل على أنه دخل في الدين الحنيف من باب النظر والاستدلال، وسمى هذا التأليف: «في طريقي إلى الإسلام»، وقد أدى بهذا التأليف نصيبه من الدعاية إلى الدين الحق.

ونحن نؤمل من الأستاذ نور الدين، وهو شاعر كاتب: أن ينفق شيئاً من وقته في الدعوة إلى الإسلام، فيكون عضواً في الأمة الإسلامية كاملاً في نفسه، مكملاً لغيره.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

*** فاتحة السنة السابعة عشرة[1]:**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. جاء على حين فترة من الرسل، وانقطاع من الوحي، واستغراق في الضلالة، وفساد في الأخلاق، وجنوح عن العدل، وعزوف عن كمال النفس، وتهالك على عرض الدنيا، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبصرهم بما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وسنّ لهم سبل المكارم، وشرع لهم نهج الفضائل بما أوحي إليه، وما نزل من الكتاب والحكمة عليه، فساد المسلمون وعزّوا، وبسطوا سلطانهم، وأذاقوا الناس راحة النصفة والمعدلة، وحلاوة المحبة والمساواة الإسلامية، وكان حكمهم يمناً وبركة على الناس

---

(١) مجلة «الهداية الاسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد السابع عشر.

أجمعين، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى أصحابه نجومِ الهدى، ومصابيح الدجى، وأئمة الخير، وقادة الفكر الصحيح، وأولى الألباب المستقيمة.

وبعد:

فإن مجلة «الهداية الإسلامية» تستقبل سنتها السابعة عشرة، وهي تحمد الله على ما وفق وسدد من خطاها، وتشكر من شد أزرها، وشارك في ظهور بدرها من الكتاب والخطباء والمحاضرين، وأولي الفضل والأريحية، والنبل واللوذعية. وهي تعقد العزم ـ بعون الله ـ على المضي قدماً في خطتها، وسبيل جهادها في نشر الفضيلة، وتبيين محاسن الدين، ومآثر الشريعة الغراء، والدعوة بالحسنى إلى ما فيه رفعة الجماعة الإسلامية، وإعادة مجدها، والمساعدة في بث فروع الثقافة العامة مما ينير القراء، ويقفهم على ما يهمهم من العلم والمعرفة.

والله المسؤول أن يسنّي أمر المسلمين، ويعيدهم فيما كانوا فيه من عزة، واتفاق كلمة، ونفاذ سلطان، وهو المستعان.

*** في الهجرة بركة[1]:**

هاجر النبي صلى ﷺ وأصحابه الأخيار من مكة إلى المدينة، فظهرت بركة هذه الهجرة في المهاجرين أنفسهم، وفي البلاد التي هاجروا إليها، وفي انتشار الدين الذي هاجروا من أجل التمكن من الدعوة إليه.

أما أثر بركة الهجرة في المهاجرين أنفسهم، فلأنهم ـ بعد أن كانوا يلاقون

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد السابع عشر. احتفلت جمعية الهداية الإسلامية بذكرى الهجرة النبوية مساء اليوم الثاني من شهر المحرم ١٣٦٤، وألقى الإمام هذه الكلمة.

في مكة أذى كثيراً ـ أصبحوا في أمن وسلامة، ثم إن الهجرة ألبستهم ثوب عزة بعد أن كانوا مستضعفين، ورفعت منازلهم عند الله درجات، وجعلت لهم لسان صدق في الآخرين، وقد سمى الله تعالى الصحابة الذين فروا بدينهم إلى المدينة بالمهاجرين، وصار هذا اللقب أشرف لقب يدعون به بعد الإيمان.

وأما أثر بركة الهجرة في البلاد التي هاجروا إليها، فإن فضل مكة كان معروفاً عند العرب من قبل بعثة الرسول ﷺ، وجاءها الفضل من جهة أن الله اختارها لأن يقام فيها بيته المحرم، وأمر رسوله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ببناء ذلك البيت، ودعوة الناس إلى حجه، والتقرب إلى الله بالطواف به، وقد ازداد هذا الفضل بميلاد النبي ـ صلوات الله عليه ـ، ونشأته فيها، ثم نزول القرآن في أرجائها.

وأما المدينة فلم تكن معروفة قبل الإسلام بشيء من الفضل على غيرها من البلاد، وإنما أحرزت فضلاً بهجرة النبي ﷺ وأصحابه المؤمنين بحق، وبهجرة الوحي معهم إلى ربوعها، حتى أكمل الله الدين، وأتم عليهم النعمة.

وأما أثر بركة الهجرة في انتشار الإسلام وإعلاء كلمته، فلأن الإسلام كان بمكة في شيء من الخمول، ولم يكن الجهاد قد شرع؛ إذ لم تتهيأ أسبابه، أما بعد الهجرة إلى المدينة، فقد نزلت آيات في القتال؛ كقوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٩].

وقوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

فإذا احتفلنا بذكرى الهجرة الشريفة، فإنما نحتفل بذكرى اليوم الذي ابتدأت فيه الهداية تسير سيرها الحثيث في الشرق والغرب، وذهبت فيه العزة

تمد ظلالها على كل جماعة تنادي بأرفع صـوت: «حيَّ على الصـلاة، حيَّ على الفلاح».

*** فاتحة السنة الثامنة عشرة[1]:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على سـيدنا محمد خاتم النبيين، وآله الراشدين، وأصحابه الذين جاهدوا في سبيل نشر هدايته بأقوى الحجج، وأوضح البراهين.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة ـ بتوفيق الله تعالى ـ سنتها السابعة عشرة، وهي سائرة في الدعوة إلى الإصلاح سيرة اليقظة والحزم، عاملة لتحقيق أغراض الجمعية بثبات وعزم. ولنا اليوم أمل وطيد في أن انقضاء عهد الحرب ستزول معه المصاعب التي كانت تقف أمام قصدنا إلى توسيع نطاقها، وجعلها أنهض بما أخذتها على نفسـها من الدعوة إلى هداية الإسلام، وإعلاء صرح عزته، وترقية اللغة العربية، ونشـر آدابها الزاهرة، وتعريف الخلف بعظمة رجـال السلف، إلى نحو هذا مما تزداد به ثقافة شبابنا صفاء وضياء.

ونقدم مع هذا واجب الشكر لحضرات الكتاب والشعراء الذين أسعدوا هذه المجلة بمقالات نافعة، وقصائد رائعة، ونرجو من الله تعالى التوفيق والتأييد ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩].

*** فاتحة السنة التاسعة عشرة[2]:**

الحمد لله الهادي إلى أقوم محجة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الثامن عشر.

(٢) مجلة «الهدية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد التاسع عشر.

المبعوث بأوضح حجّة، وعلى آله الراشدين، وأصحابه المجاهدين.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة سنتها الثامنة عشرة، وهي سائرة في الطريقة التي رسمتها لنفسها منذ صدورها، تجاهد في الحق، وتذكر بالفضيلة، وتدعو إلى الإصلاح ما استطاعت، وقد قيض الله أساتذة من الكتاب البارعين، عزموا على أن يمدوها بما تجود به أفكارهم، وتحرره أقلامهم من الموضوعات الإصلاحية والأدبية، وإدارة المجلة تقدم لهم ولحضرات من أمدوها في السنة الماضية بمنشآتهم الممتعة جزيل الشكر.

ولعل حضرات القراء قد لاحظوا من سيرة هذه المجلة أنها تسير بتوفيق الله تعالى في طريق وسط، وهي طريق من يعتز بدينه الحق، ويستخلص آراءه من الفطرة السليمة، والمقاييس المنطقية الصحيحة، فيحتفظ بالقديم الصالح، ويتقبل الجديد النافع.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

*** فاتحة السنة الحادية والعشرين[١]:**

نحمدك اللهم على أن دعوتنا إلى دار السلام، وهديتنا سبيلها، وما سبيلُها إلا الاعتصام بعهد الإسلام. ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الأمين، المبعوث رحمه للعالمين، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، وكل من جاهد في الحق بالسيف والسنان، ودعا إليه بالحكمة وحسن البيان.

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الحادي والعشرين.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة سنتها العشرين، وهي تسير في الطريق الوسط، تتحرى به الحقائق، ولا تضع قلماً إلا فيما يرضي الخالق، وستستمر بتوفيق الله ـ جل شأنه ـ على هذه السيرة التي حمدها قراؤها، لاهجةً بحمده تعالى على أن سدد خطاها، وناطقة بشكر من أمدوها بمنشآت قرائحهم، فثبتوا قدمها بين عواصف من المثبطات، كادت تقطعها عن جهاد هو أعذب مواردها، وأعز مناها، والحياة ليل دامس، وسراجها الوهاج إنما هي الدعوة إلى الحق في ثبات، والمسارعة إلى الخير في إخلاص.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

* **فاتحة السنة الثانية والعشرين[١]:**

نحمدك اللهم على أن هديتنا سبيل السعادة، وجعلت جزاء الذين أحسنوا الحسنى وزيادة، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الداعي بأبلغ حجة إلى أقوم محجة، وعلى آله المهتدين، وأصحابه المجتهدين.

أما بعد:

فقد قضت هذه المجلة اثنتين وعشرين حجة وهي تؤيد الحق، وتكافح الباطل، وثابرت على الدعوة إلى الخير في العسر واليسر، حتى قطعت تلك السنين التي شأنها أن تذهل الأفكار، وتجعلها على مواصلة الدعوة في شغل، وستستمر على خطتها ما أمدها الله بقوة، مردِّدة شكر أولئك العلماء والأدباء

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الثاني والعشرين.

الذين يؤثرونها بمنشآتهم البارعة، وبحوثهم النافعة.

هذا وقد طرأ في الأشهر الماضية ما كان يعوق عن إصدار المجلة بانتظام، ومن أجل ذلك قرر مجلس الإدارة العود بها إلى أن يصدر كل جزء منها في أوائل شهره المعين له، وقرر أن يكون أول سنتها شهر المحرم فاتحة السنة العربية، فنرجو من حضرات أعضاء الجمعية والمشتركين في المجلة أن يتقبلوا هذا القرار الذي دعت إليه ظروف قاهرة.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

*** تزويد أحد الشبان التونسيين بموعظة[1]:**

سر في هذه الحياة، واليقظة نور عينيك، والحزم عن يمينك، والتأني في الأمور عن يسارك، فإن من غلبت غفلته على يقظته، كان العطب أقرب إليه من السلامة، ومن فاته الحزم، ذهب شطر حياته سدى، ومن يقوم على الأمور قبل أن يتدبرها، لا يأمن أن يقع في غير رشد، ويعود بغير حمد، وإن رزقت الاعتماد على الله من صميم قلبك، وفقك لأن تكون يقظاً حازماً بصيراً بالعواقب.

❑ ❑ ❑

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد الحادي والعشرين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* المقدمة	٣
* مقدمة الإمام محمد الخضر حسين	٦
* آداب الحرب في الإسلام	١٠
ـ تمهيد ـ أسباب الحروب	١١
ـ الاستعداد للحرب	١٢
ـ التدريب على الحرب	١٣
ـ محاكاة العدو في وسائل الدفاع	١٤
ـ كتابة أسماء من يدعون إلى الحرب	١٤
ـ إعلان الحرب	١٤
ـ رفع الرايات في الحرب	١٥
ـ الشعار في الحرب	١٥
ـ تعهد الجند بالموعظة	١٦
ـ النشيد الحماسي	١٦
ـ الزحف في صفوف منظمة	١٨
ـ الإقدام في الدفاع	١٨
ـ الثبات في مواقع الدفاع	١٩

الموضوع	الصفحة
ـ الإخلاص في الحرب	٢٠
ـ أثر الاستقامة في الانتصار	٢٠
ـ الدهاء في الحرب	٢١
ـ إطلاع ولي الأمر على سير الحرب يوماً فيوماً	٢٢
ـ الشورى في الحرب	٢٣
ـ كيف يكون قائد الجيش؟	٢٤
ـ استكشاف حال العدو	٢٥
ـ التكتم في الحرب	٢٦
ـ الاحتراس في الحرب	٢٦
ـ حكم الجاسوس في الإسلام	٢٧
ـ الرفق بالجند ومعاملتهم بالعدل	٢٧
ـ تلقيهم أوامر القائد بحسن الطاعة	٢٨
ـ تحامي الاختلاف المؤدي إلى الشقاق	٢٩
ـ التخلف عن الدفاع	٢٩
ـ الفرار من صفوف القتال	٣٠
ـ الوفاء بتأمين المحارب	٣٠
ـ مجاملة رسل العدو وعدم التعرض لهم بأذى	٣١
ـ تجنب قتل من لا يقاتل	٣٢
ـ معاملة الأسرى	٣٢
ـ الدفاع في البحر	٣٤
ـ عقد الصلح	٣٥
ـ تخليص الأسرى من أيدي العدو	٣٥

الموضوع	الصفحة
ـ تقدير البطولة	٣٦
*** الروح العسكرية في الإسلام**	٤٠
*** الطب في نظر الإسلام**	٤٧
ـ شدة عنايتهم بمداواة المرضى، وتوفير وسائل الراحة لهم	٥٧
*** حقوق الزوجية في الإسلام**	٦٠
*** القضاء العادل**	٦٨
*** مكانة القضاء**	٧٠
*** صفات القاضي في الإسلام**	٧٢
*** شريك قاضي الكوفة وموسى بن عيسى أميرها**	٧٥
*** أكلّ الجيش أسلفه؟**	٧٩
*** السياسة الرشيدة في الإسلام**	٨١
*** الدين والفلسفة والمعجزات**	٨٦
*** حقوق الجار**	٩٠
ـ كف الأذى عن الجار	٩٢
ـ حماية الجار	٩٢
ـ الإحسان إلى الجار	٩٣
ـ احتمال أذى الجار	٩٥
*** السخاء وأثره في سيادة الأمة**	٩٧
ـ أثر السخاء في سيادة الأمة	١٠٣
*** الحلم وأثره في سعادة الحياة الفردية والاجتماعية**	١٠٧
*** حالة الأمة في هذا العصر**	١١٤
*** اليد العليا خير من اليد السفلى**	١١٩

الموضوع	الصفحة
* خير نظام للحكم	١٢٨
* سعيد بن جبير والحجاج	١٣٣
* استعمال الألفاظ في غير مواضعها ومضاره الاجتماعية	١٣٧
* فضل شهر رمضان	١٤١
* بحث موجز في أشهر الفرق الإسلامية	١٤٨
ـ وحدة العقيدة في الصدر الأول	١٤٨
ـ انقسام المسلمين إلى فرق مختلفة	١٤٨
ـ عوامل هذا الانقسام	١٥٠
ـ الفرق الإسلامية	١٥١
ـ الشيعة	١٥٢
ـ الزيدية	١٥٤
ـ الإمامية	١٥٤
ـ الكيسانية	١٥٥
ـ الغلاة	١٥٦
* إصلاح المعاهد الدينية والدكتور طه حسين	١٥٨
* الأدوية المفردة بين دسقوريدس ـ وابن البيطار	١٦٣
ـ كيف نقلت الأدوية المفردة إلى اللغة العربية؟	١٦٥
* كلمات وخواطر وآراء	١٧١
ـ شعور الحاضرين بموضوع الخطبة	١٧١
ـ جمعية الهداية الإسلامية ـ سبب تأليفها	١٧٢
ـ منهج ابن سينا في البحث	١٧٦
ـ أبناء المسلمين في مدارس التبشير	١٧٧

الموضوع	الصفحة
ـ مجلة الرابطة تزعم أنها لا تنصر ديناً على دين	١٧٩
ـ النقد التحليلي لكتاب في «الأدب الجاهلي»	١٨٠
ـ الأستاذ متفوخ	١٨٢
ـ حول «خطاب مفتوح إلى حضرة محمد»	١٨٢
ـ افتتاح نادي جمعية الهداية الإسلامية	١٨٤
ـ تروتسكي «يعتنق الإسلام في بيئة تجهل على الإسلام»	١٩١
ـ حول نقل الكتب العربية إلى الألمانية	١٩٢
ـ للتاريخ	١٩٣
ـ فاتحة السنة الثانية	١٩٥
ـ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية	١٩٩
ـ قسم التخصص بالأزهر الشريف	٢٠٠
ـ خطب عظيم	٢٠١
ـ فاتحة السنة الثالثة	٢٠٢
ـ جمعية الهداية الإسلامية	٢٠٣
ـ فقيد الإسلام والشرق مولانا محمد علي	٢٠٤
ـ طريقة جمعية خيرية في مساعدة البائسين	٢٠٦
ـ خطاب ترحيب بالزعيم الإسلامي مولانا شوكت علي	٢٠٦
ـ الناشئة والآداب الإسلامية	٢٠٨
ـ ارتجال الشعر الألماني	٢٠٩
ـ من جمعية الهداية الإسلامية إلى وزير المعارف	٢١٠
ـ فاتحة السنة الرابعة	٢١١
ـ النهضة الأدبية العلمية في جمعية الهداية الإسلامية	٢١٣

الموضوع	الصفحة
ـ كلمة في تأبين الفقيد الشيخ محمد عبد المطلب	٢١٤
ـ احتجاج جمعية الهداية الإسلامية على حادثة التبشير	٢١٦
ـ كلمة في تأبين الفقيد الشيخ مصطفى بدر زيد	٢١٨
ـ حقيقة الدكتور طه حسين	٢١٩
ـ الدكتور طه حسين أيضاً	٢٢٠
ـ كلمة في الاحتفال بالمولد الكريم	٢٢١
ـ فاتحة السنة الخامسة	٢٢٣
ـ تكريم أعضاء الجمعية الذين أكملوا دراستهم العليا	٢٢٤
ـ فقد عالم نحرير ببلاد الجزائر	٢٢٧
ـ افتتاح فرع الجمعية بالعباسية	٢٢٨
ـ فاتحة السنة السادسة	٢٣٤
ـ كلمة في حفل تكريم المتبرئين من القاديانية	٢٣٦
ـ خطبة المؤلف في حفل افتتاح فرع الجمعية بالجيزة	٢٣٨
ـ فاتحة السنة السابعة	٢٤٢
ـ شعبة شباب الإصلاح لجمعية الهداية الإسلامية	٢٤٣
ـ فاتحة السنة الثامنة	٢٤٤
ـ نداء جمعية الهداية الإسلامية لمساعدة منكوبي فلسطين	٢٤٦
ـ فاتحة السنة التاسعة	٢٤٧
ـ حفلة تكريم رئيس مجلس الشيوخ	٢٤٩
ـ الاحتفال بعودة المؤلف من سورية	٢٥٠
ـ الاحتفال ببعثة الإخاء الإسلامي	٢٥٢
ـ مصاب تونس بوفاة عالم جليل	٢٥٥

الموضوع	الصفحة
ـ تأبين الدكتور ستومو	٢٥٨
ـ فاتحة السنة الحادية عشرة	٢٦٠
ـ بدعة فصل الدين عن السياسة	٢٦٤
ـ تكريم أعضاء البعثة المغربية	٢٦٦
ـ وفاة علامة مجاهد كبير	٢٦٨
ـ الشيخ عبد الرحمن قراعة	٢٧١
ـ شعبة الأدب العربي لجمعية الهداية الإسلامية	٢٧٢
ـ فاتحة السنة الرابعة عشرة	٢٧٥
ـ مهمة جمعية الهداية الإسلامية	٢٧٥
ـ الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية	٢٧٨
ـ الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف	٢٧٩
ـ تأبين الأستاذ الشيخ علي محفوظ	٢٨١
ـ تكريم إنكليزي دخل الإسلام	٢٨٣
ـ فاتحة السنة السابعة عشرة	٢٨٥
ـ في الهجرة بركة	٢٨٦
ـ فاتحة السنة الثامنة عشرة	٢٨٨
ـ فاتحة السنة التاسعة عشرة	٢٨٨
ـ فاتحة السنة الحادية والعشرين	٢٨٩
ـ فاتحة السنة الثانية والعشرين	٢٩٠
ـ تزويد أحد الشبان التونسيين بموعظة	٢٩١
* فهرس الموضوعات	٢٩٢